

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

تخصص تفسير وعلوم القرآن

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

## سورة النمل - دراسة بلاغية-

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في التفسير وعلوم القرآن

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

من إعداد الطالبة:

رابح دوح

حياة موسى

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة العلمية	الاسم واللقب
رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة-	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ الجمعي شبايكي
مقررا	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة-	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ رابح دوح
عضوا	جامعة الأمير عبد القادر -قسنطينة-	أستاذ محاضر (أ)	د/ عبد الرحمان معاشي
عضوا	جامعة خنشلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ صالح خديش
عضوا	المدرسة العليا للأساتذة -قسنطينة-	أستاذ محاضر (أ)	د/ مراد مزعاش
عضوا	جامعة باتنة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ حسين شرفة

السنة الجامعية: 1437-1438 هـ / 2016-2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأميرة  
العلوم الإسلامية

# إهداء

إلى من غمرني حنائهما، وأنارت طريقي بركة دعائهما، والديّ الكريمين أطال الله عمرهما

إلى زوجي الكريم الذي تحمّل معي عبء إخراج هذا العمل إلى النور

إلى أشقائي وشقيقاتي وأولادهم

إلى صديقاتي وزميلاتي

إلى كل طلبة الدكتوراه - الدفعة الأولى -

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع

حياة موسى

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني ووفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع أما بعد:

اعترافا مني لذوي الفضل بفضلهم، ولأهل العلم بمجهودهم، فإنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من كانت له بصمة في إتمام هذا العمل، وإخراجه بهذه الصورة.

وأتوجه بالشكر الجزيل وفائق الاحترام والتقدير إلى الأستاذ الفاضل الدكتور: رابح دوب، على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما أسداه لي من نصائح وتوجيهات حتى يخرج هذا العمل إلى النور.

كما أتقدم بالشكر الجزيل وفائق الاحترام والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة لقبولهم مناقشة هذه الرسالة.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي في كافة مراحل التعليم، وخاصة أساتذتي في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الذين تشرفت بالأخذ عنهم، والاستفادة منهم، والانتساب إلى جامعة الأمير عبد القادر.

ولا أنسى أن أشكر كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء، وأن يثيبنا جميعا خير الثواب.

# حفظك الله

جامعة الأميرة  
عبد القادر  
العلوم الإسلامية

## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إنّ القرآن الكريم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة؛ لا تنتهي عجائبه، ولا تنقطع أسرارها؛ ولذلك ظل على مرّ العصور والأزمان ثرياً في معانيه وألفاظه وتراكيبه، ومجالاً خصباً للدراسة والبحث، يأخذ منه العلماء والباحثون ما بدا لهم، كلٌّ حسب اختصاصه.

## 1- موضوع البحث:

يُعدّ اختيار جزء من القرآن الكريم ليكون موضوعاً للبحث أمراً شديداً الصعوبة؛ لأنّ القرآن الكريم كله على حدّ سواء من الإعجاز والبلاغة.

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يقع اختياري لموضوع البحث على سورة من سور القرآن، وهو بعنوان: *سورة النمل - دراسة بلاغية*.

## 2- إشكالية البحث:

تعدّدت النظريات حول تفسير وجه إعجاز القرآن الكريم، ولكنّ الوجه المتفق عليه هو إعجازه البلاغي؛ حيث بهر القرآن الكريم بنظمه وأسلوبه أصحاب اللسان وأرباب البيان في ذلك الزمان، بل إنّه تحدّاهم على أن يأتوا بسورة من مثله *قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23]*، *وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]*، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وهم الذين كانوا يتحدثون بعضهم بعضاً في مجالسهم؛ فاللغة العربية طوع أيدهم.

فرغم أنّ القرآن الكريم جاء بلغتهم، مستعملا مفرداتهم، فإنهم وقفوا أمامه مذهولين، والسرّ في ذلك نظمه العجيب، وأسلوبه الفريد؛ فالقرآن يميّز بالقوة في البيان بما يعجز عن الإتيان به إنس ولا جانّ؛ لذلك عجز عن مضاهاته العرب البلغاء من الشعراء والخطباء.

لذلكهتّم العلماء قديما وحديثا بدراسة بلاغة القرآن، والكشف عن أوجه الإعجاز فيه من أجل أن تظهر للعالمين معجزة القرآن الخالدة.

وتتبعا لخطى هؤلاء العلماء، وبحثا عن جماليات التعبير القرآني وأسراره البلاغية، ارتأيت أن أدرس إحدى سور القرآن الكريم من الناحية البلاغية وهي سورة النمل. فإذا كانت البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال والمقام؛ وذلك باختيار الكلمات والأساليب بحسب مواطن الخطاب وأحواله، ونظم الألفاظ وتركيبها بما يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، وهذا من أجل إقناع السامعين وإرضائهم، فما هي السمات والخصائص البلاغية التي تجلّت في هذه السورة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، أ طرح التساؤلات الآتية:

- ماهي خصائص الألفاظ والمفردات التي جاءت في السورة؟
- وإذا كانت الألفاظ والكلمات منتقاة، هل هناك ما يميزها أثناء تركيبها مع بعضها بعض؟
- وما هي الصور البيانية التي وُظّفت في هذه السورة، وما هي قيمتها البلاغية؟
- وإذا احتوت السورة على المحسنات البديعية، ماهي هذه المحسنات؟ وما قيمتها البلاغية؟

### 3-أهمية البحث:

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولة الوقوف على بعض أسرار الإعجاز البياني في أسلوب القرآن الكريم من خلال توضيح وتحلية بعض أسراره الكامنة وراء ألفاظه وجمله، وذلك بجمع اللطائف والأسرار المبتوثة والمنثورة في كتب التفسير، وخاصة التي اهتمت بالجانب البلاغي للقرآن الكريم.

### 4-أسباب اختيار الموضوع:

أما الأسباب التي دعّني لاختيار سورة النمل دون غيرها من السور، فهناك دوافع موضوعية وأخرى ذاتية:

\* الأسباب الموضوعية:

- احتواء سورة النمل على مواد بلاغية غزيرة؛ لأنها من السور المكية التي جاءت مواضيعها من أجل تقرير أسس العقيدة، وذلك بإقامة الحجج والبراهين، معتمدة في ذلك على أسلوب التأكيد، ووسائل تقرير وترسيخ المعاني كالإكثار من القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه، وغيرها من الأساليب.

- توسط سورة النملين الطول والقصر وهذا ما يساعد على الإمام بكل النواحي البلاغية في السورة الكريمة.

- إثراء المكتبة بالدراسات البلاغية التحليلية في القرآن الكريم.

\* الأسباب الذاتية:

- لقد كانت دراسة القرآن الكريم وفهمه مناي ومقصدي منذ بدأت مرحلتي الجامعية ولا تزال.

- إنَّ دراستي لوجوه إعجاز القرآن الكريم - أثناء الدراسة الجامعية - ، ومعرفة مختلف الآراء التي أُثيرت حول هذا الموضوع ، وإجماع العلماء على أنَّ معجزة القرآن بلاغية، ولَّدت في نفسي رغبة التعرّف على جوانب هذا الإعجاز بمثال تطبيقي على ذلك.

- حبي للبلاغة العربية والبحث في جماليات التعبير القرآني؛ لاكتشاف جمال ألفاظه، وقوة نظمه، وعجائب صوره الفنية، ومحسناته البديعية.

- ما يعود على الباحث في بلاغة القرآن من نفع عظيم في جانب التحصيل العلمي؛ كقوة الأسلوب، واستقامة اللسان.

5- منهج البحث:

ولمعالجة إشكالية البحث بدون مسلمات مسبقة وهذا ما يقتضيه البحث الموضوعي ارتأيت الاستعانة بالمنهجين؛ الوصفي والتحليلي؛ حيث اعتمدت على المنهج الوصفي وذلك من خلال جمع المادة العلمية والمتمثلة في النصوص التفسيرية والأقوال والتعريفات البلاغية وترتيبها ترتيباً منهجياً، ثم عمدت إلى المنهج التحليلي وذلك أثناء تفسير وتحليل تلك النصوص والتأمل فيها؛ من أجل بيان



السر في إثارة لفظ على لفظ آخر، وتوضيح خصائص النظم، والكشف عن روعة الصور البيانية والفنون البديعية في السورة.

## 6- صعوبات البحث:

ولا يخلو البحث من جملة من الصعوبات كان أولها وأشدّها الخوف من الخطأ والزلل؛ لأنّ النص الذي بين يدي هو كلام الله تعالى، ما جعلني أحسّ بالهيبية والخوف أن أتقول على الله وعجل.

ومن الصعوبات التي وجدتها خلال البحث شحّ المادة العلمية فيما يخصّ الفصل الرابع، والذي خصّصته للبديع في السورة؛ لأنّ المفسرين لم يقفوا أمام هذا الأخير بالشرح والتحليل وبيان قيمته البلاغية مثل ما فعلوا مع باقي التواحي الأخرى.

بالإضافة إلى صعوبة التحرّز من التكرار لبعض أقوال المفسرين؛ حيث أتناول الآية الواحدة في عدة مواضع، حسب الأغراض البلاغية التي احتوتها.

## 7- الدراسات السابقة:

كان من الطبيعي أن تنظر هذه الدراسة إلى دراسات سابقة، تعرضت لهذا الموضوع فتستفيد منها، وتطوّر على أساسها، غير أنّي لم أطلع -حسب اطلاعي- على مؤلف أفرد سورة النمل بالدراسة من الناحية البلاغية، إلّا ما جاء في رسالتين؛ الأولى بعنوان: الأساليب الإنشائية في سورة النمل (دراسة بلاغية تحليلية)، للباحثة: خلود بنت سعد بن إبراهيم العقيل، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ونوقشت عام 1429هـ. وقد قسمت الرسالة إلى تمهيد، وأربعة فصول؛ تناولت في التمهيد: مفهوم وأنواع الأساليب الإنشائية، وتعريف بسورة النمل، أمّا الفصل الأول فتناولت فيه أساليب الاستفهام في السورة وأغراضه البلاغية، والفصل الثاني تعرضت فيه لأسلوب الأمر والنهي وأغراضهما البلاغية، والفصل الثالث تناولت في أسلوب النداء والتمني وأغراضهما البلاغية، وخصصت الفصل الرابع للحديث عن أساليب الإنشاء غير الطلبي في السورة، وأغراضه البلاغية.

وهذه الرسالة كما يظهر من عنوانها خصصتها الباحثة للحديث عن الأساليب الإنشائية في سورة النمل، ولكن بنوع من التوسّع، والأساليب الإنشائية مبحث من الفصل الثاني الذي خصصته للحديث عن خصائص التراكيب في السورة.

أمّا الرسالة الثانية فهي بعنوان: **خصائص الأسلوب في سورة النمل**، من إعداد الباحث: أحمد بزيو، وهي رسالة معدة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: أدب عربي قديما وحديثا، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2006-2007م. وهي دراسة أسلوبية لسورة النمل، وقد تناول الباحث البيان والبديع في السورة ولكن بشيء من الاختصار.

هذا فيما يخص البحث البلاغي في سورة النمل، لكن هناك دراسات أخرى تناولت سورة النمل من جوانب أخرى، وهي:

- كتاب بعنوان: "سورة النمل: دراسة وتحليل" ل: عبد الله بن أسود الجوالي، طبعة دار الزمان، المدينة المنورة، ط1 (1430هـ، 2009م)، وهو كتاب تناول فيه الباحث السورة من الناحية التحليلية كما هو ظاهر من العنوان، حيث لم يتسنى لي الحصول والاطلاع عليه.
- رسالة بعنوان: **الوحدة الموضوعية في سورة النمل**، من إعداد الباحث: يزيد غربي، وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، شعبة التفسير وعلوم القرآن، قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية: 2011-2012م. وهي رسالة اهتمت بالبحث في الوحدة الموضوعية للسورة، وقد استفدت منها في الفصل التمهيدي، أثناء التعريف بالسورة، وهي رسالة لا علاقة لها بالناحية البلاغية.

## 8-المصادر والمراجع المعتمدة:

وقد تنوعت مصادر البحث ومراجعته قديمها وحديثها، فكانت كتب التفسير المنبع الأول لمادة هذا البحث، وبالأخصّ التفاسير ذات النزعة البلاغية، مثل: تفسير الكشاف، وإرشاد العقل

السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وتفسير روح المعاني، وتفسير التحرير والتنوير الذي كان يشير إلى الأسرار البلاغية وإن كانت دقيقة، كما أخذت من تفاسير أحر.

كما اعتمدت على كتب البلاغة والبيان للوقوف على بعض التعريفات البلاغية التي كانت تتقدم كل مبحث بلاغي، وكذلك الرجوع إلى كتب علوم القرآن.

كما رجعت إلى المعاجم بأنواعها؛ من معاجم لغوية، إلى معاجم في موضوعات القرآن وتعبيراته وألفاظه، وكتب أحر متفرقة.

## 9- خطة البحث:

وقد استقام البحث في مقدمة وأربعة فصول، يتقدمها فصل تمهيدي، وتقفوها خاتمة.

الفصل التمهيدي خصصته للتعريف بسورة النمل، وقد قسمته إلى مبحثين؛ المبحث الأول تناولت فيه تسميتها ونزولها وعدد آياتها، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى موضوعها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

أما الفصل الأول فتناولت فيه خصائص المفردات في السورة، وقد استقام في مبحثين؛ المبحث الأول كان للحديث عن سر اصطفاء المفردة من حيث مادتها؛ سواء أكانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً، والمبحث الثاني فقد احتوى على التعريف والتنكير، والأغراض البلاغية التي جاء من أجلها.

والفصل الثاني كان بعنوان خصائص التراكيب في السورة، وقد قسمته إلى أربعة مباحث؛ المبحث الأول كان الكلام فيه عن التقديم والتأخير بين الألفاظ، وبيان أغراضه البلاغية. والثاني تناولت فيه الأسلوب الخبري وطرق إلقاء الأخبار على المخاطبين، والأسلوب الإنشائي الطلي وخروجه عن أغراضه الحقيقية. أما الثالث فكان للحديث عن أسلوب القصر والطرق التي جاء بها. وأخيراً المبحث الرابع وقد تعرضت فيه للإيجاز والإطناب وأغراضهما.

وكان الفصل الثالث للحديث عن الصور البيانية في سورة النمل، واحتوى على ثلاثة مباحث، حيث خصصت الأول للتشبيه، والثاني للمجاز، والثالث للكناية.

وتطرقت فيالفصل الرابع إلى المحسنات البديعية في السورة، حيث قسمته إلى مبحثين؛ خصصت الأول للحديث عن المحسنات المعنوية، والثاني للحديث عن المحسنات اللفظية.

وفي الأخير خاتمة؛ ضمنتها خلاصة ونتائج البحث، وكذلك التوصيات.

وبعد الخاتمة تأتي الفهارس العامة، وهي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

## 10- منهجية البحث:

ولقد سرت في بحثي هذا على منهجية تقوم على:

- تقديم توطئة للمبحث البلاغي الذي أنا بصدد البحث فيه؛ بتعريفه وبيان قيمته البلاغية، مستدلة على ذلك بأقوال أهل الشأن.

- ترتيب الآيات محلّ الدراسة على حسب ترتيبها في المصحف عند تناولها في نفس المبحث.

- حاولت الاختصار قدر المستطاع حتى لا يأتي البحث طويلاً، والاكتفاء بما يخصّ الموضوع فقط، والابتعاد عن الاستطراد.

وقد بذلت كل ما في وسعي لإخراج هذا البحث على هذه الصورة، ومع ذلك لا أجدني أشعر أو أزعم بأنّ هذا البحث قد بلغ الغاية في الدراسة والإمام بكل ما في السورة الكريمة، من دقائق وأسرار بلاغية. فما فيه من صواب فبفضل الله وتوفيقه، وما فيه من زلل ونخل فمن عجزني وضعفي أمام هذا الكلام المعجز. **والحمد لله تعالى أن هياً لي فرصة البحث، وأعانني على إنجازهِ وإتمامه.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل التحصيلي

## التعريف بسورة الفهل

## فصل تمهيدي: التعريف بسورة النمل

اهتمَّ المسلمون بالقرآن الكريم اهتماماً بالغاً لم تر الأمم مثله؛ كيف لا وهو في الدنيا دستور حياتهم، وفي الآخرة طريق نجاحهم، وقد بلغ هذا الاهتمام حدّاً كبيراً؛ حيث أولوا عناية بالغة بكل ما يخصّ القرآن الكريم من كل النواحي؛ سواءً فيما يخص القرآن وما يحتوي عليه مثل: تفسيره ومعرفة أحكامه، أم بما يحيط به مثل: مكان، وزمان، وأسباب نزوله.

وفي هذا الفصل سأقدم تعريفا موجزا لهذه السورة، مبتدئة بتسميتها ونزولها وعدد آياتها.

## المبحث الأول: تسميتها ونزولها وعدد آياتها

وفي هذا المبحث قمنا ببيان أسماء سورة النمل وعلاقتها بمضمونها، مع بيان مكان وزمان نزولها، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها.

## المطلب الأول: تسميتها

من بين المواضيع التي درسها العلماء؛ موضوع تسمية السور، وعلاقة ومناسبة هذه الأسماء لما تحتويه السور.

ومن المعلوم أنّ كل سورة<sup>1</sup> من سور القرآن الكريم اسماً يميّزها عن غيرها، وقد يكون لها اسم واحد وهو الأكثر، وقد يكون لها أكثر من اسم، ولقد اهتمَّ العلماء بدراسة هذا الموضوع (أسماء

<sup>1</sup> السورة في اللغة: اختلف اللغويون في الأصل الذي اشتقت منه السورة على قولين: الأول: من (سور) بالهمز؛ ومعناه بقية الشيء، أو من سورة المال؛ بمعنى جيّد. والثاني: من (سور) بلا همز، ولها عدة معاني: حائط المدينة، المنزلة، الشرف والفضل والرفعة. يُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د(ط،س)، مادة (س أ ر)، ج 21، ص 1905. والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط (1392هـ، 1972م)، ج 11، ص 485. والجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4 (1990م)، ج 2، ص 675. والراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط (1432هـ، 2010م)، ص 187.

وأما اصطلاحاً فقد عُرِّفت بعدة تعاريف، أذكر منها تعريف أبو شهبه حيث قال: " طائفة من آيات القرآن، جمعت وضُمَّ بعضها إلى بعض، حتى بلغت في الطول والمقدار الذي أراد الله سبحانه وتعالى لها". أبو شهبه، محمد محمد: المدخل لدراسة القرآن، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 3 (1407هـ، 1987م)، ص 320.

السور) وهذا ما يظهر جليا في كتبهم ومؤلفاتهم، وأهم ما تطرقوا إليه؛ أصل العلم بهذه الأسماء هل هو توقيفي أو اجتهادي<sup>1</sup>؟ إلا أن جلّهم ذهب إلى أن العلم بها توقيفي.

والقول بأن العلم بأسماء السور توقيفي لا يمنع من البحث عن علاقة ومناسبة تربط بين هذه الأسماء ومضامين السور، وهذا ما أشار إليه الزركشي<sup>2</sup> بقوله: "وينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أنّ العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق، أو صفة تخصّه، أو تكون معه أحكم، أو أسبق لإدراك الرائي للمسمّى، ويسمّون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن"<sup>3</sup>، فالزركشي يحثنا على ضرورة البحث عن الرّابط الذي يربط كل سورة باسمها، ويستدلّ على ذلك بما كانت العرب تأخذه بعين الاعتبار أثناء تسميتها للأشياء؛ حيث يعتمدون على أهمّ ما يميزها، وكذلك أسماء سور القرآن؛ لأنّ القرآن جاء على طريقة العرب وأسلوبهم.

وللاطلاع على علاقة هذه المعاني اللغوية بالتعاريف الاصطلاحية، يُنظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د، ط، س)، ج1، ص 263، 264. والسيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: حامد بن أحمد الطاهر البسيوني، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط2 (1430هـ، 2009م)، ج1، ص 153. والزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1415هـ، 1995م)، ج1، ص 285. وأبو شهبه: المصدر السابق، ص 321.

<sup>1</sup> انقسم العلماء في هذه القضية إلى فريقين؛ فريق يقول بأنّها توقيفية، والآخر يقول إنّها اجتهادية؛ إلا أن الزركشي استبعد هذه الأخيرة بقوله: "ينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفي، أو بما ظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلم يُعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة، تقتضي اشتقاق أسماء لها وهو بعيد"، وأما السيوطي فقد قال بأنّها توقيفية من خلال قوله: "وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولو لا خشية الإطالة لبيّنت ذلك". يُنظر: الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص 270. والسيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 153.

وللاطلاع والاستزادة ينظر: منيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1 (1426هـ)، ص 73-77.

<sup>2</sup> هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (745هـ، 794هـ)، التركي الأصل المصري المولد، عالم بفقّه الشافعية، وهو كذلك عالم في الحديث والتفسير وغيرها من العلوم، له مصنفات كثيرة في عدة فنون، نذكر منها: البرهان في علوم القرآن، تفسير القرآن، البحر المحيط في الأصول، شرح المنهاج للأسنوي. يُنظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1 (1414هـ، 1993م)، ج3، ص 397. وابن قاضي شهبه، أبو بكر بن أحمد تقي الدين: طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية بمجدرآباد، الهند، ط1 (1399هـ، 1979م)، ج3، ص 227. والأدنه وي، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1 (1417هـ، 1997م)، ص 302.

<sup>3</sup> الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص 270.

## الفرع الأول: الاسم التوقيفي

"سورة النمل" هو الاسم الذي اشتهرتوسميت به في المصاحف، وكتب التفسير والحديث، وبهذا الاسم وردت في آثار الصحابة -رضي الله عنهم- الواردة في مكية السور ومدنيتها<sup>1</sup>، وكذلك الآثار الواردة في فضائل سور القرآن<sup>2</sup>.

والقول بأن هذا الاسم توقيفي ليس بالاعتماد على الآثار الواردة فقط؛ لأنّ هذه الآثار وردت فيها كذلك تسميات أخرى لهذه السورة؛ ولكن بالاعتماد أيضاً على تسميتها في المصاحف العثمانية بسورة النمل، وكذلك كتب التفسير والحديث.

وعلاقة هذا الاسم بمضمون السورة ظاهر جليّ وذلك من وجهين؛ أحدهما: أن لفظ "النمل" لم يرد في سورة من القرآن غير هذه السورة<sup>3</sup>؛ فهذا اللفظ خاصّ بها. والآخر: سميت بهذا الاسم لورود قصة وادي النمل فيها<sup>4</sup>، لتوجيهنا إلى العبر المستفادة من هذه القصة، وربما التركيز عليها لأنها قصة عجيبة، تحتوي على مواعظ، ففيها "عظة بالغة لمن لم يهتم بأمر قوم، ولا يؤدي الواجب نحوهم، ولمن يرى الخطر داهماً لقومه فيسكت ويتعامى، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم. آه..! ما أحوجنا -معشر المسلمين- إلى أمثال هذه النملة!"<sup>5</sup>، فلأهمية هذه الموعظة أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليها عن طريق تسمية هذه السورة باسم "النمل".

فتسمية السورة بهذا الاسم لاختصاصها وانفرادها بذكره، وكذلك انفرادها بذكر هذه القصة العجيبة، التي تنطوي على مواعظ وعبر أرشدنا الله تعالى إليها من خلال هذه السورة.

<sup>1</sup> وهو الحديث الطويل الذي يسرد السور المكية ثم السور المدنية، والذين ذكروا هذا الأثر اقتصروا على ذكر سورة النمل، مما يوهم بأنه خاص بسورة النمل فقط، وهذا الحديث سيأتي تحريجه عند الكلام على مكية السورة، ص 10.

<sup>2</sup> الحديث الطويل الذي يذكر فضل كل سور القرآن الكريم، سيأتي تحريجه أثناء الكلام حول فضل سورة النمل، ص 7.

<sup>3</sup> يُنظر: منيرة محمد ناصر الدوسري: المصدر السابق، ص 293.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1(1411هـ، 1991م)، ج19، ص 252.

<sup>5</sup> عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، ط1(1430هـ، 2009م)، ص 217.



## الفرع الثاني: الأسماء الاجتهادية

ورد فيما سبق أنه قد يكون للسورة أكثر من اسم؛ وكذلك سورة النمل فقد عرفت بأسماء أخرى ورد ذكرها في الآثار، ولكن لم تشتهر بها، ومن ذلك:

## أولاً - سورة "طس"

وبهذين الحرفين افتتحت السورة، وقد انفردت بهما<sup>1</sup>، فلم تبدأ سورة أخرى بالحرفين (الطاء، والسين)، ومن عادة العلماء أنهم يسمون السور بأول ما تبتدئ به السورة، مثل تسميتهم لسورة الأعلى: سورة (سَبَّح)، وسورة النبأ: سورة (عمّ).

وقد ورد هذا الاسم في الآثار الواردة في مكية السورة، وكذلك في فضائل السور، إلا أنه ورد أحياناً منفرداً<sup>2</sup>، وأحياناً مقروناً؛ فقد قُرُن بلفظ النمل تارة (طس النمل)<sup>3</sup>، وقرن بلفظ سليمان (طس سليمان)<sup>4</sup> تارة أخرى.

فتسمية سورة النمل ب"طس" لاختصاصها وانفرادها بهذه الافتتاحية، فهي السورة الوحيدة التي ابتدئ بها الحرفين (الطاء والسين)، بحيث إذا ذكر هذا الاسم انصرف الذهن مباشرة إلى سورة النمل؛ فهي تختصّ وتتميّز به دون غيرها من السور.

<sup>1</sup> يُنظر: منيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 295.

<sup>2</sup> أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب: ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة. يُنظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ودار الريان للتراث، مصر، ط1 (1408هـ، 1988م)، ج7، ص 142، 143.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن الضُّرَيْس؛ أبو عبد الله محمد بن أيوب: فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق: عروة بدير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1 (1408هـ، 1987م)، ص 33، 34.

<sup>4</sup> أخرجه البيهقي في الدلائل، باب: وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا ﷺ بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه، وامتناع من امتنع منهم من الملاعة وما ظهر في ذلك من آثار النبوة. يُنظر: البيهقي: المصدر نفسه، ج5، ص 385.

## ثانيا-سورة سليمان

والاسم الثاني الذي سُمِّيَتْ به السورة؛ "سورة سليمان"، وقد ورد هذا الاسم في الأثر الذي جاء في دلائل النبوة؛ ولكن مقرونا مع "طس"، أي: "طس سليمان"<sup>1</sup>. كما ذكره السخاوي<sup>2</sup> في جملة أسمائها<sup>3</sup>، والسيوطي<sup>4</sup> في النوع السابع عشر في معرفة أسماء القرآن وأسماء سوره<sup>5</sup>.

وحتى ولو لم تصح الآثار الوارد فيها ذكر هذا الاسم، فيبقى من الأسماء الاجتهادية، ووجه تسميتها به؛ "فلان ما ذكر فيها من ملك سليمان مفضلا لم يُذكر مثله في غيرها"<sup>6</sup>.

إنّ ورود قصة سليمان عليه السلام بهذا التفصيل في السورة كان كميّزة خاصة بهذه السورة، لهذا سُمِّيَتْ بسورة سليمان.

## ثالثا-سورة الهدد

أشار ابن عاشور<sup>7</sup> في تفسيره التحرير والتنوير إلى ورود تسمية هذه السورة بسورة الهدد،

<sup>1</sup> يُنظر: البيهقي: المصدر السابق، ج5، ص 385.

<sup>2</sup> هو عليّ بن محمد علم الدين السخاوي (558هـ-643هـ)، المصري، الشافعي، شيخ القراء بدمشق، إماما ومقرئا، ومحققا بصيرا بالقراءات، وإماما في النحو واللغة، والتفسير، وله معرفة تامة بالفقه والأصول، له تصانيف كثيرة منها: تفسير القرآن، وشرح الشاطبية، وشرح الرائية، وشرح المفصل، وغيرها. يُنظر: الأدنه وي: طبقات المفسرين، ص234. والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف و محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1405هـ، 1985م)، ج23، ص122.

<sup>3</sup> يُنظر: علم الدين السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد: جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1(1408هـ، 1987م)، ج1، ص 37.

<sup>4</sup> هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (849هـ-911هـ)، المصري، الشافعي، إمام وحافظ ومؤرخ وأديب، له نحو ستمائة مصنف، من مؤلفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإتقان في علوم القرآن، والمزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث، وغيرها. يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2(1399هـ، 1979م)، ج1، ص10.

<sup>5</sup> يُنظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 159.

<sup>6</sup> ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط(1984م)، ج19، ص216.

<sup>7</sup> هو محمد الطاهر بن عاشور (1296-1393هـ)، التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، من أشهر مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وموجز البلاغة. يُنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس

وأنّ هذه التسمية ذكرها أبو بكر بن العربي<sup>1</sup> في كتابه "أحكام القرآن"<sup>2</sup>، ولم أقف عليها.

ووجه تسميتها بهذا الاسم؛ فلأنّ لفظ "الهدهد" لم يُذكر في سورة من سور القرآن غيرها، حيث انفردت بذكر قصته مع نبي الله سليمان عليه السلام؛ ولهذا سميت بسورة "الهدهد"<sup>3</sup>.

إذن "سورة النمل" هو الاسم التوقيفي الذي عُرفت به السورة، وبه سميت في المصاحف وكتب التفسير والحديث، وأما اسم "طس"، و"سليمان"، و"الهدهد" فهي الأسماء الاجتهادية التي أطلقها العلماء عليها.

والعلاقة التي تربط هذه الأسماء بمضمون السورة علاقة ظاهرة جليّة؛ وهي ورود هذه الأسماء في السورة، واختصاصها بهذه الأسماء.

أمّا بالنسبة لفضل هذه السورة فقد وردت أحاديث عديدة في فضل القرآن الكريم، وفضل قراءته، وتعلّمه وتعليمه، وسورة النمل قطعة من القرآن الكريم؛ فهذه الأحاديث تشملها.

أما ورود أحاديث في فضلها منفردة (سورة النمل) فلم يرد؛ ما عدا ورودها في الحديث الطويل في فضائل السور عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله"<sup>4</sup>.

تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُستغربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15 (2002م)، ج6، ص174.

<sup>1</sup> هو أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري (468هـ-543هـ)، الأندلسي، المالكي، العلامة، الحافظ، القاضي، من تصانيفه: أحكام القرآن، وشرح الموطأ، عارضة الأحمدي في شرح جامع الترمذي، والمحصول في الأصول، وغيرها. يُنظر: الذهبي: المصدر السابق، ج20، ص197. والأدنه وي: المصدر السابق، ص180.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص216.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص216. ومنيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص294.

<sup>4</sup> وقد ذكر هذا الحديث: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1422هـ، 2002م)، ج7، ص188.

والواحد، أبو الحسن علي بن أحمد: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وأحمد محمد صيرة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1415هـ، 1994م)، ج3، ص368.

وليس شرط أن يكون لكل سورة من القرآن أحاديث في فضلها؛ حتى اضطرّ بعضهم إلى وضع الأحاديث للترغيب في قراءة السور، وإنما يكفينا ما ورد في فضل القرآن الكريم.

والزمخشري، أبو القاسم محمود: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 (1418هـ، 1998م)، ج4، ص 480. والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم: محمود عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 (2001م)، مج2، ص 777.

وابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1419هـ، 1998م)، ج15، ص 211. وأبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د(ط)، س(ط)، ج6، ص 307.

وهذا الحديث قال عنه ابن الجوزي في كتابه الموضوعات، في كتاب العلم: " وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك". ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: كتاب الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المملكة العربية السعودية، ط1 (1386هـ، 1966م)، ج1، ص 240.

وقال ابن الصلاح في المقدمة عند كلامه عن معرفة الحديث الموضوع فمَثَّل بهذا الحديث حيث قال: "وهكذا حال الحديث الطويل الذي يُروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة فسورة، بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه جماعة وضعوه، وإن أثر الوضع لبيّن عليه، ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم". ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن: علوم الحديث (المقدمة)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1425هـ، 2004م)، ص 65.

وقال السيوطي في الاتقان: "أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة فسورة فإنه موضوع". السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج4، ص 411.

وقام بدراسته أبو شهبه في كتابه الإسرائيليات والموضوعات، ينظر: أبو شهبه، محمد محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، مصر، ط4 (1408هـ)، ص 307 إلى 309.

وكذلك هناك دراسة وافية لهذا الحديث من طرف أحمد بن فارس السلوم في مقال له بعنوان "حديث نوح بن أبي مرثم" الموضوع في فضائل القرآن، ملتقى أهل الحديث، 31/03/2004، 17:12 AM، على الموقع:

[www.ahlhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-58103.html](http://www.ahlhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-58103.html).

ومقال بعنوان "الحديث الطويل المكذوب في فضائل السور"، حيث قام بتخريج ودراسة هذا الحديث في موقع: المجلس العلمي الألوكة، 04/08/2012، 08:56 PM، على الموقع:

[majles.alukah.net/t99417/](http://majles.alukah.net/t99417/)

## المطلب الثاني: نزولها

معرفة مكان وزمان نزول السورة من الأهمية بمكان؛ وذلك إنما يدلّ على حرص المسلمين على كتابهم؛ وما وصلنا من إخبار بعض الصحابة بأنهم كانوا يعرفون كل آية فيمن نزلت وأين نزلت<sup>1</sup> لدليل على ذلك. وهو من مواضيع علوم القرآن، وقد بحثه العلماء تحت مسمى "علم المكي والمدني"<sup>2</sup>، وأوردوا له تعاريف عديدة أشهرها: "المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها؛ سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار"<sup>3</sup>.

وهذا الاصطلاح هو الذي اعتمده العلماء واشتهر بينهم؛ لأنه تقسيم صحيح سليم، ضابط، حاصر ومطرّد<sup>4</sup>. وهذا التعريف رُوِيَ فيه الزمان.

<sup>1</sup> حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث: 5002. يُنظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، ط1(1400هـ)، ج3، ص341.

<sup>2</sup> والعلم بالمكي والمدني له أهمية كبيرة؛ لذلك فقد دأب العلماء على البحث فيه تفصيلاً في كتب علوم القرآن، ومن الفوائد العظيمة التي ذكرها العلماء في كتبهم:

- معرفة المتأخر من المتقدم، فيكون المتأخر ناسخاً له عند التعارض.
- معرفة التدرج في التشريع القرآني، والحكمة الإلهية فيه لهداية الناس وتربيتهم تربية إيمانية، والرقى بهم أفراداً وجماعات.
- معرفة عناية المسلمين الفائقة بالقرآن المجيد، وجهودهم العظيمة في دراسته والحفاظة عليه، مما يظهر للباحث الدليل العملي الواقعي على حفظ القرآن العظيم وسلامته من الدخيل والتحريف والتبديل، مصداقاً لقول الله الحق المبين: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" [الحجر: 9]. يُنظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1(1408هـ، 1987م)، ص336.
- والزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص187. والسيوطي: المصدر السابق، ج1، ص24. والزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص161.

<sup>3</sup> السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص25. وفي معنى هذا التعريف يُنظر: الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص187.

<sup>4</sup> يُنظر: الزرقاني: المصدر نفسه، ج1، ص160.

كما عُرِّف بتعريف آخر روعي فيه المكان<sup>1</sup> وهو أن: المكّي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة ضواحيها؛ كالمنزّل بمنى<sup>2</sup> وعرفات<sup>3</sup> والحديبية<sup>4</sup>؛ وفي المدينة ضواحيها كالمنزّل بيدر<sup>5</sup> وأحد<sup>6</sup> وسلع<sup>7</sup>.

واعتماداً على هذين التعريفين فإنّ معرفة مكان وزمان نزول السور يعتمد على الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين الآخذين عنهم، فالصحابه رضوان الله عليهم هم أعلم الناس بهذا؛ لأنهم شهدوا التنزيل، وأحاطوا علماً بأزمته وأمكانته.

وحسب الروايات التي جاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما فإنّ سورة النمل نزلت بمكة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص 187. والسيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص 25.

<sup>2</sup> وهي أحد مشاعر الحج وأقربها إلى مكة. يُنظر: عاتق بن غيث البلاديّ: معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة، المملكة العربية السعودية، ط1 (1400هـ، 1980م)، ص 290.

<sup>3</sup> المشعر المعروف من مشاعر الحج كذلك، وليس هو جمع عرفة كما يظن البعض، إنما هو مفرد على صيغة جمع. يُنظر: عاتق بن غيث البلاديّ: المصدر نفسه، ص 182.

<sup>4</sup> وتقع على بعد 22 كلم غرب مكة على طريق جدة القديم. يُنظر: عاتق بن غيث البلاديّ: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، المملكة العربية السعودية، ط1 (1402هـ، 1982م)، ص 94.

<sup>5</sup> وفيها حدثت المعركة الفاصلة بين الإيمان والإلحاد، وأصلها ماء لغفار، ثم ظهرت عين جارية، فتكونت على العين قرية، وكانت على طريق القوافل القادمة من الشام ومصر على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهي اليوم بلدة بأسفل وادي الصفراء، تبعد عن المدينة 155 كلم، وعن مكة 310 كلم. يُنظر: عاتق بن غيث البلاديّ: المصدر نفسه، ص 41.

<sup>6</sup> اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحُد، وهو جبل أحمر، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليها. يُنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 (1397هـ، 1977م)، مج1، ص 109.

<sup>7</sup> سلع؛ وينطق بكسر السين، والقدماء يفتحونها، وقد يكسرونها، وهو أشهر جبال المدينة على صغره، حتى أنه يفوق أُحُداً شهرة على كبر أُحُد وقدسيته، يحيط عمران المدينة من كل اتجاه، وقد أكثر الشعراء من ذكره. يُنظر: عاتق بن غيث البلاديّ: المصدر نفسه، ص 160.

<sup>8</sup> وهذا الحديث ذكره النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ، وأورده مقطّعا حسب كل سورة. يُنظر: النحاس، أبو جعفر محمد بن أحمد: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، المكتبة العالمية، مصر، ط1 (1357هـ، 1938م)، ص 204. وأورده السيوطي جموعاً في الاتقان. يُنظر: السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 26، 27.

-وأورده ابن الضُّريس في فضائل القرآن. يُنظر: ابن الضُّريس: فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، ص 33.

فسورة النمل مكية بالاتفاق كما قال ابن عاشور<sup>1</sup>، وهذا ما نلاحظه في كتب التفسير وعلوم القرآن، وهذا لاستنادهم على الروايات التي تدل على مكية السورة.

وحسب الروايات الواردة فإن سورة النمل تحتل المرتبة الخامسة والأربعين من أصل ثلاث وثمانين سورة وهذا في رواية البيهقي<sup>2</sup> في الدلائل<sup>3</sup>، والمرتبة السابعة والأربعين من أصل خمس وثمانين سورة، وهذا في رواية ابن الضريس<sup>4</sup> في فضائل القرآن<sup>5</sup>.

ولكن هناك من العلماء من قال إنه يمكننا معرفة السور المكية والمدنية من خلال خصائص تميز المكي من المدني، واستنتجوا ضوابط ينفرد بها كل من المكي والمدني، فإذا وقفنا على أحد هذه الضوابط في سورة ما علمنا أنها مكية أو مدنية، وليس شرط أن تجتمع كل الضوابط في السورة؛ ولهذا ظهر اصطلاح ثالث في تعريف المكي والمدني وهو " أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة، وعليه يُحمل قول من قال: ما كان في القرآن من "يا أيها الناس" فهو مكِّي، وما كان فيه من "يا أيها الذين آمنوا" فهو مدني؛ لأن الغالب على أهل مكة كان الكفر فحُوطبوا بـ"يا أيها الناس" وإن كان غيرهم داخلا فيهم، والغالب على أهل المدينة كان الإيمان

-وأورده البيهقي في دلائل النبوة، باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن، والثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه. يُنظر: البيهقي: دلائل النبوة، ج7، ص 142، 143، 144.

وكل هذه الروايات أوردها السيوطي في الاتقان. يُنظر: السيوطي: المصدر السابق، ج1، ص 26.

-وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن، باب منازل القرآن بمكة والمدينة وذكر أوائله وأواخره. ينظر: أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي: فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د، ط، س ط)، ص 365.

-وأورد ابن كثير الأثر الذي جاء عند أبي عبيد، وقال: "هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير". ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين: فضائل القرآن، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط1(1416هـ)، ص 38، 39.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 216.

<sup>2</sup> هو أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (384هـ-458هـ)، الخراساني، الشافعي، الحافظ، العلامة، الفقيه، شيخ الإسلام، وله عدة تصانيف، نذكر منها: السنن الكبرى، والصغرى، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والترغيب والترهيب، وغيرها. يُنظر: الذهبي:

سير أعلام النبلاء، ج18، ص163. وابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د، ط، س ط)، مج5، ص248.

<sup>3</sup> يُنظر: البيهقي: المصدر نفسه، ج7، ص 142، 143.

<sup>4</sup> هو أبو عبد الله محمد بن أيوب بن ضريس (في حدود 200هـ-294هـ)، الرازي، الحافظ، المحدث، الثقة، صاحب كتاب "فضائل القرآن". يُنظر: ابن العماد: المصدر نفسه، مج3، ص397. والذهبي: المصدر نفسه، ج13، ص449.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن الضريس: المصدر السابق، ص 33، 34.



فحوظبوا ب"يا أيها الذين آمنوا" وإن كان غيرهم داخلا فيهم"<sup>1</sup>. وهذا الاصطلاح رُوعي فيه المخاطَبون.

ثمّ ذكروا ضوابط للمكي والمدني من القرآن، ولكن أكتفي بذكر ضوابط المكي لأنّ سورة النمل مكية؛ لكي نقف على مدى مطابقتها لهذه الضوابط وهي:

- كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية.
- كل سورة في أولها حروف التهجي، مثل: ص، ون، وق فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، وباستثناء الرعد عند من يقول بمدنيتهما.
- كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية إلا سورة الحج.
- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة.
- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران والمائدة والصف فإنها سور مدنية<sup>2</sup>.
- كل سورة فيها "يا أيها الناس" فهي غالبا مكية، وكل سورة فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي غالبا مدنية<sup>3</sup>.

كما يتميز القرآن المكي بسمات موضوعية وأسلوبية، تتوفر غالبا في سوره، فالسمات الموضوعية في القرآن المكي تتجلى فيما يلي:

- مواضيع القرآن المكي جاءت لتقرير أصول الإيمان الاعتقادية، والدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء.
- إقامة البراهين العقلية، وما نلاحظه في الكون من دلائل على وحدانية الله.
- مجادلة المشركين، وإقامة الحجة عليهم في بطلان عقائدهم بالبراهين الدامغة.
- الاعتناء بقصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم؛ لتكون عبرة وموعظة.

<sup>1</sup> السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص 25. وظاهر بن صالح أحمد الجزائري: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان، مطبعة المنار، مصر، ط1(1334هـ)، ص 3.

<sup>2</sup> يُنظر: السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 50. وأبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 227، 228.

<sup>3</sup> يُنظر: السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص 49.



- الدعوة إلى أصول التشريعات العامة، والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغير بتغيّر الزمان والمكان<sup>1</sup>.

أما السمات الأسلوبية للقرآن المكي فتجلى في:

- قصر الآيات والسور.
- قوة العبر وإيقاعها.
- كما يلاحظ على أسلوب القرآن المكي كثرة استعمال التأكيد ووسائل التقرير ترسيخا للمعاني، من ذلك الإكثار من القسم، وضرب الأمثال، والتشبيه، وتكرار بعض الجمل أو الكلمات<sup>2</sup>.

وبالنظر إلى الضوابط التي وضعها العلماء لمعرفة المكي والمدني نلاحظ انطباق بعض هذه الضوابط على سورة النمل، مثل:

- ابتدائها بالحروف المقطعة.
- وجود سجدة تلاوة.
- احتوائها على قصص الأنبياء والأمم السابقة.

أما من ناحية السمات الموضوعية، فموضوع سورة النمل جاء لتقرير أسس ودعائم العقيدة والدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان باليوم الآخر. وكذلك إقامة البراهين والحجج؛ لتقرير دعائم العقيدة الصحيحة وبيان زيف ما هم عليه.

أما بالنسبة للسمات الأسلوبية فتميّز السورة بكثرة أسلوب التأكيد والاستفهام وتكرار بعض الجمل والكلمات؛ لتقرير وترسيخ المعاني.

<sup>1</sup> يُنظر: أبو شهبة: المصدر السابق، ص 228.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن الجوزي: فنون الأفتان، ص 339.

للاستزادة، ينظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص 162، 163. ونور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط1(1414هـ، 1993م)، ص 58-71. وفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط14(1426هـ، 2005م)، ص 141، 144.

وعلى هذا فإن سورة النمل مكية باتفاق العلماء لانطباق جميع الاصطلاحات الواردة في تعريف المكي والمدني<sup>1</sup>؛ فقد نزلت في مكة قبل الهجرة، كما أنّ بعض الضوابط التي وضعها العلماء والسمات الموضوعية والأسلوبية للقرآن المكي تنطبق عليها.

### المطلب الثالث: عدد آياتها

وتتابع الأدلة على اهتمام المسلمين بكتابتهم العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم يعرفون عدد الآيات والكلمات وحتى الحروف؛ بحيث لو زيد حرف أو نقص تنبهوا لذلك.

ولقد اختلف العلماء في عدد آيات<sup>2</sup> القرآن الكريم، مع أنّ النصّ القرآني المعدودة آياته واحد، لم يختلفوا فيه بزيادة ولا نقصان، ولا تغيير ولا تبديل<sup>3</sup>، ويرجع سبب اختلافهم في عدد آياته إلى توقّف الرسول ﷺ على رؤوس الآيات ليعلم الصحابة رضي الله عنهم رؤوس الآيات، فإذا علموا محلّها وصل القراءة، فيحسب السامع أنّها ليست رأس آية. وكذلك نزول البسملة مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية، ومن قرأ بغيره لم يعدّها آية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> للاستزادة يُنظر: يزيد غربي: الوحدة الموضوعية في سورة النمل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، السنة الجامعية: 2011-2012م، ص 21-24.

<sup>2</sup> الآية في اللغة لها عدة معاني؛ فقد تأتي بمعنى: العلامة، والجماعة، والشخص، والمعجزة، والدليل، والعبرة. يُنظر: الجوهري: الصحاح، مادة (أ ي ا)، ج6، ص 2276. وابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط(1399هـ، 1979م)، ج1، ص 168. ومجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4 (1425هـ، 2004م)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ص 65. وابن منظور: لسان العرب، مادة (أ ي ا)، ج3، ص 185. والراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أ ي)، ص 28. والزيدي: تاج العروس، مادة (أ ي ي)، ج37، ص 122.

أما في الاصطلاح فقد عرفها الجعبري بقوله: "حدّ الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديراً، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة". يُنظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 266. وللاطلاع على تعريف أخرى للفظ "الآية"، ومعرفة العلاقة بين التعاريف اللغوية والاصطلاحية يُنظر: الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص 266، 267. والزرقاني: المصدر السابق، ج1، ص 274، 275. وأبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 312. ومحمد بن لطف الصباغ: محات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3 (1410هـ، 1990م)، ص 67-70.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 87.

<sup>4</sup> يُنظر: الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص 251، 252.

وقد اختلفوا في عدد آيات سورة النمل:

- فعدها الكوفيون : ثلاثا وتسعون آية.
- وعدها الشاميون والبصريون: أربعاً وتسعون آية.
- وعدها المكيون والمدنيون: خمساً وتسعون آية<sup>1</sup>.

والاختلاف وقع في آيتين:

- فزاد الشاميون والبصريون والمكيون والمدنيون آية؛ لأنهم اعتبروا ﴿مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ﴾ [النمل:44] رأس آية.
- وزاد المكيون والمدنيون آية أخرى لوقفهم على ﴿وَأُولُوا بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: 33] كرأس آية<sup>2</sup>.

وسبب اختلاف العلماء في عدد آيات سورة النمل كان بسبب الوقف، فالملاحظ أن نصّ سورة النمل ثابت لا زيادة فيه ولا نقصان.

وتتمّة لهذا المطلب نشير إلى عدد كلمات السورة وحروفها؛ أما عدد كلماتها<sup>3</sup> فقد أورده

<sup>1</sup> يُنظر: ابن الجوزي: فنون الألفان، ص 297. والداني، أبو عمرو الأندلسي: البيان في عدد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1 (1414هـ، 1994م)، ص 199.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن الجوزي: المصدر نفسه، ص 297. و أبو عمرو الداني: المصدر نفسه، ص 199.

<sup>3</sup> والكلمة في اللغة لها أصلان: "أحدهما يدل على نطق مفهم، والآخر على جراح، ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة، ويجمعون الكلمة كلمات وكلمًا". ابن فارس: المصدر السابق، مادة (ك ل م)، ج5، ص 131.

ويطلق لفظ "الكلمة" على الحرف الواحد من حروف الهجاء، كما تطلق على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتطلق على قصيدة بكاملها وخطبة بأسرها. يُنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مادة (ك ل م)، ج4، ص 3922. وأما في الاصطلاح فقد عرّفها أبو البقاء الكفوي بقوله: "كل لفظة دلّت على معنى مفرد بالوضع فهي كلمة، وبعبارة أخرى: كل منطوق أفاد شيئاً بالوضع فهو كلمة، وجمعها كلمات وكلم". أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2 (1419هـ، 1998م)، ص 742.

أبو عمرو الداني<sup>1</sup> في كتابه "البيان في عدّ آي القرآن" وهو: "ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة"<sup>2</sup>.

وأما بالنسبة للحروف<sup>3</sup> فإن عدّها مبحث هامّ من مباحث علوم القرآن، اهتم به العلماء لما له من الفوائد الجليّة؛ "من تعظيم القرآن وتبجيله وحياطته من مدخل الزيادة والنقصان، وفيه التعريف بما لقارئ القرآن إذا هو تلاه كله أو بعضه من الحسنات إذا كان له بكل حرف منه عشر حسنات"<sup>4</sup>.

والحروف اختلف العلماء في عدّها، وذلك راجع لسببين:

**الأول:** راجع إلى أن الكلمة قد تزيد حروفها أثناء نطقها والتلفظ بها على ما هي عليه في كتابتها، وهذا ما قرره أبو عمرو الداني، مثل قوله تعالى: "ألم"، فإن الذين عدّوا الحروف باعتبار اللفظ يجدون تسعة حروف (ألف ولام وفاء ولام وألف وميم وميم وياء وميم)، والذي عدّ الحروف باعتبار الرسم والكتابة يجد ثلاثة حروف<sup>5</sup>.

**والثاني:** راجع إلى الاختلاف في رسم الكلمات في المصاحف العثمانية؛ سواء بالزيادة والنقصان، أو الحذف والإتمام<sup>6</sup>.

وقد عدّت حروف سورة النمل، واختلفت في عدّها على قولين:

<sup>1</sup> هو أبو عمرو عثمان بن سعيد (371هـ-444هـ)، الأندلسي، القرطبي ثم الداني، الإمام الحافظ، الجود المقرئ، عالم الأندلس، إليه المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو، وغير ذلك، من مؤلفاته: جامع البيان في السبع، وكتاب التيسير، وكتاب إيجاز البيان، وكتاب المقنع في الرسم، وغيرها. يُنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص78. وابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، ص195.

<sup>2</sup> أبو عمرو الداني: المصدر السابق، ص199.

<sup>3</sup> الحرف في اللغة واحد حروف التهجي، والحرف في الأصل الطرف والجانب وبه سمي الحرف من حروف التهجي؛ لأنها أطراف الكلمة. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ر ف)، ج10، ص837، 838. وأبو البقاء الكفوي: المصدر السابق، ص393.

<sup>4</sup> أبو عمرو الداني: المصدر السابق، ص75.

<sup>5</sup> يُنظر: أبو عمرو الداني: المصدر السابق، ص75، 76.

<sup>6</sup> يُنظر: أبو عمرو الداني: المصدر السابق، ص76، 77.

الأول: عدّها الثعلبي (ت 427هـ)<sup>1</sup>: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفاً، وكذلك العيني<sup>2</sup> (ت 855هـ)<sup>3</sup>.

الثاني: وقال أبو عمرو الداني: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً<sup>4</sup>.

فالاختلاف في عدد الحروف راجع إلى الاختلاف في مرسوم الخط، وكذلك يرجع إلى لفظ (طس)؛ فعدد حروفها كتابة حرفان، ولفظاً خمسة أحرف (الطاء والألف والسين والياء والنون)؛ فالزيادة في هذه الحالة بين الكتابة واللفظ ثلاثة أحرف.

### المبحث الثاني: موضوعها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها

وفي هذا المبحث سأتطرق إلى موضوع سورة النمل، ثم أنتقل إلى بيان مناسبتها للسورة التي قبلها والسورة التي بعدها.

### المطلب الأول: موضوعها

إنّ الموضوع الرئيسي للسور المكّيّة هو العقيدة، وكذلك الشأن بالنسبة لسورة النمل؛ فقد جاء فيها الحديث عن الإيمان بالله وَرَبِّكَ، ووجوب توحيده في العبادة، كما تناولت السورة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، والحديث عن الإيمان بالوحي، وأنّ الله وحده المطلع على الغيب كله لا يعلمه سواه، كما تبيّنت إلى الإيمان وتوحيد الربوبية وأنّ الله هو الخالق الرازق واهب

<sup>1</sup> هو أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت 427)، النيسابوري، كان أوحد زمانه في علم التفسير والقرآن، عالماً بالعربية، حافظاً موثقاً، واعظاً، من مؤلفاته: التفسير الكبير، وكتاب العرائس في قصص الأنبياء. يُنظر: الذهبي: المصدر السابق، ج 17، ص 435. وابن العماد: المصدر السابق، ج 5، ص 127. والأدنه وي: طبقات المفسرين، ص 106.

<sup>2</sup> هو أبو محمد محمود بن أحمد، بدر الدين (762هـ-855هـ)، العيني، الحنفي، وهو مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، له عدة مصنفات، منها: عمدة القاري في شرح البخاري، مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار، والعلم الهيّب في شرح الكلام الطيّب، وغيرها. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 163.

<sup>3</sup> يُنظر: الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 7، ص 188. والعيني، بدر الدين أبو محمد: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن، سورة النمل)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 (1421هـ، 2001م)، ج 19، ص 145.

<sup>4</sup> يُنظر: أبو عمرو الداني: البيان في عدّ آي القرآن، ص 199.

النعم ، هذا مع إرشاد الناس إلى شكر أنعم الله عليهم، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله<sup>1</sup>.

ومن أجل توضيح تلك المعاني وتشبيهاها احتوت سورة النمل على:

أولاً: التنويه بشأن القرآن؛ معجزة النبي ﷺ الخالدة<sup>2</sup> وأنه كتاب بين واضح، وأنه هدى وبشرى للمؤمنين .

### ثانياً: القصص

كان القصص هو الغالب على سورة النمل؛ حيث عرضت أخبار من قصة موسى ﷺ مع فرعون وقومه، وتفصيل لقصة سليمان ﷺ وما حدث بينه وبين ملكة سبأ "بلقيس"، وذكر لقطات من قصة صالح ولوط عليهما السلام مع قومهما.

وجاء القصص تسلية للرسول ﷺ، ورؤعي فيها حاله إبان نزول السورة وحال الكافرين به من قومه<sup>3</sup>.

ثالثاً: ومن أجل إثبات قضيتي توحيد الربوبية والألوهية؛ فقد علم الرسول ﷺ المناظرة ، وذلك "بيان الأدلة والبراهين على وجود الله وتوحيده من خلق الكون: سمائه وأرضه، بره وبحره، وإلهام الإنسان الإفادة من كنوز الأرض، والهداية في ظلمات البر والبحر، وإمداده بالأرزاق الوفيرة، ومفاجأته بأهوال يوم القيامة ومغيبات الأحداث، وسعة علم الله وتعاقب الليل والنهار"<sup>4</sup>.

رابعاً: وبعد مجادلتهم لإثبات توحيد الله ﷻ (الربوبية والألوهية)؛ انتقلت السورة بعدئذ إلى الإنكار على المشركين تكذيبهم بالبعث والحشر والنشور<sup>5</sup>، كما تم إعلام النبي ﷺ بأنه لا فائدة من

<sup>1</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، وبيروت، لبنان، ط33(1425هـ، 2004م)، ج19، ص2624. وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص253.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص253. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص217.

<sup>3</sup> يُنظر: حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: معارج التفكير ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1(1423هـ، 2002م)، مج9، ص20.

<sup>4</sup> وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص254.

<sup>5</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص254.

بجاهدته"لتحويل الكفرة الذين تحزن من أجلهم، عن كفرهم إلى الإيمان، بعد أن وصلوا إلى حالة ميؤوس معها من إصلاحهم عن طريق إرادتهم الحرة"<sup>1</sup> حيث شبههم بالموتى والصم والعمي.

خامسا: ألزمت بني إسرائيل بالاحتكام إلى القرآن في خلافاتهم وخصوماتهم.

سادسا: كما تحدثت السورة عن بعض أعراض قيام الساعة كإخراج الدابة التي تكلم الناس، وما يحدث خلالها من النفخ في الصور وما بعدها وهو الحساب والجزاء، هذا مع التنبيه إلى ظواهر كونية تدل دلالة قاطعة على ربوبية الله الواحد الأحد، الذي أتقن كل شيء صنعا، وأن توحيد الربوبية يلزم عنه عقلا توحيد الألوهية؛ فالذي انفرد بالخلق والتسيير جدير أن يُعبد<sup>2</sup>.

سابعا: وتنتهي السورة إلى توصية موجهة من الله ﷻ لرسوله ﷺ، تتضمن إخبار قومه عن نفسه، وعن وظيفته الدعوية، وختمت هذه السورة بإنذار ربّاني عن طريق الكناية، بأن الله سيربهم آياته فيعرفونها، وبذكر أن الله الربّ ليس بغافل عما يعلمون، أي: ولكن يمهلهم حتى آخر قطرة من قطرات معالجتهم، وحينما تقتضي حكمة الله تعذيبهم وإهلاكهم يُنزل بهم ما يستحقون بالعدل<sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها وما بعدها

وقبل الكلام عن مناسبة<sup>4</sup> السورة لما قبلها وما بعدها أشير في هذا المطلب إلى ترتيب السورة النزولي والمصحفي، حيث ومن خلال الروايات الواردة في مكيّة السور؛ فإن سورة النمل نزلت بعد

<sup>1</sup> حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 20.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 21.

<sup>3</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 21.

<sup>4</sup> ومعنى المناسبة في اللغة يدور حول: المشاكلة والمقاربة، وتعلق واتصال شيء بشيء. يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (مادة نسب)، ج49، ص 4405. والفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8(1426هـ، 2005م)، ص137. وابن فارس: مقاييس اللغة، ج5، ص 423. والجرجاني، علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د،س ط)، ص 202.

وأما في الاصطلاح فأول تعريف لها نجده عند البقاعي حيث قال: " فعلم مناسبات القرآن علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه". برهان الدين البقاعي، أبو الحسن إبراهيم: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، ج1، ص 6.



ولقد انقسم العلماء إزاء علم المناسبات إلى ثلاثة آراء : **الرأي الأول**: يقول بعدم وجود المناسبة أصلاً وتمثل له بالشوكاني. يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1 (1427هـ، 2007م)، ج1، ص113، 114.

**والرأي الثاني**: ويمثل له جمهور الذين اشتغلوا بها وأفروها وبينوا مكانتها في كتاب الله، وتمثل له ب: الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 (1401هـ، 1981م)، ج10، ص145، الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص38. وأبو بكر بن العربي في سراج الميردين (ذكره الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص36)، والبقاعي: المصدر السابق، ج1، ص6. والسيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج3، ص273.

**والرأي الثالث**: توسط بين الرأيين ونبه إليها في مواطن ظهورها ولم يتكلف فيما خفي منها وتمثل له بالعز بن عبد السلام. يُنظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط1 (1419هـ، 1999م)، ص515.

للاستزادة يُنظر: أحمد حسن فرحات: مناسبات الآيات والسور، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 10. وعبد الله بن مقبل بن ظافر القرني: المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص105-123.

ولهذا العلم فوائد عظيمة نذكر منها: **أولاً**: إن الوقوف على العلاقة الموجودة بين أجزاء الكلام؛ يساعد على إبراز الارتباط المتين بين سوره وآياته وكلماته، مما يجعل " أجزاء الكلام بعضه آخذاً بأغناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء". الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص36.

**ثانياً**: ومن ثمرة هذا العلم معرفة الأسرار البلاغية التي تنطوي تحت هذا الترتيب والنظم، ومعرفة العلاقة بين الآيات والمقصود العام للسورة؛ ولهذا يقول البقاعي عند الكلام عن فوائد وثمرات هذا العلم: " وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو". برهان الدين البقاعي: المصدر السابق، ج1، ص6.

**ثالثاً**: وبالإضافة إلى نظرية النظم في الإعجاز القرآني والتي جاء بها عبد القاهر الجرجاني والتي تعتمد على معرفة علل وأسباب ترتيب الكلمات، فإن العلم بالمناسبة بين الآيات والسور يعيننا " على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآني، فالتأمل في لطائف نظم سور الكتاب وفي بدائع ترتيبها -رغم تنجيمها على نيف وعشرين سنة- يتبين أن القرآن مصدره الحكيم الخبير، وأنه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو معجز من جهة ترتيبه ونظم آياته وسوره". ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1 (1410هـ، 1990م)، ص70.



سورة الشعراء وقبل سورة القصص، وقد توافقت هذا الترتيب مع الترتيب<sup>1</sup> المصحفي، حيث تقع سورة النمل في المصحف بعد الشعراء وقبل القصص.

وإذا كانت مرتبتها حسب النزول<sup>2</sup> 45<sup>2</sup> وفي رواية<sup>3</sup> 47<sup>3</sup> من أصل 85 سورة، فإن ترتيبها في المصحف 27.

أمّا بالنسبة للمناسبة بين الآيات فهيتظهر تارة وتختفي أخرى، وظهورها أكثر من خفائها؛ وذلك لأنّ الكلام لا يتمّ بآية واحدة في الغالب، ويحتاج إلى آية أخرى تكملها أو آيات، فتأتي آيات متتابعة في موضوع واحد؛ أمّا بين السور فهي على عكس ذلك؛ لأنّ الغالب في السورة أنّها تتكلم في موضوع واحد مكتمل، حيث تتظافر آياتها لبيانها، فلا تحتاج إلى سورة أخرى تكمل موضوعها.

وبسبب ما سبق نجد انشغال المفسرين بإبراز المناسبة بين الآيات أكثر من وقوفهم على ما بين السور من المناسبات والعلاقات والروابط<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> إذا كان ترتيب الآيات توقيفي وذلك بإجماع كما حكاها الزركشي وأبو جعفر، وحزم السيوطي بذلك؛ فإن ترتيب السور قد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال: **القول الأول**: أن ترتيب السور توقيفي، ولم يدخله اجتهاد، وأن ترتيبها كما هو في المصحف إنما كان من الشارع وتوقيف منه لا فرق في ذلك بين ترتيب الآيات والسور.

**القول الثاني**: هو الرأي الذي يقول بأن بعض السور عُرف ترتيبها من الرسول ﷺ كالسبع الطوال، والحواميم، والمفصل، والبعض الباقي اجتهاد الصحابة في ترتيبه.

**القول الثالث**: قال أصحابه: بأن هذا الترتيب كان باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وأن الرسول ﷺ قد فوّض أمره إلى أمته من بعده، مستدلين على ما ذهبوا إليه باختلاف الصحابة في ترتيب مصاحفهم.

والذي تجدر الإشارة إليه؛ أن هذا الترتيب واجب الاتباع في كل الحالات للاطلاع والاستزادة ينظر: الزركشي: المصدر السابق، ج1، ص 257. الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، 287/1. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مطبعة المدني، مصر، ط11 (1421هـ، 2000م)، ص 135-138. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص 119. عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني: المصدر السابق، ص 120. محمد بن لطف الصباغ: لمحات في علوم القرآن، ص 76. أبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن، ص 321. وابن الزبير الغرناطي: المصدر السابق، ص 46-61.

<sup>2</sup> يُنظر: البيهقي: دلائل النبوة، ج7، ص 142، 143، 144.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن الضريس: فضائل القرآن، ص 33، 34.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن الزبير الغرناطي: المصدر السابق، ص 69.

ولهذا نجد من العلماء من يشجع على التنقيب والبحث على وجه المناسبة بين الآيات، ويُعدّ التماس الترابط بين السور نوع من التكلّف، وفي هذا الصدد يقول صبحي الصالح: "والحق أن الذي ينبغي التنقيب عنه والاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأول وجه المناسبة بين الآيات،... أما التماس أوجه الترابط بين السور -على ما فيه من تعسّف وتكلّف- فهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي -ولهذا انتصرنا وعليه عولنا-، إلا أن ترتيب السور التوقيفي لا يستلزم حتماً أن يكون بين كل سورة سابقة وكل سورة لاحقة أو اصر قرى<sup>1</sup>".

ولكن الزركشي يرى العكس، ويدعونا إلى البحث والتماس المناسبة الموجودة بين خاتمة السورة الأولى وفتحة الثانية حيث يقول: " وإذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى"<sup>2</sup>.

إنّ خفاء ودقة المناسبة بين السور لا يعني عدم وجودها، بل يجب البحث والتنقيب عنها، فحتى القارئ البسيط إذا قرأ القرآن تساءل عن سبب وعلة ترتيب هذه السورة وراء تلك. ننتقل الآن إلى بيان وجه المناسبة بين السورة محل الدراسة مع سابقتها ولاحقتها.

### الفرع الأول: مناسبتها لسورة الشعراء

وأبدأ بمناسبة سورة النمل للسورة التي قبلها وهي سورة الشعراء؛ حيث تظهر المناسبة بينهما من عدة نواحي:

#### أولاً: من ناحية النزول

من خلال الآثار التي وردت في نزول هاتين السورتين يتبيّن أنّ السورتين نزلتا بهذا الترتيب، وكذلك الناظر في المصحف يلحظ ترتيب سورة النمل عقب سورة الشعراء<sup>3</sup>. فلا شك أن هذا الترتيب؛ سواء في النزول أم في المصحف له دلالاته وأسراره.

<sup>1</sup> صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10 (1977م)، ص152، 151.

<sup>2</sup> الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص38.

<sup>3</sup> يُنظر: محمود آلوسي، أبو الفضل شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د، ط، س)، ج19، ص154. ووهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص252.

## ثانيا: التشابه في الافتتاحية

ابتدأت سورة الشعراء ب ﴿ طَسَمَ ﴾، وابتدأت سورة النمل ب ﴿ طَسَّ ﴾ ، فكلا السورتين ابتدئت بالأحرف المقطعة، بالإضافة إلى اشتراكها في الحرفين الذين ابتدئت بهما كلتاهما وهما (الطاء والسين)، مع زيادة حرف (الميم) في سورة الشعراء ، ولا شك أن " مجيء سورة النمل بهذه الافتتاحية هو تأكيد للمقصود بهذه الحروف وهو تحدي العرب بالقرآن الذي جاء بحروف لغتهم، المركبة في جمل، بزيادة أحيانا ونقص أحيانا من تلك الحروف"<sup>1</sup>.

## ثالثا: التشابه في المقدمة

في الغالب نجد المناسبة بين خاتمة السورة الأولى وافتتاحية الثانية؛ إلا أننا نلاحظ في هاتين السورتين -بالإضافة إلى التشابه في الافتتاحية ب ﴿ طَسَمَ ﴾ ، و ﴿ طَسَّ ﴾ - وجود تشابه في مقدمة السورة الذي يدور حول وصف القرآن وأنه من عند الله، حيث قال في بداية الشعراء: ﴿ تَلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الشعراء:2]، وقال في سورة النمل: ﴿ تَلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل:1]<sup>2</sup>.

## رابعا: التفصيل والإجمال

فصلت سورة النمل ما جاء في سورة الشعراء من قصص، ومن القصص التي فصلتها سورة النمل نبدأ ب:

## 1- قصة موسى ﷺ

فالآيات في سورة النمل الواردة في قصة موسى ﷺ من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى ... فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: 7-14] تتحدث على ما وقع بعد الفرار، فقصة

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 253.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 253.

النار والعصى والآيات التسع، واصطفائه بالنبوة والرسالة؛ كل هذا تفصيل لقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 21]<sup>1</sup>.

## 2- قصة لوط عليه السلام

وأما قصة لوط عليه السلام فقد اعتبر السيوطي أنها مفصلة في سورة النمل؛ حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 160-175]، وفي سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ... فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [النمل: 54-58]. واعترض على قوله هذا بمخالفته للواقع؛ فقصة لوط عليه السلام "في الشعراء أطول، ولكنها ذُكرت في النمل مع بيان أقصى ما وصلوا إليه من الانحلال الخلقي والانتكاس العقلي؛ إذ عدوا طهارة لوط عليه السلام مما يفعلونه جريمة يستحق عليها النفي من البلاد، ولم يرد هذا التعليل في الشعراء، فلعل البسط في المعاني لا في المقدار"<sup>2</sup>.

خامسا: وبالإضافة إلى تفصيل سورة النمل لقصة موسى ولوط عليهما السلام على ما هي عليه في سورة الشعراء؛ فإن سورة النمل تعتبر كالتتمة لسورة الشعراء؛ حيث ذكرت قصة أخرى لم يرد ذكرها في سورة الشعراء، وهي قصة داود وسليمان عليهما السلام.<sup>3</sup>

## سادسا: وحدة القصد من القصص

يُعدّ القصص القرآني أحد وسائل تسلية الرسول ﷺ؛ فالسورتان تلتقيان في بيان وحدة القصد من القصص القرآني؛ وهو تسلية الرسول ﷺ عما يلقيه من أذى قومه، وإعراضهم عنه،

<sup>1</sup> يُنظر: الآلوسي: روح المعاني، ج19، ص154. ووهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص252.

<sup>2</sup> السيوطي، جلال الدين: أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط2(1398هـ، 1978م)، ص122.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص252. والمرآغي، أحمد مصطفى: تفسير المرآغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1(1365هـ، 1946م)، ج19، ص118. والآلوسي: المصدر نفسه، ج19، ص154.

وإصرارهم على الكفر به<sup>1</sup>.

سابعاً: وفي الأخير بيان مناسبة خاتمة سورة الشعراء لبداية سورة النمل، والغالب في هذه المناسبة أنها تكون واضحة للمفسرين؛ فلما ختم سورة الشعراء بالحديث عن القرآن وعن مصدره، ونفي الشُّبه والأقويل عنه ببيان وجه التباين بينه وبين ما يفترونه على القرآن، ابتداءً سورة النمل بالتأكيد بصورة قطعية أنه تنزيل من رب العالمين، وأنه من غير الممكن أن يكون مفترىً على الله عَلَّيْ<sup>2</sup>.

يتبين مما سبق المناسبة والعلاقة التي تربط سورة النمل بسورة الشعراء؛ وهذا من خلال التشابه بينهما في الافتتاحية بالحروف المقطعة، والتنويه بشأن القرآن، وكذلك اتحادهما في وحدة القصد من القصص.

وكذلك التكامل الموجود بينهما؛ من خلال تفصيل سورة النمل لما أُجمل في سورة الشعراء، ومن خلال ذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام التي لم تذكر في سورة الشعراء.

### الفرع الثاني: مناسبتها لسورة القصص

وأما مناسبة سورة النمل للسورة التي جاءت بعدها وهي سورة القصص تظهر من خلال:

#### أولاً: من ناحية النزول

فإن سورة القصص نزلت في أعقاب سورة النمل، ورتبت وراءها في المصحف.

#### ثانياً: التشابه في الافتتاحية

كذلك التشابه بينهما في الافتتاحية بحروف مع زيادة حرف الميم في سورة القصص وكذلك التشابه في البداية وهي الإشارة إلى آيات القرآن الكريم.

<sup>1</sup> يُنظر: المراغي: المصدر السابق، ج19، ص 118. وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 253. والآلوسي: المصدر السابق، ج19، ص 154. ابن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 138.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 25

## ثالثا: من ناحية المواضيع

نلاحظ في سورة القصص تفصيل لبعض المواضيع وإجمال لأخرى مما جاء في سورة النمل.

## 1- ومما أوجز في سورة النمل ووسط في سورة القصص

أ- قصة موسى عليه السلام:

إذا قلنا إن سورة النمل قد فصلت قصة موسى عليه السلام أكثر مما جاء في سورة الشعراء؛ فإن سورة القصص أضافت وفصلت في هذه القصة، وذكرت حلقات لم تذكر لا في سورة الشعراء ولا في النمل.

فإذا جاء في سورة النمل قصة موسى بعد فراره من فرعون؛ فإن سورة القصص ذكرت القصة من البداية؛ حيث بدأت "ببيان استعلاء فرعون وظلمه، وذبحه أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسى عند ولادته في اليمّ، خوفاً عليه من الذبح، ثم انتشال فرعون له، وتربيته في قصره عنده إلى سنّ الشباب حيث حدثت حادثة قتله القبطي، التي استوجبت فراره من مصر إلى مدين، وزواجه بابنة شعيب عليه السلام ثم مناجاته ربه وبعثه إياه رسولا وما تبع ذلك"<sup>1</sup>.

## ب- توبيخ المشركين:

ومن المواضيع التي أجمت في سورة النمل موضوع توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة<sup>2</sup>، ونجده مفصلا في سورة القصص؛ "حيث فصلت موقف القرآن من توبيخ المشركين على إنكارهم يوم القيامة، من خلال الإخبار بإهلاك الكثيرين من أهل القرى بسبب ظلمهم، والتساؤل عن شركاء الله يوم القيامة وما يدور بينهم وبين عبدتهم من نقاش انتهى بتبرئتهم من عبادتهم، وإيراد الأدلة المتضاربة لإثبات قدرة الله على الخلق والإيجاد والبعث والإعدام"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 51.

<sup>2</sup> يُنظر: المراغي: تفسير المراغي، ج20، ص 30. والآلوسي: روح المعاني، ج20، ص 42.

<sup>3</sup> وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج20، ص 51، 52.

## 2- ومما فُصِّل في سورة النمل وأوجز في سورة القصص

أ- إهلاك الأقسام السابقة: فقد فُصِّل في سورة النمل أحوال المهلكين من قوم صالح وقوم لوط عليهما السلام، وأجمله في سورة القصص بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ...﴾ [القصص: 58]<sup>1</sup>.

ب- حال من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة: حيث بُسِّط في سورة النمل حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز سبحانه في سورة القصص بقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: 84]، فلم يذكر ﷻ من حال الأولين أمنهم من الفرع، ومن حال الآخرين كب وجوههم في النار<sup>2</sup>.

## رابعا: مناسبة خاتمة سورة النمل لبداية سورة القصص

1- إن قوله تعالى معلما للرسول ﷺ وأمرًا: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ...﴾ [النمل: 91]، إلى قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا...﴾ [النمل: 93] تتضمن من التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما انجزَّ معه الإشعار والإشارة إلى أنه ﷻ سيفتح مكة ويملكها لأنها بلد ربه وملكه، ففي هذا من الإشارة مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾ [القصص: 85]<sup>3</sup>.

ففي كلتا السورتين إشارة وبشارة للرسول ﷻ بأنه سيعود إلى مكة وأنه سيفتحها.

2- "قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ...﴾ [النمل: 92]، أي: ليسمعه، فيتذكر من سبقت له السعادة، ويلحظ سنة الله في العباد والبلاد، ويسمع ما جرى لمن عاند وعتا وكذب واستكبر،

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 20، ص 52. والمراغي: المصدر السابق، ج 20، ص 30. والآلوسي: المصدر السابق، ج 20، ص 42.

<sup>2</sup> يُنظر: الآلوسي: المصدر السابق، ج 20، ص 42. وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 20، ص 52. والمراغي: المصدر السابق، ج 20، ص 30.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن الزبير الغرناطي: البرهان في ترتيب سور القرآن، ص 139.



وكيف وقصه الله وأخذه، ولم يغن عنه حذره، وأورث مستضعف عباده أرضه ودياره، ومكن لهم في الأرض، وأعزّ رسله وأتباعهم: ﴿نَلُّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: 3]، أي: يصدقون ويعتبرون ويستدلون فيستوضحون<sup>1</sup>.

فقصة موسى عليه السلام مع فرعون والتي جاءت في بداية سورة القصص هي من الأنباء التي دعانا الله لتتلوها في القرآن لنعبر منها.

**3-** وقوله تعالى: ﴿... سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ...﴾ [النمل: 93]، "يشير إلى ما حلّ بهم يوم بدر، وبعد ذلك إلى يوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا، وعزة أقوام وذلة آخرين بحكم: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ...﴾ [الحجرات: 13] إلى فتح الله على الصحابة وما وعدهم به نبيهم، فكان كما وعد<sup>2</sup>.

ففي نهاية سورة النمل إشارة إلى ما سيحل بكفار قريش، وإشارة إلى ما سيؤول إليه الوضع؛ من عزة للمسلمين وذلة للكافرين، ثم يفتح سورة القصص بالحديث على علو فرعون، واستضعافه لبني إسرائيل، وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لكفار قريش: "ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون وآله، ولا حال مستضعفي المؤمنين بمكة - ممن قصدتم فتنته في دينه - بدون حال بني إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح أبنائهم، فهلا تأملتم عاقبة الفريقين، وسلكتم أنهج الطريقين، فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للمتقين، فقال سبحانه بعد افتتاح السورة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص: 4]<sup>3</sup>.

فالعلاقة إذن بين سورة النمل وسورة القصص كذلك علاقة تشابه وتكامل؛ التشابه في الافتتاحية، والتكامل من خلال تفصيل سورة القصص لقصة موسى عليه السلام أكثر مما جاء في سورة القصص، وتفصيل سورة النمل لإهلاك قوم صالح ولوط عليهما السلام وإجمال ذلك في سورة القصص، كما يوجد تسلسل وتتابع للكلام بين خاتمة سورة النمل وبداية سورة القصص.

<sup>1</sup> ابن الزبير الغرناطي: المصدر السابق، ص 139.

<sup>2</sup> ابن الزبير الغرناطي: المصدر السابق، ص 139.

<sup>3</sup> ابن الزبير الغرناطي: المصدر السابق، ص 139.



إذن فسورة النمل من السور المكية، والتي يدور موضوعها حول العقيدة؛ فتحدثت عن الإيمان بالله وتوحيده، والإيمان باليوم الآخر، وهذا اعتماداً على إيراد قصص الأنبياء السابقين، وإيراد الأدلة والبراهين على صحة ذلك.

الشيخ الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

# المفصل الأول

خصائص المفردات في سورة النمل

## الفصل الأول: خصائص المفردات في سورة النمل

وفي هذا الفصل نقوم بإيضاح خصائص المفردات في سورة النمل وذلك من خلال دراسة المفردات من حيث مادتها، سواء أكانت اسماً، أم فعلاً، أم حرفاً (المبحث الأول)، والتعريف والتنكير والأغراض التي جاء من أجلها في هذه السورة (المبحث الثاني).

وتندرج موضوعات هذا الفصل تحت ما يسمى بـ (علم المعاني)، وقد عُرِّف بتعريفات عديدة نذكر منها تعريف السكاكي<sup>1</sup>، الذي يعرفه بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام؛ التراكيب الصادرة عن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء"<sup>2</sup>. وأما القزويني<sup>3</sup> فيعرفه بقوله: "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"<sup>4</sup>.

ومن خلال هذين التعريفين نخلص إلى أنّ علم المعاني هو علم يبحث في أحوال اللفظ وتراكيب كلام البلغاء المطابق لمقتضى الحال؛ من أجل استخلاص خصائصه، وبالتالي الاحتراز من الوقوع في الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال.

<sup>1</sup> هو يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي (555هـ-626هـ)، الحُوَارِيّ، كان إماماً في النُّحو والتصريف والمعاني والبيان، والاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون، من مؤلفاته: مفتاح العلوم. يُنظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص364. وابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7، ص215.

<sup>2</sup> السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد علي: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1420هـ، 2000م)، ص247.

<sup>3</sup> هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني (666هـ-739هـ)، الشافعي، الدمشقي، من الأدباء الفقهاء، كان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، فضائله كثيرة، من مؤلفاته: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، والإيضاح، والصور المرجاني في شعر الأرجاني. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص192.

<sup>4</sup> الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د(ط)، س(ط)، ص15.

## المبحث الأول: المفردات من حيث مادتها

من أجل إبراز أهمية المفردة من حيث مادتها سأتطرق إلى سرّ اصطفاء المفردات؛ سواء أكانت اسماً أم فعلاً (المطلب الأول)، كما سنتعرف على سرّ اصطفاء حروف المعاني (المطلب الثاني).

وتندرج هذه الدراسة ضمن موضوع الترادف<sup>1</sup>؛ والذي اهتمّ بدراسته علماء اللغة، وبما أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فقد اعتنى كذلك المشتغلون بالقرآن الكريم بدراسة هذا الموضوع (الترادف في القرآن الكريم)؛ ولكن ليس مقصوداً لذاته؛ وإنما جاء الكلام عنه في غضون الكلام عن الأحرف السبعة، والتوكيد، والمتشابه. وقد انقسم العلماء بين مثبت ونافي للترادف؛ سواء في اللغة العربية عامة، أم في القرآن الكريم خاصة<sup>2</sup>.

فمثلاً ابن الأثير<sup>3</sup> يثبت الترادف ويرى أن السرّ في اختيار المفردات يرجع إلى الذوق من خلال وضع الألفاظ في الموضع الذي يليق بها من حيث السبك و الرونق، ولا يرجع إلى الاختيار الدقيق للألفاظ من حيث المعنى، فيقول في هذا الصدد: "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه، وجلّ نظره.

<sup>1</sup> الترادف في اللغة من ردف، والراء والبدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع الشيء، فالترادف التتابع. يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، باب (ردف)، ج2، ص 503. وابن منظور: لسان العرب، مادة (ردف)، ج18، ص 1625-1627.

وأما اصطلاحاً فقد عرفه الجرجاني بقوله: الترادف: "عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة على شيء واحد باعتبار واحد". الجرجاني، علي بن محمد: معجم التعريفات، ص 50.

<sup>2</sup> للاطلاع على آراء العلماء حول موضوع الترادف يُنظر: محمد نور الدين المنجد: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط1 (1417هـ، 1997م)، ص 109-126.

<sup>3</sup> هو أبو الفتح نصر الله بن أبي بكر، ضياء الدين ابن الأثير الجزري (558-637هـ)، الكاتب، والوزير، كان من العلماء الكتاب المتسلسلين، من مصنفاته: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. يُنظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د(ط)، س(ط)، ج5، ص389. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص72. والزركلي: الأعلام، ج8، ص31.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ [الأحزاب:4]، وقوله تعالى: ﴿... رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا...﴾ [آل عمران:35]، فاستعمل "الجوف" في الأولى، و"البطن" في الثانية، ولم يستعمل "الجوف" موضع "البطن"، ولا "البطن" موضع "الجوف"، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحد، ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل<sup>1</sup>.

والرأي الذي نميل إليه هو أن لا ترادف بين الألفاظ في القرآن الكريم، ولكن نقول بتقارب معاني هذه الألفاظ، وهذا كما قال ابن تيمية<sup>2</sup> عند كلامه عن أسباب اختلاف السلف في التفسير: " .. أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يُعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه ؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه ، وهذا من أسباب إعجاز القرآن"<sup>3</sup>.

فابن تيمية قال هذا الكلام في معرض الحديث عن اختلاف السلف في تفسير القرآن الكريم، وذلك أن كل واحد منهم يستعمل لفظاً مخالفاً لما يستعمله الآخر؛ فيُظن أن هذه الألفاظ المفسرة هي مرادفات للفظ المراد تفسيره، وفي الحقيقة أن استعمال تلك الألفاظ هو بالتقريب فقط من أجل فهم القرآن، فالتفسير ما هو "إلا محاولة للفهم على وجه الشرح والتقريب"<sup>4</sup>.

ونظراً لعدم وجود ألفاظ مترادفة في القرآن الكريم، وكل لفظة لها المعنى الدقيق الخاص بها، وفي السياق الذي وردت فيه؛ فإننا لا نستطيع أن ننزع لفظة من كتاب الله ونعوضها بأخرى كما قال

<sup>1</sup> ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، (د، ط، س، ط)، ج1، ص 164.

<sup>2</sup> هو أحمد بن عبد الحليم أبو العباس تقي الدين ابن تيمية (661هـ - 728هـ)، الدمشقي، الحنبلي، شيخ الإسلام، نظر في الرجال والعلل وتفقه وصدق ودرس وأفتى، وتوسع في المنقول والمعقول، له مصنفات كثيرة، منها: السياسة الشرعية، الفتاوى، شرح العقيدة الأصفهانية، وغيرها. يُنظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ص144. والزركلي: الأعلام، ج1، ص144.

<sup>3</sup> محمد بن صالح العثيمين وآخرون: شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1 (1430هـ، 2009م)، ص 109.

<sup>4</sup> عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (د، س، ط)، ج2، ص9.

ابن عطية<sup>1</sup> في تفسيره: " كتاب الله لو نزعته منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"<sup>2</sup>.

إن اختيار كلمة دون أخرى مع تقارب معانيها ووجود فروق دقيقة بينها، في سياق ما، ليس بالأمر اليسير، ولا يدرك ذلك إلا من أوتي حظاً وافراً من البلاغة.

وهذا ما نلاحظه في القرآن الكريم؛ من حسن اصطفاء الكلمات ووضعها الموضع اللائق بها، وحسب السياق الذي وردت فيه، فهو يصطفي الألفاظ بمنتهى الدقة؛ لتعبّر على المعنى الدقيق الذي وُضعت له، وهذا ما أشار إليه الجاحظ<sup>3</sup> في كتابه البيان والتبيين، حيث قال: " وقد يستخفّ الناس ألفاظاً، ويستعملونها، وغيرها أحقّ بذلك منها، ألا ترى أن الله -تبارك وتعالى-، لم يذكر في القرآن (الجوع) إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون (السغب)، ويذكرون (الجوع) في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر (المطر)؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة، لا يفصلون بين ذكر المطر، وذكر الغيث... ولا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية (481هـ-542هـ)، الأندلسي، المالكي، القاضي، كان عالماً بالتفسير، والأحكام والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، له نظم ونثر، من تصانيفه؛ تفسيره المسمى "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". يُنظر: ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن يحيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1417هـ، 1996م)، ص275. والزركلي: المصدر السابق، ج3، ص282.

<sup>2</sup> ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 (1423هـ، 2002م)، ص29.

<sup>3</sup> هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ (163هـ-255هـ)، البصري، المعتزلي، كبير أئمة الأدب، له تصانيف كثيرة منها: كتاب البيان والتبيين، والحيوان، وكتاب العرجان والبرصان والقرعان. يُنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 (1414هـ، 1993م)، ج5، ص2101. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص470. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص228. والزركلي: المصدر السابق، ج5، ص74.

<sup>4</sup> الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط7 (1418هـ، 1998م)، ج1، ص20.

وأما الخطابي<sup>1</sup> فقد جعل عمود بلاغة القرآن الكريم وضع الألفاظ الموضع الأخص بها، بحيث لو أُبدلت بأخرى ينتج؛ إما فساد المعنى أو سقوط البلاغة، لأن لكل لفظة ما يميزها عن أختها، حيث قال: "ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة، والبخل والشح، ..، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبته في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها"<sup>2</sup>.

ومن الباحثين المحدثين الذين تطرقوا لهذا الموضوع محمد عبد الله دراز<sup>3</sup> في كتابه "النبا العظيم" وهذا أثناء حديثه عن جديد لغة القرآن حيث قال: "الجديد في لغة القرآن: أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول، يتخير له أشرف المواد، وأمسّها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها، الذي هو أحق بها، وهي أحق به"<sup>4</sup>.

وهكذا نجد العلماء ينبهون على عدم وجود الترادف بين ألفاظ القرآن الكريم، وإنما يوجد تقارب للمعنى فيما بينها، فهناك فروق دقيقة لا يدركها إلا من بحث وغاص في معاني الألفاظ؛ لذلك فاصطفاء المفردات في القرآن الكريم لا يرجع إلى الذوق في وضع المفردة في موضعها اللائق فقط، بل يتعداه إلى الاصطفاء الدقيق للمفردات من حيث المعنى الملائم والمناسب للسياق الذي وردت فيه.

<sup>1</sup> هو أبو سليمان أحمد بن محمد، الخطابي، البستي (319هـ-388هـ)، كان فقيها وأديبا ومحدّثا، له التصانيف البديعة منها: غريب الحديث، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وشأن الدعاء وغيرها. يُنظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص214. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص546.

<sup>2</sup> الخطابي، أبو سليمان أحمد: ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 (1976م)، ص29.

<sup>3</sup> هو محمد بن عبد الله دراز (ت1958م)، فقيه متأدب مصري أزهرى، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها: الدين (دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام)، وكتاب النبا العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم). يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص246.

<sup>4</sup> محمد عبد الله دراز: النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، (د، ط، س)، ص92.

وفي هذا المبحث أحاول جاهدة استخراج وإظهار الفروق الدقيقة بين الكلمات التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم، مقسمة هذا المبحث إلى مطلبين؛ أحدهما خصصته للمفردات المصطفاة سواء أكانت اسما أمفعلا، والآخر لحروف المعاني.

### المطلب الأول: دقة معاني المفردات في سورة النمل

في هذا المطلب نبين لماذا عبر القرآن بكلمة دون أخرى وإن كانت تقاربها في المعنى، ونبحث عن سرّ هذا التعبير، وهذا بمقارنتها بما ورد في القرآن الكريم؛ لنثبت أهمية اصطفاء اللفظة حسب السياق الذي وردت فيه، وذلك من خلال دراسة المفردات في قصة موسى عليه السلام (الفرع الأول)، وأيضا من خلال دراسة المفردات في قصة سليمان عليه السلام (الفرع الثاني).

#### الفرع الأول: المفردات الواردة في قصة موسى عليه السلام

ونبدأ بدراسة بعض الألفاظ التي ورد ذكرها في سورة النمل بشأن قصة موسى عليه السلام، وهي ليست نفس الألفاظ الواردة في سور أخرى من القرآن والتي جاء فيها ذكر القصة.  
أولا- لفظ "شهاب"

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتیکم منها بخبرٍ أو آتیکم

بشهابٍ قسٍ لعلکم تصطلون﴾ [النمل: 7].

لقد كان موسى عليه السلام سائرا هو وأهله من مدين إلى مصر - كما قال المفسرون - في ليلة مظلمة وباردة، فاشتبه عليهما الطريق، فأبصر نارا بعيدة، فاستبشر وقال لزوجته سأتی بخبر منها عن الطريق، أو آتی بشعلة منها لنستدفئ بها<sup>1</sup>.

فجاء التعبير بـ ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، ونفس هذا المقطع من القصة

ورد في سورة القصص، ولكن بقوله: ﴿... لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ

النَّارِ...﴾ [القصص: 29]، فلماذا جاء التعبير مختلف مع أن القصة واحدة؟

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 123، 122.



ولننظر أولاً إلى المعنى اللغوي لكل من الشهاب والجذوة، وتبين الفرق بينهما؛ فالشهاب: "شُعْلَةٌ نَارٍ ساطِعَةٌ، وَالْجَمْعُ شُهْبٌ وَشُهْبَانٌ وَأَشْهُبٌ"<sup>1</sup>.

والقبس؛ قيل: هي النار، وقيل: شعلة تقتبس من معظم النار، والاقْتَبَسَ هو الأخذ، أي: تَأْخُذُ مِنَ النَّارِ<sup>2</sup>.

والجذوة والجذوة والجذوة: القَبَسَةُ مِنَ النَّارِ، وقيل: هي الجُمْرَةُ، وَالْجَمْعُ جِذًا وَجِذًا، وقال مجاهد: "أو جذوة من النار"، أي: قطعة من الجمر، قال: وهي بلغة جميع العرب. وقال أبو سعيد: الجذوة عودٌ غليظ يكون أحد رأسيه جمرة<sup>3</sup>.

ففي سورة النمل قال موسى ﷺ بأنه سيأتي بشعلة من النار ساطعة، وأما في سورة القصص أخبر بأنه سيأتي بجمرة، والفرق بين التعبيرين يوضحه لنا السامرائي بقوله: "والجحيء بالشهاب أحسن من الجحيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفع أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضاً، فهو أحسن من الجذوة في الاستضاءة والدفع"<sup>4</sup>.

ثم يمضي السامرائي في بيان هذا الفرق بين اللفظتين خاصة في زيادة لفظ "قبس" في آية النمل، وأن هذه الزيادة دلت على ثبات موسى ﷺ وعدم خوفه على عكس ما جاء في آية القصص، وفي هذا الصدد يقول: "ومن ناحية أخرى ذكر أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار، وليس مُخْتَلَساً أو محمولاً منها، لأن الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس، وهذا أدل على القوة وثبات الجنان، لأن معناه أنه سيذهب إلى النار ويقبس منها شعلة ساطعة، أما في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها.

والجذوة قد تكون قبساً وغير قبس. ولا شك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان. وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف، ذكر الجمرة وفي غير موطن الخوف، ذكر الشهاب القبس"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (شهب)، ج26، ص 2347.

<sup>2</sup> يُنْظَرُ: ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (قبس)، ج39، ص 3510.

<sup>3</sup> يُنْظَرُ: ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (جذا)، ج 7، ص 581.

<sup>4</sup> السامرائي، فاضل صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، ط3 (1423هـ، 2003م)، ص 95، 96.

<sup>5</sup> السامرائي: المصدر نفسه، ص 95، 96.

وهكذا نلاحظ تأثير الجو العام للقصة في الألفاظ المنتقاة؛ فلما كان جو سورة القصص يتسم بالخوف فقد عبّر بالجدوة، وأما في سورة النمل فلا يظهر طابع الخوف فعبر بالشهاب<sup>1</sup>. فالسياق العام لسورة القصص يتسم بطابع الخوف مما يقتضي الحذر والسرعة في إحضار جدوة من النار، بينما سياق سورة النمل يتميز بالثبات وهو ما يقتضي الاطمئنان فاستعمل مفردة الشهاب الدالة على الثبات والاطمئنان في التوجه لأخذ قبس من هذه النار، رغم أنّ الحادثة واحدة ولكن التعبير القرآني عنها جاء مختلفا باختلاف المفردات المستعملة التي تناسب السياق.

ثانياً- لفظ "جاءها"

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 8].

وبعضي القرآن الكريم في سرد قصة موسى عليه السلام، ليصل في هذه الآية للحديث عن وصول موسى عليه السلام إلى مكان النار التي رآها، ومناداة الله سبحانه وتعالى له.

وكذلك جاء التعبير في هذه الآية مخالفا لما جاء في سورة طه وسورة القصص؛ حيث قال

تعالى في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾، وقال في سورة طه والقصص: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ [طه: 11]، و[القصص: 30].

وعند الرجوع إلى المعاجم العربية نجدها تفسّر هذا بذلك؛ أي: تفسر المجيء بالإتيان، والإتيان بالمجيء، لكن يذكرون في بعض تعريفات أتى ما يدلّ على المجيء بسهولة ويسر، وذلك في قولهم: "وَأَتَوْا جَدَاوِلَهَا أَي سَهَّلُوا طُرُقَ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا، وَيُقَالُ: أَتَيْتَ الْمَاءَ إِذَا أَصْلَحْتَ بَجْرَاهُ حَتَّى يَجْرِي إِلَى مِقَارِهِ"<sup>2</sup>. إلا ما جاء عند الراغب في المفردات من أن المجيء كالإتيان، ولكن المجيء أعم؛ لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، ومنه يقال للسيل المارّ على وجهه أتى<sup>3</sup>.

وبعد أن عرفنا أن المجيء في اللغة العربية أعم من الإتيان، وأنّ الإتيان مجيء بسهولة، نحاول

الآن أن نعرف سبب وسر استعمال كل لفظ في الآيات السابقة.

<sup>1</sup> يُنظر: السامرائي: المصدر السابق، ص 96.

<sup>2</sup> ابن منظور: المصدر السابق، مادة (أ ت ي)، ج 1، ص 22.

<sup>3</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (أ ت ي)، ص 11، ومادة (ج ي أ)، ص 80.

فُسِّرَ هذا الاختلاف في التعبير بين سورة طه وسورة النمل بكثرة ورود لفظ "الإتيان" في سورة طه، نحو: "فأتياه"، "فلنأتينك"، "ثم أتى"، "ثم اتتوا"، "حيث أتى"، وورد لفظ "جاء" بكثرة في سورة النمل، نحو: "فلما جاءهم"، "وجئتكم"، "فلما جاء سليمان"<sup>1</sup>. فلم ينظر هنا إلى الفرق بين اللفظين من الناحية اللغوية، وإنما إلى عدد مرات ورود كلاهما في السورتين، وهذا ما أكده السامرائي من خلال إحصاء ورود كلا اللفظين في كل سورة، وذلك بقوله: "ولإيضاح ذلك نذكر أن ألفاظ (الإتيان) في طه أكثر منها في النمل، وأن ألفاظ المجيء في النمل أكثر منها في طه، فقد وردت ألفاظ الإتيان في طه خمس عشرة مرة، وفي النمل ثلاث عشرة مرة، ووردت ألفاظ المجيء في طه أربع مرات، وفي النمل ثماني مرات، فاختير لفظ المجيء في النمل والإتيان في طه، ووضع كل لفظ في الموضوع الذي يقتضيه"<sup>2</sup>.

أقول وكذلك هو الحال في سورة القصص فقد ورد لفظ "المجيء" تسع مرات، ولفظ "الإتيان" تسع عشرة مرة. ولكن الملاحظ على سورة النمل ورود لفظ "الإتيان" أكثر من لفظ "المجيء" في السورة نفسها، وعليه فورد لفظ "جاءها" في تلك الآية لا يرتبط بهذا الإحصاء إن قلة أو كثرة، بل سر اختيار هذه المفردة "جاءها" يكمن في مناسبتها للسياق العام لقصة موسى عليه السلام في هذه السورة، وهذا اعتماداً على الفارق اللغوي بين المفردتين وهذا حسب السامرائي نفسه.

حيث ينبه السامرائي على وجود فرق دقيق بين المفردتين؛ ذلك أن لفظ "الإتيان" هو المجيء بسهولة ويسر مثلما قال صاحب المفردات، ولفظ "المجيء" يستعمل لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو صعب وأشقّ مما يستعمل له (أتى) وهذا حسب استقراء مواضعه في القرآن الكريم<sup>3</sup>.

وقد بيّن السامرائي الصعوبة والمشقة التي واجهها موسى عليه السلام في سورة النمل، ومن أجل ذلك جاء التعبير بـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾، ووجه السهولة في سورة القصص التي من أجلها جاء التعبير بـ ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾، وذكر وجوه هذه المشقة والسهولة فيما يلي:

<sup>1</sup> يُنظر: الكرمانلي، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط، س ط)، ص 174.

<sup>2</sup> السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4 (1427هـ، 2006م)، ص 238، 239.

<sup>3</sup> السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 97.

أولاً: في الأسلوب الذي عبّر به موسى عليه السلام؛ فقد استعمل أسلوب القطع في سورة النمل بأن يأتيهم بخبر أو شهاب قيس، بينما استعمل أسلوب الترجي في سورة القصص، حيث ترجّى أن يأتيهم بجذوة من النار، ولا شك أنّ القطع أصعب وأشقّ من الترجي.

ثانياً: الفرق بين الإتيان بشهاب والإتيان بجذوة؛ فقد قطع في سورة النمل بأن يأتيهم بشعلة مقبوسة من النار التي رآها، وفي القصص ترجّى أن يأتيهم بجمرة من النار كما ذكر سابقاً، فالجيء بالشعلة أصعب من الإتيان بالجمرة.

ثالثاً: من حيث المهمة التي كُلف بها موسى عليه السلام؛ فهي أشقّ وأصعب مما كُلف به في سورة القصص، ففي النمل طُلب منه أن يُبلغ رسالة ربه إلى فرعون وقومه، أما في القصص فطُلب منه أن يبلغها فرعون وملئه، في حين أمر بتبليغ رسالته في سورة طه لفرعون وحده، فلا شكّ في أن مهمة تبليغ فرعون وقومه صعبة وشاقة من تبليغ فرعون وحده، أو هو وملئه؛ فدائرة الملأ ضيقة، وهم المقربون والمحيطون به فقط، أما القوم فيشمل الناس في المدن والقرى، وهذه الدائرة الواسعة سيكون التعامل معها صعب وشاق، بسبب العدد الكبير، واختلاف أمزجتهم وتصرفاتهم، واختلاف درجة استجابتهم. بسبب كل هذه الصعوبات في سورة النمل جيء بالتعبير ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾، وأما قوله: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ فلأن ما في سورة القصص أحفّ وأسهل مما في سورة النمل<sup>1</sup>.

وهكذا فاختيار لفظ "الجيء" دون لفظ "الإتيان" في سورة النمل كان اختياراً دقيقاً مناسباً لسياق قصة موسى عليه السلام في هذه السورة.

ثالثاً- لفظ "أدخل"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَبْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل: 12].

<sup>1</sup> يُنظر: السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 96-105.

هذه الآية تتحدث عن معجزة أخرى لموسى عليه السلام بعد معجزة العصى، وهي معجزة إدخال اليد - يد موسى عليه السلام - في الجيب<sup>1</sup> فتخرج مضيئة ساطعة بيضاء تتلألأ دون مرض أو برص<sup>2</sup>.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام أن يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، وهذا الأمر ورد كذلك في سورة القصص ولكن ليس بالفعل "أدخل"، وإنما ورد الأمر بالفعل "أسلك"، فما هو الفرق بينهما يا ترى؟ ولماذا عبّر في سورة النمل بالفعل "أدخل"، وفي سورة القصص بالفعل "أسلك"؟

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أن لفظ "دخل" معناه الولوج، فيقال دَخَلَ يَدْخُلُ دُخُولًا<sup>3</sup>.

وأما لفظ "سلك" فأصله يَدْخُلُ عَلَى نَفُودِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ. يُقَالُ سَلَكَتُ الطَّرِيقَ أَسَلَكُهُ. وَسَلَكَتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ: أَنْقَذْتَهُ<sup>4</sup>.

وقال صاحب اللسان: "سلك: السُّلُوكُ: مَصْدَرُ سَلَكَ طَرِيقًا؛ وَسَلَكَ الْمَكَانَ يَسَلُكُهُ سَلَكًا وَسُلُوكًا. وَالسَّلَكُ، بِالْفَتْحِ: مَصْدَرُ سَلَكَتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ فَاَسَلَكْتُ أَيِ أَدَخَلْتَهُ فِيهِ فَدَخَلَ"<sup>5</sup>.

"وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿لَمَّا تَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الزمر: 21]، أَيِ أَدَخَلَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ. يُقَالُ: سَلَكَتُ الْحَيْطَ فِي الْمِحْيِطِ أَيِ أَدَخَلْتَهُ فِيهِ. وَسَلَكَ يَدَهُ فِي الْجَيْبِ وَالسَّقَاءِ وَنَحْوَهُمَا يَسَلُكُهَا وَأَسَلَكُهَا: أَدَخَلَهَا فِيهِمَا"<sup>6</sup>.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نلاحظ أن من معاني (السلوك) معنى (الدخول)، فيكون (الدخول) أخص من السلوك. معنى هذا أن التعبير في سورة النمل جاء بلفظ (الإدخال)، وهو

<sup>1</sup> وجيب القميص ونحوه، بالفتح: طوقه، وهو الشق الذي يدخل منه الرأس عند لبسه. يُنظر: القاموس المحيط، مادة (جيب)، ص 70. وحبكة الميداني: معارج التفكير، مج 9، ص 44.

<sup>2</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دارالفكر العربي، القاهرة، مصر، د(ط،س ط)، مج 2، ج 19، ص 307.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (دخل)، ج 2، ص 335.

<sup>4</sup> ابن فارس: المصدر نفسه، مادة (سلك)، ج 3، ص 97.

<sup>5</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (سلك)، ج 23، ص 2073.

<sup>6</sup> ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (سلك)، ج 23، ص 2073.

"أخصّ وأشقّ من السلك والسلوك؛ فإن السلك قد يكون سهلاً ميسوراً، قال تعالى في النحل: ﴿...فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا...﴾ [النحل: 69] ، فانظر كيف قال: ﴿ذُلًّا﴾ ليدل على سهولته ويُسره، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 21]، وهل هناك أيسر من سلوك الماء في الأرض وغوره فيها؟<sup>1</sup>. فجاء التعبير بـ "أدخل" مناسبة لمظاهر المشقة والتكليف الصعب في سورة النمل، و "اسلك" مناسبة لمظاهر السهولة واليسر في سورة القصص.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يذكر السامرائي مناسبة أخرى لهذا الاستعمال وهو تكرر ورود الفعل (دخل) ومشتقاته في سورة النمل خمس مرات<sup>2</sup>، بينما لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في سورة القصص<sup>3</sup>.

وأما استعمال الفعل (سلك) في سورة القصص الذي يستعمل كثيراً في سلوك السُّبُل؛ "فلأنه تردد سلوكُ الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى، وهو مُلقى في اليمّ إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقصُّ أثره، وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدين، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيره بأهله بعد قضاء الأجل، بل إنه طوى كُلَّ ذِكْرٍ للسير والسلوك في القصة، فقال مبتدئاً: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سأتىكم منها بخبرٍ...﴾ [النمل: 7] بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نارا...﴾ [القصص: 29] فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 112.

<sup>2</sup>وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ [النمل: 12]، ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾ [النمل: 18]، ﴿وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾

﴿[النمل: 19]، ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ [النمل: 34]، ﴿أَدْخُلِي الصَّحْرَ﴾ [النمل: 44].

<sup>3</sup>ينظر: فاضل صالح السامرائي: المصدر نفسه، ص 111.

<sup>4</sup>فاضل صالح السامرائي: المصدر نفسه، ص 111.

وهكذا فقد جاء لفظ "أدخل"، و"اسلك" مناسبين لسياق قصة موسى عليه السلام في كلا السورتين.

### الفرع الثاني: المفردات الواردة في قصة سليمان عليه السلام

سأقوم بدراسة بعض المفردات التي ورد ذكرها في سورة النمل بشأن قصة سليمان عليه السلام، وسرّ اصطفاؤها اعتماداً على المعنى اللغوي الدقيق لكل مفردة ومناسبتها للسياق الواردة فيه. أولاً- لفظ "الحمد"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَيَّ

كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

لقد شكر كل من داود وسليمان عليهما السلام الله سبحانه وتعالى على نعمة العلم؛ وتفضيلهما بها على كثير من المؤمنين.

ونجد أن لفظ "آتيناً" في هذه الآية يؤذن بأن هذا العلم علم مفاض من عند الله سبحانه وتعالى، فالإيتاء أخصّ من التعليم؛ ولذلك استُغني في هذه الآية عن لفظ "لَدُنَّا"<sup>1</sup>.

ولقد عبّر داود وسليمان عليهما السلام عن شكرهما هذا بلفظ (الحمد)؛ فقالا: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ﴾.

والحمد في اللغة نقيض الذم، ويقال حمدته على فعله، ومنه المحمّدة خلاف المذمّمة<sup>2</sup>.

كما جاء في معجم مفردات القرآن أن الحمد لله تعالى هو "الثناء عليه بالفضيلة"<sup>3</sup>، وأنّ الحمد أعمّ من الشكر؛ "فالشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 233.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (حمد)، ج 12، ص 987.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ح م د)، ص 100.



شكر"<sup>1</sup>، وهذا ما جاء في لسان العرب من أن الحمد أعمّ من الشكر، "فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفة، ولا تشكره إلا على معروفة دون صفاته"<sup>2</sup>.

فالتعبير (بالحمد) في الآية جاء لسببين؛ أحدهما: أن نعمة العلم من النعم العظيمة، فعُبر بلفظ من جنس هذه النعمة، فالحمد أعظم من الشكر. والآخر: أن "الحمد أوقع تأثيراً في النفس من الشكر، فالحمد صفة نفسية عقلية يترك في النفس أثراً، فهو ينبع من قرارات النفس ومن القلب فتجعل الحامد أعلى درجة من الشاكر، وأكثر تجرداً من الأنانية وحب الذات"<sup>3</sup>.

لذلك وردت هذه المفردة بهذه الدقة بما يناسب حال النبيين الكريمين عليهما السلام، وما يتفق مع صفات الله سبحانه وتعالى ونعمه التي أنعمها على داود وسليمان عليهما السلام، وفضلهما على عباده المؤمنين.

ثانياً- اللفظان: "الناس" و"منطق"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْلَ طَيْرٍ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

### 1- لفظ "الناس"

في هذه الآية حديث سليمان عليه السلام عن النعم التي أنعم بها الله سبحانه وتعالى عليه، ومن هذه النعم فهم منطق الطير؛ حيث باستطاعته تمييز مقاصده من نوع تصويته، هذا بالإضافة إلى الخير الكثير في الدين والدنيا من ملك وثروة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الراغب: المصدر السابق، مادة (ح م د)، ص 100.

<sup>2</sup> ابن منظور: المصدر السابق، مادة (شكر)، ج 26، ص 2305.

<sup>3</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، 2001، ص 298.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19، ص 274.



وقد جاء النداء هنا بـ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ولم يقل: (يا أيها الذين آمنوا)؛ "للدلالة على عظمة الشهادة، فأراد أن يُشهد الناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم"<sup>1</sup>، للتشهير بالنعم التي أسبغها الله سبحانه وتعالى عليه، والتنويه بها، والاعتراف بفضلها و مكانتها، ودعاء للناس جميعاً إلى التصديق بذكر المعجزة التي خصه الله بها، وهي علم منطق الطير، وغير ذلك من الأمور العظيمة والباهرة التي أتاه الله إياها<sup>2</sup>.

إن معجزة (علم منطق الطير) اختصّ بها الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام دون سائر وعامة البشر، ولذلك جاء الإشهاد على هذه المعجزة بلفظ عام يشمل جميع البشر.

## 2- لفظ "منطق"

والنطق في اللغة: الكلام، فيقال: "نطق الناطق ينطق نطقاً: تكلم. والمنطق: الكلام"<sup>3</sup>.

والمنطق في حقيقته صوت يشتمل على حروف وتدلّ على معنى، وقد عبّر الله تعالى في هذه الآية عن أصوات الطير بلفظ "منطق" تشبيهاً له بنطق الإنسان؛ لأنّ سليمان عليه السلام يفهم ما في ضمائر الطير، فالتعبير بلفظ "المنطق" هو باعتبار فهم سليمان عليه السلام له؛ لأن من يفهم من شيء معنى، فإنّ ذلك الشيء يعتبر ناطقاً بالإضافة إلى الذي فهمه وإن كان صامتاً، والعكس صحيح<sup>4</sup>.

وقد قال: "منطق"، ولم يقل: (كلام)؛ "على اعتبار أن الكلام صفة لائقة بمنطق البشر من المخلوقات"<sup>5</sup>.

فالتعبير بلفظ "منطق" في هذه الآية كان على اعتبار فهم سليمان عليه السلام له، وعلى اعتبار أنّ الكلام صفة تليق بالبشر.

<sup>1</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 300.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 437. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 276.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (نطق)، ج49، ص 4462.

<sup>4</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (نطق)، ص 376. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 236.

<sup>5</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 300.

ثالثاً- لفظ "تبسم" مقرونا بلفظ "ضاحكا"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿فَنَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19].

تكلنا فيما سبق عن فهم سليمان عليه السلام لمنطق الطير، وها هو ذا فهم قول النملة التي حذرت باقي النمل من أن يحطمهم سليمان عليه السلام وجنوده، ولما فهم قولها ابتسم ضاحكا من قولها "تعجبا من تحذيرها، أو سرورا بما خصه الله به من فهم غرضها"<sup>1</sup>.

وجاء التعبير القرآني عن حالة سليمان عليه السلام عند سماعه كلام النملة بـ ﴿فَنَسَمَ ضَاحِكًا﴾، فلم يذكر التبسم فقط، ولا الضحك فقط؛ "لأن التبسم وحده يكون لأمر غير ذي بال، ولأن الضحك وحده يكون للاستهزاء، وعدم التصديق، فجمع بين التبسم والضحك ليؤكد على أهمية وسمو، وقيمة ما كان سببا للتبسم والضحك وهو ما جاء في قول النملة"<sup>2</sup>.  
فالقرآن الكريم لا يكتفي بالمفردة فقط التي تؤدي المعنى الدقيق؛ بل إذا كانت تلك المفردة موهمة لمعنى آخر غير مراد في الآية، جاء بلفظة أخرى تقاربها في المعنى؛ لتؤكد المعنى الذي سيقى من أجله الآية.

رابعاً- لفظ "تفقد"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِّنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20].

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 276.

<sup>2</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص305.

بعد أن ذكر القرآن الكريم في الآيات السابقة تسخير الجن والإنس والطير لسليمان عليه السلام، وجعلهم جنوداً له، تذكر هذه الآية تفقّد سليمان عليه السلام للطير، ولكنه لم ير الهدهد، وتبين له أنه غائب.

وجاء التعبير باللفظ "تفقّد"، وهذا اللفظ يرجع أصله إلى (فقد) الذي يدلّ على ذهاب شيء وضياعه، ومعنى "تفقّد" تطلّب؛ لأنك تطلبه عند فقدك إياه<sup>1</sup>، أي: تطلبه عند غيبته<sup>2</sup>، وصيغة التفعّل تدلّ على التكلف<sup>3</sup>. فلفظ "التفقّد" يستعمل عند غياب المطلوب.

ومن خلال هذه المعاني نكتشف سبب عدم التعبير بـ (طلب) بدل "تفقّد"؛ لأن التعبير باللفظ "تفقّد" جاء "مناسبا لغياب الهدهد، ولو كان حاضرا لقال: طلب، وأمر"<sup>4</sup>.

لذلك جاء اصطفاء اللفظ "تفقّد" مناسبا للتعبير عن حال سليمان عليه السلام أثناء بحثه عن الهدهد الغائب.

خامسا- الألفاظ: "مكث" و"أحطت" و"نبأ"

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ

مِنْ سَيِّئٍ يَبْتَغِيْنَ﴾ [النمل:22].

غاب الهدهد مدة قصيرة<sup>5</sup> ثم جاء فسأله سليمان عليه السلام عن سبب غيابه، -وكان سليمان عليه السلام قد توعدّه بالعذاب الشديد إذا لم يأت به بعدر لهذا الغياب-، فأجابه الهدهد بأنّه اطّلع على ما لم يطّلع عليه سليمان عليه السلام، وأنّه جاءه من سبأ بخبر يقين<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ف ق د)، ج4، ص 443.

<sup>2</sup> يُنظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (ط، س ط)، مادة (فقد)، ج4، ص203.

<sup>3</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 242.

<sup>4</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 308.

<sup>5</sup> وقيل أن الضمير في "مكث" يعود لسليمان عليه السلام. يُنظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط1(1422هـ، 2001م)، ج18، ص37.

<sup>6</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 284.

## 1- لفظ "مكث"

عبّر القرآن الكريم على المدة التي غابها الهدهد بـ "مكث" التي تدل على التوقّف والثبات مع انتظار<sup>1</sup>.

وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أنها تفسر (مكث) بـ (لبث) والعكس<sup>2</sup>، وكأن لديهما نفس المعنى؛ ولكن القرآن اختار في هذه الآية لفظ "مكث".

وفُسِّرَ هذا الاصطفاً بوجود فرق في المعنى بين (مكث) و (ولبث)، وأنّ الأول يستعمل في الانتظار لمدة القصيرة، والأخير يستعمل للانتظار لمدة طويلة، وهذا ما نجده في القرآن الكريم، فعند التعبير عن المدة الطويلة استعمل اللفظ "لبث" كما في قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: 25]، وكقوله تعالى عن مكث نوح في قومه: ﴿... فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...﴾ [العنكبوت: 14]، ومكث الهدهد زماناً غير بعيد<sup>3</sup>.

وجاء وصف مكث الهدهد بقصر المدة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخراً له، ولبيان ما أعطي من المعجزة الدالة على نبوته، وعلى قدرة الله تعالى<sup>4</sup>. وهكذا نجد أنّ التعبير باللفظ "مكث" أبلغ من التعبير باللفظ "لبث"؛ وهذا نظراً للفرق الشاسع بينهما؛ فلفظ مكث استعمل للدلالة على الانتظار لمدة قصيرة، وهو مناسب لحال الهدهد الخائف من سليمان عليه السلام.

## 2- لفظ "أحطت"

ابتدأ الهدهد جوابه عن سؤال سليمان عليه السلام بقوله: "أحطت بما لم تحط به". وإذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أنّ الإحاطة بالشيء هي علمه من جميع الجهات، وقد جاء في لسان العرب:

<sup>1</sup> يُنظر: ابن فارس: المصدر السابق، مادة (مكث)، ج5، ص 345. والراغب: المفردات، مادة (مكث)، ص 356. والفيروزآبادي: المصدر السابق، مادة (مكث)، ج4، ص 515.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (لبث)، ج44، ص 3982، و مادة (مكث)، ج47، ص 4246.

<sup>3</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 310.

<sup>4</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 446.

"كُلُّ مَنْ بَلَغَ أَفْصَى شَيْءٍ وَأَخْصَى عِلْمَهُ، فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ. وَأَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ وَحَاطَتْ وَاحْتَاطَتْ: أَحَدَقْتُ، وَاحْتَاطْتُ بِفُلَانٍ وَأَحَاطْتُ إِذَا أَحَدَقْتُ بِهِ. وَكُلُّ مَنْ أَحْرَزَ شَيْئًا كَلَّهُ وَبَلَغَ عِلْمُهُ أَفْصَاهُ، فَقَدْ أَحَاطَ بِهِ. يُقَالُ: هَذَا الْأَمْرُ مَا أَحَطْتُ بِهِ عِلْمًا. وَأَحَاطَ بِالْأَمْرِ إِذَا أَحَدَقَ بِهِ مِنْ جَوَانِبِهِ كَلَّهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: 20]؛ أَي لَا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ قُدْرَتُهُ مُشْتَمِلَةً عَلَيْهِمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾؛ أَي عِلْمَتُهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ. وَأَحَاطَ بِهِ: عِلْمَهُ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا"<sup>1</sup>.

ولا يخفى هنا أن الإحاطة التي ادّعاها الهدهد ليس مما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف، فتكون معرفتها من وظائف أرباب العلم لاعتمادها على علم رصين، فتكون هذه الإحاطة من الهدهد تعبر عن منقصة لسليمان عليه السلام؛ بل أراد بها ما هو من الأمور المحسوسة، التي تعتمد على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم<sup>2</sup>.

ولفظ (أحطت) أبلغ من (علمت)؛ وكما قلنا من قبل أن الإحاطة هي العلم بالشيء تمام العلم، والإلمام بجميع جوانبه، وكأن الهدهد يتحدى سليمان عليه السلام في علمه - وهو أضعف مخلوقات الله<sup>3</sup> - رغم ما أتاه الله سبحانه وتعالى من فضل النبوة والحكمة، والعلوم الغزيرة التي شكر الله عليها هو وداود عليهما السلام فكان هذا "ابتلاءً له في علمه، وتنبهها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفًا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة"<sup>4</sup>.

هذا مع الأنبياء الذين كان علمهم لدنيا من الله سبحانه وتعالى، فما بالك نحن، فهو تنبيه لنا بصفة عامة. ويبدو أن استعمال مفردة "أحطت" جاء مناسبا في الدلالة على حال الهدهد الخائف من عقاب سليمان، حيث بادره بهذا الجواب لجلب انتباهه، فلا يياشر في عقابه.

<sup>1</sup> ابن منظور: المصدر السابق، مادة (حوط)، ج 12، ص 1052.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 280.

<sup>3</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 310.

<sup>4</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 446.

## 3- لفظ "نبأ"

يستمر الهدهد في جوابه عن سبب غيابه، وأخبر سليمان عليه السلام بأنه أتاه نبأ يقين، وقد جاء التعبير في هذه الآية باللفظ "نبأ" بدل من (خبر)، والتبأ هو "خبر ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظن"<sup>1</sup>. فالخبر لفظ عام، والنبأ لفظ خاص بالخبر الذي فيه فائدة.

ونظراً لأهمية الخبر الذي جاء به الهدهد عُبرَ بلفظ "نبأ"، وأكد قوله هذا بوصف هذا الخبر بـ "يقين"؛ ليعلم سليمان عليه السلام أنّ الأخبار التي جاء بها حقيقية وصادقة<sup>2</sup>، فلعلّ هذه الأخبار التي أتى بها تشفع له عند سليمان عليه السلام فيقبل اعتذاره وهذا معنى قول أبو السعود<sup>3</sup>: "الترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الإصغاء إلى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فإنّ النفس للاعتذار المنبئ عن أمرٍ بديعٍ أقبِلْ وإلى تلَقِّي ما لا تعلمه أميل"<sup>4</sup>.

وقول الهدهد بأنه أتى بأخبار مهمة من مدينة سبأ فلاستدعاء إقبال سليمان عليه السلام على ما سيُلقي عليه من الأنباء، لأنّ الملوك تكون لديهم رغبة في معرفة أحوال الممالك المجاورة لهم، حتى يكونوا على دراية واستعداد مما يفاجئهم، وكذلك الاستفادة مما لديهم<sup>5</sup>.

لقد استعمل الهدهد لفظ "نبأ" حتى يجلب انتباه سليمان عليه السلام، ويتركه يكمل حديثه، فرمما لو قال: (جتتك بخبر)، لم يعطه سليمان عليه السلام الفرصة للتكلم؛ لاحتمال أن يكون الخبر لا أهمية له، ويباشر في تعذيبه.

<sup>1</sup> الراغب: المفردات، مادة (ن ب أ)، ص 363.

<sup>2</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 311.

<sup>3</sup> هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود (898هـ-982هـ)، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، كان مفسراً وشاعراً، درس ودرّس في بلاد متعددة، وتقلّد القضاء، من مصنفاته المطبوعة: التفسير المسمى "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 59. والأدنه وي: طبقات المفسرين، ص 398.

<sup>4</sup> أبو السعود: المصدر السابق، ج 6، ص 280.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 246.

سادسا-الألفاظ: "وجدت" و"أوتيت من كل شيء"

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَحَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَآ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23].

أخبر الهدهد نبي الله سليمان عليه السلام بما وجدته في مملكة سبأ من ملك عظيم، تحكمها امرأة هي بلقيس، أعطيت من متاع الدنيا الشيء الكثير، وجيش مسلح بأنواع مختلفة من المعدات، وفوق كل هذا كان لها سرير عظيم هائل<sup>1</sup>.

### 1-اللفظ ﴿وَجَدْتُ﴾

وعبر الهدهد في هذه الآية بالفعل "وجدت"، ولم يقل: رأيت، أو سمعت، أو علمت؛ وذلك للتأكيد على حقيقة وصدق ما جاء به من الأخبار عن هذه المملكة؛ "لأن" "وجدت" تعني العلم بجميع الحواس، بالرؤية، والسمع، والمعانية، ولتأكيد سليمان أن ما جاء به الهدهد، هو عين الحقيقة، لا يحتمل الشك، أو الظن، وهذا عكس ما لو قال: سمعت فقط، أو تمت المعانية بالرؤية فقط، فالسمع قد يكذب الرؤية أحيانا، والشيء نفسه قد تكذب الرؤية السمع أحيانا، فبقوله: "إني وجدت" يؤكد الهدهد صحة خبره عن بلقيس<sup>2</sup>.

### 2- قوله ﴿وَأُوتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

وجاء تعبير الهدهد عن عظمة ملك بلقيس بقوله: ﴿وَأُوتَيْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، وهذا التعبير مشابه لما قاله سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، والإيتاء معناه الإعطاء، وهو مُشعر بأن المعطى مرغوب فيه؛ وهو في هذه الآية يعني أن بلقيس قد نالت وأعطيت من كل المحاسن التي

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 284.

<sup>2</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 311.



يحتاجها الملوك، من ذخائر وجيوش وثراء<sup>1</sup>.

والناظر في هذا التعبير ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يُوحى له بأنّ هناك مساواة بين ما أُوتي سليمان عليه السلام، وما أُوتيت بلقيس، وفي الحقيقة هناك فرق بينهما ذكره الزمخشري (ت538هـ)<sup>2</sup> بقوله: "فإن قلت: كيف قال: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مع قول سليمان: ﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كأنه سوى بينهما؟ قلت: بينهما فرق بين؛ لأنّ سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله، وهو تعليم منطق الطير، فرجع أولاً إلى ما أُوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين، ثم إلى الملك وأسباب الدنيا، وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد إلا ما أُوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد"<sup>3</sup>.

ورغم عظم ما أُعطيت بلقيس من أسباب الدنيا، فإنّ هذه العظمة هي بالمقارنة مع ما يملكه الملوك في ذلك الزمان من أسباب الدنيا، أما سليمان عليه السلام فما حباه الله به لم يؤتى مثله بشر، من أسباب الدين والدنيا، ولذلك قال سليمان عليه السلام عقب الحديث عن نعمة النبوة والعلم: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقال عقب التصريح بأنه علّم منطق الطير، وأوتي من كل شيء من أسباب الدنيا: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص249.

<sup>2</sup> هو محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري جار الله (467-538هـ)، الخوارزمي، معتزلي، كان إماماً في التفسير، والنحو واللغة وعلم البيان، واسع العلم، كبير الفضل، متفناً في علوم شتى، كان إمام عصره من غير ما دفع، تُشد إليه الرحال في فنونه، له تصانيف عديدة منها: الكشاف في تفسير القرآن العزيز، والحجاة بالمسائل النحوية، وأساس البلاغة، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص2687. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، ص168. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص151. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص279. والأدنه وي: طبقات المفسرين، ص172.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص448.



سابعاً- لفظ "فألقه"

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكُتَيْبٍ هَذَا فَاَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: 28].

أراد سليمان عليه السلام التأكد من صدق الهدهد، فكتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، يدعوهم فيه إلى الإسلام وعدم الترفع والعلو<sup>1</sup>، وأمر الهدهد أن يلقه إلى بلقيس وقومها.

والإلقاء الطرح والرمي، وألْقَيْتُهُ أَي طَرَحْتَهُ، تَقُولُ: أَلْقَيْتُهُ مِنْ يَدِكَ وَأَلْقَى بِهِ مِنْ يَدِكَ<sup>2</sup>، فجاء التعبير بـ ﴿فَاَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ﴾ بدل (أعطهم)؛ "لأنّ الأليق بالنسبة للطير أنها تلقي من الأعلى، ولا تعطي ولا تناول؛ لأن هذا العمل إنساني، فكان التعبير القرآني في غاية الإعجاز في التعبير عن سلوك الطير في إيصال الكتاب إلى بلقيس بالإلقاء من الأعلى"<sup>3</sup>.

ولم يقل: فألقه إليها، وإنما جاء الخطاب على لفظ الجمع؛ "لأنه قال: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ...﴾، فقال: فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماماً منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره، وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك"<sup>4</sup>، وحتى في اختيار "إليهم" بدل "عليهم"؛ لأنّ (عليهم) فيها نوع من الشدة والثقل<sup>5</sup>.

وهكذا نلاحظ التعبير الدقيق للقرآن الكريم، فلفظ "الإلقاء" كان مناسباً جداً لحالة الطير.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19، ص 292.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (لقي)، ج 45، ص 4067.

<sup>3</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 314، 315.

<sup>4</sup> الزحششري: المصدر السابق، ج 4، ص 450.

<sup>5</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع نفسه، ص 314، 315.

ثم إنَّ سليمانَ ﷺ طلب من الهدهد أن يتولَّى عن قوم بلقيس بعد رمي الكتاب إليهم، أي: يتوارى عنهم إلى مكان قريب، وينتظر جوابهم؛ وهذا حتى لا يُتَّهم بالتجسس عليهم<sup>1</sup>.

ثامنا-لفظ "قَبِلَ"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا آذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [النمل: 37].

بعدها بعثت بلقيس بالهدية لسليمان ﷺ من ذهب وجواهر وغيرها مما تقدمه الملوك العظام، أنكر سليمان ﷺ هذا الفعل، وأخبرهم بأن ما آتاه الله من النبوة والملك الواسع خير مما يملكون، وبأنه لا حاجة له بالهدية، وأمرهم بالرجوع بها إلى من أرسلها، وتوعددهم بالسير إليهم بجيش لا طاقة لهم به، والانتصار عليهم، وإخراجهم أذلة مستعبدين<sup>2</sup>.

وجاء خطاب سليمان ﷺ للمفرد بعد خطابه للجماعة فيما قبل؛ "إما لأن الذي سيرجع هو الرسول فقط، أو خصَّ أمير الرسل بالخطاب ههنا، وخاطبهم فيما سبق افتنانا بالكلام"<sup>3</sup>.

ومعنى (القبل) المقاومة والمقابلة، أي: أنهم لا يستطيعون مقابلتهم ومقاومتهم<sup>4</sup>، فجاء التعبير بـ (القبل) وليس (الطاقة)؛ لأنَّ الطاقة هي القدرة<sup>5</sup>، وقوم بلقيس كان لهم القوة وهذا بشهادتهم هم، حيث قالوا: ﴿ نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْدٍ ﴾، أي: عندهم القوة والبأس في الحرب، وسليمان ﷺ يعلم أنَّ لديهم قوة؛ ولكن حتى مع هذه القوة التي لديهم لا يستطيعون مقابلة ومقاومة جيش سليمان ﷺ، فهو لا ينفي القدرة، وإنما ينفي المقاومة والمقابلة.

<sup>1</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 315.

<sup>2</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 138، 139.

<sup>3</sup> الشوكاني: فتح القدير، مج 4، ج 19، ص 167.

<sup>4</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 454.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مادة (طوق)، ج 30، ص 2725. والراغب: المفردات، مادة (ط و ق)، ص 233.

وأما في قوله تعالى: ﴿...قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ  
وَجُثُودِهِ...﴾ [البقرة:249]، أي: ليس عندنا قوة ولا قدرة أصلاً<sup>1</sup>.

السّرّ إذاً في استعمال اللفظ (قبل) بدل (طاقة)، لعلم سليمان عليه السلام بما تمتلك هذه الملكة وقومها من القوة، فقد كان هذا من جملة الأخبار التي جاء بها الهدهد، ومع هذه القوة لا يستطيعون المقاومة.

في نهاية هذا المطلب يتجلى لنا سرّ اصطفاء مفردة دون أخرى في آيات سورة النمل؛ حيث يخضع ذلك للجو العام للسورة تارة، ولسياق الآية تارة أخرى؛ وذلك بأدائها للمعنى الدقيق الذي يتطلبه السياق.

### المطلب الثاني: دقة حروف المعاني في سورة النمل

ونتطرق في هذا المطلب إلى حروف المعاني في سورة النمل، وبيان وجه الدقة في استعمالها، وذلك من خلال دراسة حروف العطف (الفرع الأول)، وحروف الجرّ (الفرع الثاني)، وابتداءً نتناول مفهوم حروف المعاني؛ حتى نستكشف ماهيتها.

إن الناظر في المعاجم اللغوية يجد أن المعنى الأصلي لهذه المادة -حرف- تدور حول معنى الطرف والشفير والحدّ، فيقال حرف الشيء هو طرفه وحده وشفيره<sup>2</sup>.

وأما في الاصطلاح فيعرفه ابن سيده<sup>3</sup> بقوله: "الحرف من الهجاء معروف، والحرف: الأداة

<sup>1</sup> وهذا الكلام لفاضل صالح السامرائي، ضمن مقال بعنوان: لمسات بيانية من سورة النمل -2-، منشور يوم: 2014/05/10، على الساعة: 01:20، على الموقع: [www.startimes.com/f.aspx?t=34271232](http://www.startimes.com/f.aspx?t=34271232)

<sup>2</sup> يُنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الحلوة، مطبعة حكومة الكويت، ط(1406هـ، 1986م)، مادة (حرف)، ج3، ص 23، 128. والفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (حرف)، ص 799.

<sup>3</sup> وهو أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (398-458هـ)، المرسج، الضرير، الأندلسي، كان إماماً في اللغة العربية حافظاً لهما، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلمها، وله في اللغة مصنفات منها: المحكم والمحيط الأعظم، والمخصص، والأنيق في شرح الحماسة، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص1648. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص330. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص144. والزركلي: الأعلام، ج4، ص263.

التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، كعن وعلی ونحوهما<sup>1</sup>.

وهو بذلك يعرف حروف المعاني؛ لأن ما يقابلها في تقسيم الحروف هي حروف الهجاء، أو ما يعرف بحروف المباني<sup>2</sup>، والتي لم يعرفها ابن سيده حيث أشار إلى أنها معروفة.

ونذكر هنا أن حروف المعاني قسمت إلى أقسام كثيرة باعتبارات عديدة، ونخص بالذكر هنا تقسيمها من حيث وظائفها الإجمالية كحروف العطف والجر والاستثناء، وغيرها.

ولقد وردت حروف المعاني في سورة النمل في مواضع عديدة، ولكن نذكر هنا بعض الحروف التي نبت عليها المفسرون في تفاسيرهم، حيث نبهوا إلى اصطفاء حرف على حرف، وبيّنوا وجه وسبب هذا الاصطفاء.

### الفرع الأول: حروف العطف

ومن حروف العطف التي تكلم عنها المفسرون أثناء تفسيرهم لسورة النمل ما يلي:

#### أولاً- حرف (الفاء)

ومن المواضع التي جاءت فيها "الفاء" بدل "ثم"، و"الفاء" بدل "الواو" لغرض بلاغي نذكر:

1- في قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل: 69].

وهذا إرشاد من الله سبحانه وتعالى للذين أنكروا البعث إلى الاعتبار بمصير من سبقهم من

المكذبين كيف أهلّكهم الله بذنوبهم، وبقيت ديارهم شاهدة عليهم للعبارة والعظة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1 (1377هـ، 1958م)، ج3، ص 229.

<sup>2</sup> ويطلق عليها حروف المباني؛ لدورها في بنية الكلمة وتركيبها، أما حروف المعاني فسميت بهذا الاسم لدورها في إيصال معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالاتها على معنى. يُنظر: محمد حسن الشريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم (مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1417هـ، 1996م)، مج1، ص (ق).

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 23.

فلاحظ في الآية مجيء حرف الفاء في قوله: ﴿فَأَنْظُرُوا﴾، مع أنّ نفس هذه الآية جاءت في سورة الأنعام، لكن تخالفها في مجيء حرف "ثم" بدل حرف "الفاء"، وهذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: 11]، فقد جاء بـ (ثم) التي تفيد الترتيب لكن بمهلة<sup>1</sup> بخلاف قوله تعالى في سورة النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69]، فقد جاء فيها بالفاء العاطفة الدالة على التعقيب<sup>2</sup>.

وقد برّر هذا الاختلاف بأن سياق كلا السورتين يقتضي ذلك، وذلك من ناحيتين:

إحدهما: من حيث ختام كلا الآيتين، فقد ختمت آية الأنعام بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾، بينما نجد آية النمل ختمت بقوله تعالى: ﴿فَأَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، ففي سورة الأنعام أرشدهم إلى الاعتبار من حال المكذبين، وفي سورة النمل إلى حال المجرمين؛ "والمكذب قد تعطى له مهلة أطول من مهلة المجرم فإن المجرم، ينبغي أن يؤخذ بجرمه على وجه التعقيب، ولذا جاء مع (المكذبين) بـ ثم ومع (المجرمين) بالفاء، فاقترض ختام كل آية الحرف الذي اختير لها"<sup>3</sup>.

والأخرى: أنّ التكذيب والسخرية في النمل أكبر ممّا في الأنعام؛ فقد جاءت آية النمل بعد قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمْخْرُجُونَ ، لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا لَحْنُ وءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: 67، 68]، بينما جاءت آية سورة الأنعام

<sup>1</sup> يُنظر: المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1413هـ، 1992م)، ص 426.

<sup>2</sup> يُنظر: المرادي: المصدر نفسه، ص 61.

<sup>3</sup> فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 187، 188.

بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:10]<sup>1</sup>.

إنَّ حال السخرية والتكذيب في سورة النمل يقتضي الإسراع في العقاب، وأن يؤخذ الجرم بجرمه على وجه التعقيب، وهو ما استلزم استعمال حرف "الفاء" الدال على التعقيب.

2- قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل:56].

وهذه الآية واردة في قصة لوط عليه السلام بعد أن أنذر قومه نعمة الله عليهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وكانت نتيجة هذا الإنذار هي إخراج آل لوط من القرية ليرتاحوا من وعظهم وإرشادهم<sup>2</sup>.

والملاحظ على هذه الآية أنَّ عطفها على التي قبلها جاء بحرف الفاء في قوله تعالى:

﴿فَمَا كَانَتْ﴾، ونجد نفس هذه الآية جاءت في سورة الأعراف؛ لكن العطف كان بحرف الواو، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف:82]، مع أنَّ كلا الآيتين في قوم لوط، فجاء بحرف الواو العاطفة، الدالة على الجمع المطلق<sup>3</sup> في آية سورة الأعراف، وجيء بحرف الفاء العاطفة، الدالة على الجمع مع التعقيب في آية سورة النمل، مما يدل على أنَّ الجواب كان أسرع منه في آية الأعراف.

وهذا الاختلاف الموجود بين الآيتين يفسره سباق الآيتين؛ فقد جاء في سورة الأعراف قوله

تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ بل أنتم قوم مُسْرِفُونَ، وَمَا كَانَتْ

<sup>1</sup> يُنظر: فاضل صالح السامرائي: المصدر السابق، ص 187، 188.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 5.

<sup>3</sup> يُنظر: المرادي: المصدر السابق، ص 158.

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿[الأعراف: 80، 81، 82].

وقال في سورة النمل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿[النمل: 54، 55، 56].

فالملاحظ شدة الإنكار والتوبيخ في سورة النمل منه في سورة الأعراف وذلك من عدة

وجوه<sup>1</sup>:

أحدها: قوله تعالى في الأعراف: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾، وفي النمل: ﴿أَيْنَكُمْ﴾ بإدخال همزة الاستفهام؛ "ففي سورة النمل جيء بالاستفهام الإنكاري، وما في الأعراف جاء الخبر المستعمل في الإنكار"<sup>2</sup>.

الثاني: جاء في الأعراف: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾، وأما في سورة النمل فقد قال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، "والوصف بالجهل فيه زيادة تقريع، لأن نسبة الإنسان إلى الإسراف أهون من نسبته إلى الجهل، فإنك إذا قلت لشخص: (أنت مسرف في هذا الأمر) كان أهون عليه من قولك: (أنت جاهل)؛ ولذلك بادروا بالرد عليه بسرعة ولم يترثوا لأنه أغاظهم في الكلام أكثر مما في سورة الأعراف فجاء بالفاء"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ص 200، 201.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 279.

<sup>3</sup> فاضل صالح السامرائي: المصدر نفسه، ص 200، 201.



الثالث: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾، وقال في سورة النمل: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾؛ فذكروا اسم لوط عليه السلام صراحة، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على شدة غيظهم<sup>1</sup>.

وقد يظن ظانّ أن هناك تناقض بين الآيتين، وليس كذلك؛ "فيحوز أن يكون اختلاف الحكاية لاختلاف المحكي، بأن يكون لوط عليه السلام قد قال لهم المقاتلين في مقامين مختلفين. ويجوز أن يكون اختلاف الحكاية تفننا مع اتحاد المعنى. وكلا الأسلوبين يقع في قصص القرآن، لأنّ في تغيير الأسلوب تجديدا لنشاط السامع"<sup>2</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْمِدُونَ بِمَالٍ فِيمَا ءَاتَيْنَا اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ فَرِحُونَ﴾ [النمل: 36].

يخبر سليمان عليه السلام رسول بلقيس بأنّ ما آتاه الله من خير الدين والدنيا خير مما آتاهم، ولكن جاء في قوله هذا بحرف الفاء، وهي هنا "لتفريع الكلام الذي بعدها على الإنكار السابق، أي: أنكرت عليكم ظنكم فرحي بما وجهتم إليّ؛ لأنّ ما أعطاني الله خير مما أعطاكم"<sup>3</sup>.

وقد ذكر المفسرون أثناء تفسيرهم لهذه الآية سرّ التعبير بالفاء دون الواو؛ وأنّ هذا التعبير يدلّ على أنّ سليمان عليه السلام ظنّ أنّ بلقيس وقومها لا يعلمون حاله، وأنه يفوقهم في الغنى واليسار. بعكس ما يدلّ عليه حرف الواو من أنّهم يعلمون حاله، ومع ذلك فهم يمدونه بالمال<sup>4</sup>، فتكون الواو في هذه الحالة هي واو الحال<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: فاضل صالح السامرائي: المصدر السابق، ص 200، 201.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 279، 280.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 262.

<sup>4</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 454.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 262.



4- قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: 51].

والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ، يأمره فيه بالتأمل في مصير قوم صالح عليه السلام بعد تأمرهم على قتله، فأهلكهم الله جميعا ولم يبق أحدا من المتأمرين<sup>1</sup>.

واقترن الفعل "انظر" بالفاء لتفريع الكلام؛ وفي هذا إيماء إلى أن الاعتبار بمكر الله بهم هو المقصود من سوق القصة تعريضا بأن عاقبة أمره مع قريش أن يكف عنه كيدهم وينصره عليهم، وفي ذلك تسلية له على ما يلاقيه من قومه<sup>2</sup>.

ثانيا- حرف (الواو)

وقد جاء العطف بحرف الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلِمَاءَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى كلا من داود وسليمان عليهما السلام العلم، فشكرا الله وحمدا الله عليه، وعلى تفضيلهما به على كثير من العباد المؤمنين.

وجاء فعل القول مقرونا بحرف الواو دون الفاء "لَأَنَّهُ لَيْسَ حَمْدًا لِمُجَرِّدِ الشُّكْرِ عَلَى إِيْتَاءِ الْعِلْمِ"<sup>3</sup>؛ وإنما للإشعار بأن قولهم هذا هو بعض مما أحدث فيهما إيتاء العلم، وهذا ما جاء في كلام الزمخشري أثناء تفسيره لهذه الآية، حيث قال: "فإن قلت: أليس هذا موضع الفاء دون الواو، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟ قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجهه، فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد، كأنه قال: ولقد آتيناهما علما فعلا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالوا الحمد لله الذي فضَّلنا"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19، ص 319.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 276.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 233.

<sup>4</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 435.

فاختيار حرف الواو في هذه الآية بدل حرف الفاء؛ فلكي لا يُتوهم أن هذا الحمد كان بسبب إيتاء العلم فقط، بل إن هذا الحمد هو بعض ما أحدثه إيتاء العلم.

### الفرع الثاني: حروف الجر

ومن الحروف التي سنتناولها حروف الجر، حيث سنتطرق إلى سبب استعمال حروف الجر: مع، وعلى، وفي.

### أولاً- حرف الجرّ (مع)

ورد حرف (مع) في حكاية قول بلقيس، وذلك في قوله تعالى: ﴿... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي

ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:44].

وهذا قول بلقيس عندما جاءت إلى سليمان عليه السلام، ورؤيتها لعرشها، وعظمة ملكه، وعزة سلطانه؛ "فاستدلت بكل ما رأت على التوحيد والنبوة فأعلنت إسلامها، وأراد الله لها الخير والهداية، ... ، فقالت: يا رب، إني ظلمت نفسي في الماضي بعبادة غيرك، وأسلمت مع إسلام سليمان، وخضعت لله رب العوالم كلها من الإنس والجن"<sup>1</sup>.

ورغم ما رأت من عظمة ملك سليمان عليه السلام، ومعجزاته، وقدرته على التحكم في الإنس

والجن، إلا أنها أعلنت إسلامها لله رب العالمين، فلم تقل: إني أسلمت لسليمان، ولكن قالت: ﴿

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾؛ "لأنها علمت أن إسلامها يجب أن يكون لربها، وليس لأي مخلوق،

وهكذا قال سحرة فرعون، بعد أن منّ الله عليهم بالإسلام: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى

وَهَارُونَ﴾ [الشعراء:47، 48]<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص306.

<sup>2</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص321.

ثانيا- حرف الجرّ (على)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل:18].

سار سليمان عليه السلام وجنوده من الجن والإنس والطير، حتى وصلوا إلى واد النمل، لكن التعبير جاء بحرف (على) بقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ دون : إلى واد النمل، فجاء بحرف الاستعلاء (على) لأحد أمرين:

أحدهما: أنّ مجيء سليمان عليه السلام وجنوده كان من فوق، لذلك أتى بحرف الاستعلاء. والآخر: أن المقصود من الإتيان هنا؛ قطع الوادي وبلوغ آخره، وهذا هو قول الزمخشري: "فان قلت: لم عدى أتوا بعلى؟ قلت: يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء، كما قال أبو الطيب:

ولشّد ما قربت عليك الأنجم<sup>1</sup>

لما كان قريبا من فوق. والثاني: أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره، من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي؛ لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم"<sup>2</sup>.

ثالثا- حرف الجرّ (في)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَبَسَّسْنَا حَاكِمًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل:19].

<sup>1</sup> فلشّد ما جاوزت قدرك صاعداً ولشّد ما قربت عليك الأنجم. يُنظر: المتنبّي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان المتنبّي، دار بيروت، بيروت، لبنان، ط1 (1403هـ، 1983م)، ص572.

<sup>2</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص440.

وبعد أن تعجّب سليمان عليه السلام من النملة، وفهم قولها دعا ربه أن يلهمه شكر نعمته عليه وعلى والديه، وتوفيقه للعمل الصالح الذي يرضيه سبحانه وتعالى، ودعاه أن يجعله في زمرة الصالحين من الأنبياء والأولياء.

وجاء قوله: ﴿ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾، ولم يقل: مع عبادك الصالحين؛ "لأن في ذلك إعجازاً أكثر في البيان؛ لأن عبارة ﴿ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ تفيد إظهاراً للعبودية لله أكثر، وتواضعاً لله أكبر، وتفيد حسن الظن بالله، والإخلاص له في الدعاء، فيكون بدعائه: ﴿ فِي عِبَادِكَ ﴾ رجاء منه إلى الله أن يجعله في داخل، ومن بين، وفي زمرة الصالحين كفرد منهم، ويتساوى معهم في حسن الصلاح والإيمان والثواب"<sup>1</sup>.

إن دراستنا السالفة حول دقة معاني المفردات وحروف المعاني في سورة النمل تعطينا لمحة حول اصطفاء هذه المفردات و الحروف بما يتناسب و سياق السورة، و كذلك بما يتفق و المعنى الدقيق لمدلول الآيات.

### المبحث الثاني: التعريف والتكثير في سورة النمل

يُعدّ موضوع "التعريف والتكثير" من أهم وأبرز القضايا التي استوقفت البلاغيين؛ حيث تناولوه في كتبهم محاولين اكتشاف أسراره وأغراضه وإيجاءاته في سياق الكلام.

وهذا الموضوع قد تناوله النحويون، وأولوه عناية خاصة، فبدءوا حديثهم بالنكرة؛ لأنها هي الأصل عندهم، ثم أتبعوه بالحديث عن المعرفة، حيث تناولوا أقسام المعرفة؛ فتحدثوا عن التعريف بالعلم، والضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والتعريف بـ (ال)، والتعريف بالإضافة. ولكن حديثهم عن هذا الموضوع كان من الناحية الإعرابية.

<sup>1</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 307، 308.

أما البلاغيون فقد ذهبوا أبعد من ذلك، "فقد نحوا بهذا المبحث منحى آخر، أعادوا به الروح إلى الجسد، فدبت فيه الحياة؛ حتى عاد خلقاً آخر"<sup>1</sup>.

وفي الحقيقة فإن البلاغيين أكملوا الطريق من حيث توقف النحويون؛ حيث تكلموا عن أغراض التعريف بمختلف أقسامه، ثم ثنوا بالتنكير وأغراضه.

وقد تناول البلاغيون هذا الموضوع في علم المعاني، وبالضبط عند كلامهم عن أحوال المسند والمسند إليه.

وفي هذا المبحث أتناول التعريف وأغراضه في سورة النمل (المطلب أول)، ثم أتبعه بالحديث عن التنكير وأغراضه (المطلب الثاني).

### المطلب الأول: التعريف في سورة النمل

وقبل الحديث عن التعريف وأغراضه في سورة النمل، أورد مفهوم التعريف لغة واصطلاحاً؛ لأن ذلك يسمح لنا بإدراك الألفاظ المعرّفة على الوجه الصحيح.

إنّ التعريف؛ كلمة يرجع أصلها إلى الجذر الثلاثي (عرف)، يقال: "عرفه يعرفه وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترفه، والعرفان: العلم"<sup>2</sup>.

وقال الراغب<sup>3</sup> في المفردات: "المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهو أحص من العلم"<sup>4</sup>. فالراغب نظر إلى الفروق الدقيقة بين لفظي: المعرفة والعلم.

<sup>1</sup> سعد بن عبد العزيز بن سعد الدريهم: سورة آل عمران دراسة بلاغية، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية (1421، 1422هـ)، ج1، ص 96.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرف)، ج32، ص 2897.

<sup>3</sup> هو أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ)، من الحكماء العلماء، اشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له تصانيف كثيرة منها: كتاب تفسير القرآن، كتاب الذريعة في معالم الشريعة، وكتاب المفردات من تفسير القرآن. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج3، ص1156. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ص297. والزركلي: الأعلام، ج2، ص255.

<sup>4</sup> الراغب: المفردات، مادة (ع ر ف)، ص 249.

وجاء في لسان العرب أن التعريف: الإعلام<sup>1</sup>، كما جاء في المعجم الوسيط بأنه "تحديد الشيء بذكر خواصه المميّزة"<sup>2</sup>.

ومن خلال ما ورد في معاجم اللغة؛ فلفظ "المعرفة" يدور حول معنيين هما: العلم والإدراك، فالمعرفة هي العلم بالشيء، و إدراكه.

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه ابن جني<sup>3</sup> بقوله: "ما خصّ الواحد من جنسه"<sup>4</sup>، كما عرّفه الزمخشري بقوله: "ما دلّ على شيء بعينه"<sup>5</sup>.

إذن؛ فالمعرفة ما دلّ على شيء بعينه، وأقسام المعرفة: المضمّر، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بالألف واللام، والمضاف إلى واحد منها إضافة معنوية<sup>6</sup>.

والبلاغيون قد تناولوا أغراض التعريف بحسب أقسامه؛ الضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والتعريف ب (ال)، والتعريف بالإضافة. وسنرى أغراض هذه الأقسام مما جاء في سورة النمل.

ونتقل الآن إلى عرض بعض معالم جماليات التعريف، ودلالته البلاغية في سورة النمل.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مادة (عرف)، ج32، ص 2898.

<sup>2</sup> المعجم الوسيط، ص 595.

<sup>3</sup> هو أبو الفتح عثمان بن جني (392هـ)، الموصلي، من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنّف في ذلك كتباً أبرّ بها على المتقدمين وأعجز المتأخرين، من تصانيفه: سر الصناعة، واللمع، والتصريف، والخصائص، والمختصّب في الشواذ، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 1585. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص 18. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص 246.

<sup>4</sup> ابن جني، أبو الفتح عثمان: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ط1 (1399هـ، 1979م)، ص 186.

<sup>5</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: المفصل في صنعة الأعراب، تحقيق: خالد إسماعيل حسّان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2 (1430هـ، 2009م)، ص 247.

<sup>6</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ط (1403هـ، 1983م)، ج2، ص 282.

## الفرع الأول: التعريف باسم الإشارة

تُعد أسماء الإشارة من الأسماء المبهمة<sup>1</sup>؛ "لأنها لا تدل على شيء في أصل وضعها، ولا تفصل شيئاً من شيء، فتستخدم للإنسان والحيوان، والجماد،..، وتكتسب التعريف من خلال السياق الذي ترد فيه"<sup>2</sup>.

واسم الإشارة هو: "مَا دَلَّ عَلَى مُسَمًّى وَإِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ الْمُسَمًّى"<sup>3</sup>.

وهذه الأسماء -أسماء الإشارة- وضعت في الأصل لتكون محسوس؛ ولكن قد يُنزل غير المحسوس منزلة المحسوس.

وقد قسمها اللغويون إلى ثلاث مراتب: القريب، والمتوسط، والبعيد. فمما يستعمل للمشار إليه القريب: هذا، وهذه. وما يستعمل للمشار إليه المتوسط، مثل: ذاك. وأما ما يستعمل للمشار إليه البعيد، فمثل: ذلك، وتلك<sup>4</sup>.

والتعريف باسم الإشارة يكون له دواع وأسرار بيانية؛ ومن هذه الأسرار والدواعي للتعريف باسم الإشارة، والتي وردت في سورة النمل، ونبّه إليها المفسرون أثناء تفسيرهم لهذه السورة، نذكر:

أولاً-التعريف باسم الإشارة "تلك"

وذلك في قوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1].

<sup>1</sup> سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3(1408هـ، 1988م)، ج2، ص77.

<sup>2</sup> نوح عطا الله الصرايرة: التعريف والتنكير بين النحويين والبلاغيين، دراسة دلالية وظيفية (نماذج من السور المكية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، 2007، ص36.

<sup>3</sup> ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2(1424هـ، 2004م)، ص140.

<sup>4</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط4(1417هـ، 1997م)، ص302، 303.



والإشارة في هذه الآية إلى المقدار الذي نزل من القرآن الكريم قبل هذه السورة، والمعنى: الآيات المعروفة المتميزة كتميز الشيء الذي يمكن الإشارة إليه، وهذه الإشارة لتنزيل آيات القرآن منزلة الحاضر المشاهد؛ أي الحاضرة في الأذهان<sup>1</sup>.

فمن الفنون البلاغية التي ذكرها البلاغيون؛ استعمال اسم الإشارة الذي يشار به إلى البعيد في الإشارة به إلى القريب؛ للدلالة على بعد منزلته ارتفاعا وسموا، أو العكس؛ أي: للدلالة به على بُعد دركته انخفاضاً وانحطاطاً<sup>2</sup>.

وهذا ما جاء في هذه الآية؛ حيث "جاءت الإشارة إلى آيات القرآن القريبة، المقدمة للتلاوة، والموجودة في أذهان الحقاظ، ومكتوبات المسلمين، باسم الإشارة "تلك" الموضوع للمشاركة إليها البعيدة، للدلالة بهذا الإجراء على بُعد منزلتها ارتفاعا وسموا، في معانيها، وفي مبانيها، وفي تأثيراتها الربانية، بما جعل الله وَعَلَيْكَ لها من تأثيرات عجيبات بتقديره وقضائه"<sup>3</sup>.

ثانياً-التعريف باسم الإشارة "أولئك"

وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ

الْآخَسُونَ﴾ [النمل:5].

بعد أن تكلم الله وَعَلَيْكَ عن المؤمنين المنتفعين بالقرآن هداية وبشارة، والذين من صفاتهم: تأدية الصلاة، وإعطاء الزكاة، والإيمان باليوم الآخر؛ انتقل في هذه الآية إلى الحديث عن حال المقابلين لهم؛ وهم الذين يكذبون بالآخرة، فذكر في هذه الآية؛ جزاءهم وعقابهم في الدنيا والآخرة<sup>4</sup>.

وجاءت الإشارة إليهم بـ ﴿أُولَئِكَ﴾؛ لزيادة تمييزهم فضحا لسوء حالهم، واسم الإشارة

في هذه الآية ينبّه إلى أن استحقاقهم للعذاب في الدنيا والآخرة ناشئ عما تقدم اسم الإشارة من

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج14، ص 8.

<sup>2</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، مج9، ص 212.

<sup>3</sup> حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 212.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 258.

أفعالهم<sup>1</sup>.

إذن؛ فاسم الإشارة جاء للتنبيه على استحقاقهم للعذاب الذي توعدهم به الله سبحانه وتعالى؛ بعد أن ذكر قبله إنكار الكفار للبعث والنشور.

وإذا كان ابن عاشور قد تكلم عن الغرض والقصد العام من استعمال اسم الإشارة؛ فإن حبكة الميداني<sup>2</sup> أشار إلى سرّ استعمال اسم الإشارة "أولئك"، والذي يستعمل للمشار إليهم البعيدين، حيث قال: "في هذه الآية أشير إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة، الذين جاء الحديث عنهم قبلها، باسم الإشارة الموضوع للمشار إليهم البعيدين، مع قرب الحديث عنهم، للدلالة بهذا الإجراء على بُعد دركاتهم انحطاطا ومهانة وخسنة، فهم ليسوا جديرين بأن يُتحدث عنهم حاضرين قريين"<sup>3</sup>.

فابن عاشور تكلم عن الغرض العام من استعمال اسم الإشارة وهو التنبيه على استحقاقهم للعذاب، وحبكة الميداني تكلم عن الغرض الخاص وهو الدلالة على بعد دركاتهم وانحطاطهم.

ثالثا-التعريف باسم الإشارة "ذلك"

وذلك في قوله تعالى: ﴿الْمَرِيرُونَ أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّكَ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: 86].

وهذا دليل من أدلة التوحيد، حيث وجههم -الكافرين- إلى مشاهدة هذه الآية العظيمة، والنعمة الجسيمة، وهي تعاقب الليل والنهار؛ فالليل بظلمته ليسكنوا ويستريحوا فيه من التعب،

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 222.

<sup>2</sup> هو عبد الرحمن حبكة الميداني (ت1425هـ، 2004م)، سوري، نشأ في بيت علم ودعوة، فهو سليل إحدى العائلات الدمشقية العريقة التي عُرفت بالعلم، درس الشيخ في معهد التوجيه الإسلامي الذي أنشأه والده، كما درس في الأزهر الشريف، تقلد عدة مناصب، وقدم كتبا قيمة زادت على الثلاثين كتابا، نذكر منها: تفسيره المسمى: معارج التفكر ودقائق التدبر، وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله وَعَلَّمَ، البلاغة العربية (أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها). يُنظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>3</sup> حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 213.

والنهار بضيائه لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم، وقضاء حوائجهم. إنَّ في هذا التسخير لدلالة على كمال وحدانيته<sup>1</sup>.

ثم إن الناظر في تعاقب الليل والنهار، والانتقال من حال تشبه الموت في سكونها، إلى حال الحياة بحركتها، ليدرك أن القيامة كائنة لا محالة، وأن البعث حقيقة لا شك فيه<sup>2</sup>.

وفي الإتيان باسم الإشارة "ذلك" الموضوع للمشار إليه البعيد، للإشارة إلى آية تعاقب الليل والنهار، مع أنهما قريبان منا؛ فنحن نعيش فيهما كل يوم "للإشعار ببعدهما درجتهم في الفضل"<sup>3</sup>.

رابعا-التعريف باسم الإشارة "هذه"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَكَذَا الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا

... ﴾ [النمل: 91].

ومعنى هذه الآية كما قال الزحيلي<sup>4</sup>؛ "قل لهم أيها الرسول: إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرّمها على الناس، فجعلها شرعا وقدرًا حرما آمنا، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد فيها صيد، ولا يعضد شجرها، ولا ينقّر طيرها، ولا يُخوف فيها خائف، يجبي إليها ثمرات الدنيا من كل ناحية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1423هـ، 2002م)، ج20، ص610.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص37.

<sup>3</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص303.

<sup>4</sup> هو وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت2015م)، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو الجامع الفقهية بصفة خبير في مكة ووجدة والهند وأمريكا والسودان، ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة، لديه عدّة مؤلفات نذكر منها: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، موسوعة الفقه والقضايا المعاصرة، الوسيط في أصول الفقه الإسلامي. يُنظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>5</sup> وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج20، ص47.

ولقد استعمل في هذه الآية اسم الإشارة "هذه" الموضوع للمشار إليه القريب، "لأنها حاضرة لديهم بحضور ما هو بادٍ منها للأنظار"<sup>1</sup>، والبلدة في الآية مقصود بها مكة؛ وقد عدل الله ﷻ عن ذكر مكة باسمها العلم إلى طريقة الإشارة لما في اسم الإشارة من التعظيم لها<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: التعريف بالاسم الموصول

ومما يُعدّ من المهمات كذلك؛ الاسم الموصول، وفي هذا الصدد يقول ابن يعيش<sup>3</sup>: "والمعني بالإبهام وقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرهما، ولا تختصّ مسمى دون مسمى"<sup>4</sup>، ولذلك فهو يحتاج إلى الصلة دائماً لتزيل إبهامه<sup>5</sup>.

وقد عرّف الاسم الموصول بأنه: "مّا افتقر إلى الوصلّ بجملة خبرية أو ظرف أو مجرور تامين أو وصف صريح والى عائد أو خلفه"<sup>6</sup>.

والتعريف بالاسم الموصول "دقيق المسلك، يحتاج منك إلى غوص، ويتطلب إعمال فكر، والأغراض التي يؤتى من أجلها بالاسم الموصول كثيرة، تُدرك بالقرينة الجيدة، والحسن المرهف"<sup>7</sup>.

ونذكر هنا بعض المواضع التي جاء التعريف فيها بالاسم الموصول في سورة النمل، وبيان أغراض التعريف بهذا الاسم.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 325.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 325.

<sup>3</sup> هو أبو البقاء يعيش بن علي، موفق الدين بن يعيش (553هـ-643هـ)، الموصلي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ، المعروف بابن الصائغ، النحوي، كان من كبار العلماء بالعربية، تصدر للإقراء بحلب إلى أن توفي، من مصنفاته: شرح المفصل. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج8، ص206.

<sup>4</sup> ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (ط، س ط)، ج5، ص86.

<sup>5</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 307.

<sup>6</sup> ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص142.

<sup>7</sup> فضل حسن عباس: المصدر نفسه، ص 307.

أولاً- التعريف بالاسم الموصول "الذين"

1- في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:3].

بعد أن نوه الله سبحانه بشأن القرآن الكريم، وبأنه هدى وبشرى للمؤمنين، ذكر في هذه الآية بعض أوصاف المؤمنين؛ وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والإيقان باليوم الآخر.

وجاء وصف المؤمنين بالاسم الموصول "الذين"؛ للتمييز بينهم وبين الكفار، وهذا ما جاء في كلام ابن عاشور أثناء تفسيره لهذه الآية، حيث قال: "لتمييزهم عن غيرهم؛ لأنهم عرفوا يومئذ بإقامة الصلاة وإعطاء الصدقات للفقراء والمساكين، ألا ترى أن الله عرّف الكفار بقوله: ﴿...وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ...﴾ [فصلت:6، 7]؛ ولأن في الصلة إيماء إلى وجه بناء الإخبار عنهم بأنهم على هدى من ربهم ومفلحون"<sup>1</sup>.

2- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا ابْنَاءَ مُخْرَجُونَ ، لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا لَحْنًا وَاَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ اِنْ هَذَا اِلَّا اَسْطِيزُ الْاَوَّلِينَ﴾ [النمل:67، 68].

يحكي الله تعالى في هذه الآية قول المنكرين للبعث وسؤالهم عن إمكانية بعثهم من القبور أحياء بعد الموت، وبعد أن صاروا تراباً، وأن هذه الحكاية وهذا الوعد قد وعد به آباؤهم قبلهم ولم يتبينوا صحة ذلك، إذن فهذا الوعد هو مما سطره الأولون من الأكاذيب في كتبهم، وتداوله من جاء بعدهم<sup>2</sup>.

ولكن الحكاية عنهم جاءت بالاسم الموصول وهو قوله: "الذين"؛ لأن الاسم الموصول يوصل إلى العلة والسبب الذي دفعهم إلى قول هذا الكلام، وهذا ما أفادته ودلت عليه الصلة وهو قوله: "كفروا.."; فكأن قولهم لتلك الشبهة التي أرتم البعث مستحيل الوقوع كان بسبب كفرهم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص219.

<sup>2</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج18، ص112.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص297.

وقال أبو السعود إن في "وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والإشعار بعلّة حكمهم الباطل في قولهم: ﴿أءَاذَكُنَّا تَرِيًّا وَءَابَاؤُنَا إِنِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾<sup>1</sup>.

إنّ الغرض الذي جاء من أجله التعريف بالاسم الموصول "الذين" هو الذمّ، والإيماء إلى علة وسبب إنكارهم للبعث، وهذا ما دلّت عليه الصلة.

ثانياً-التعريف بالاسم الموصول "من"

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل: 8، 9].

كان موسى عليه السلام يسير مع أهله في الليل المظلم، وإذا به يرى نارا، فاستبشر بذلك، وقال لأهله بأنه ذاهب إليها لعله يأتي بخبر عن الطريق، أو يأتي بشعلة من النار يستدفنون بها في تلك الليلة الباردة<sup>2</sup>.

ولما وصل إليها ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ المراد به موسى عليه السلام؛<sup>3</sup> لأنه "لما حلّ في موضع النور صار محيطا به، فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف، فعبر عنه بـ ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾"<sup>4</sup>، ومقتضى الظاهر أن يذكره بضمير الخطاب، ولكن التعبير جاء بالاسم الموصول "لأن في

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص297.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص263.

<sup>3</sup> اختلف المفسرون في المراد بـ "من في النار ومن حولها"؛ فقيل "من في النار": هو الله عز وجل، وقيل: بورك النار. "ومن حولها" قيل: موسى عليه السلام، والملائكة، وقيل: الملائكة. هذا حسب الروايات التي جاءت عند الطبري. يُنظر: الطبري: المصدر السابق، ج18، ص10 إلى ص13.

<sup>4</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص226.

معنى صلة الموصول إيناسا له وتلطفا، ...، وكثيرُ التلطف بذكر بعض ما التبس به المتلطف به من أحواله، وهذا الكلام خبرٌ هو بشارة لموسى عليه السلام ببركة النبوءة<sup>1</sup>.

إن العدول عن ذكر موسى عليه السلام بضمير المخاطب، أو باسمه، إلى تعريفه بالاسم الموصول "من"، لما في صلة الموصول من الإيناس والتلطف؛ خاصة وأن موسى عليه السلام كان وحده في تلك البقعة.

### ثالثا-التعريف بالاسم الموصول "الذي"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ

كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 91].

تعبر هذه الآية عن جزئية من جزئيات ربوبية الله لكل شيء، فهو الخالق لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، سواء من ناحية الوجود والعدم، والتغيير بالزيادة والنقصان، بالتحريك والإسكان، إلى غير ذلك من تصاريف ربوبيته لكونه<sup>2</sup>.

وفي هذه الآية تنويه بشأن مكة، وتعريض بالكفار لكفرهم برب هذه البلدة، الذي أسكنهم بها، وحرّمها، فعادت منافع ذلك التحريم عليهم بالخير والمنفعة<sup>3</sup>؛ ولهذا "أجرى على الله صلة حرّم تلك البلدة، دون أن يكون الموصول للبلدة، فلذا لم يقل: التي حرّمها الله، لما تتضمنه الصلة من التذكير بالنعمة عليهم، ومن التعريض بضلالهم إذ عبدوا أصناما لا تملك من البلدة شيئا، ولا أكسبتها فضلا ومزية، وهذا كقوله تعالى: ﴿ فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [قريش: 3]"<sup>4</sup>.

لقد جاء التعريف بالاسم الموصول "الذي" في هذه الآية لما تفيده وتتضمنه الصلة من التذكير بإنعام الله عليهم، والتعريض بكفرهم بخالق هذه البلدة وعبادتهم لأصنام هم صنعوها، لا تملك لهم ضرا ولا نفعاً؛ فشتان بين من يصنع ومن يُصنع.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 226.

<sup>2</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبّر، مج9، ص 204.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 325.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 325.



## الفرع الثالث: التعريف بـ (ال)

يتردد التعريف بـ (ال) بين كونه للعهد، أو للجنس، ويؤتى بهذا النوع من التعريف؛ لتحقيق بعض المعاني واللطائف التي لا تتأتى إلا من طريقه، وهذا ما سنراه في بعض ما ورد في سورة النمل.

أولاً-تعريف لفظ "الحمد"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ

كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

هذه الآية تتحدث عن فضل الله ﷻ على نبيه داود وسليمان عليهما السلام؛ فلقد أعطاهما طائفة عظيمة من العلم، حيث علم داود ﷺ صناعة الدروع ولبوس الحرب، أما سليمان ﷺ فقد خصه بعلم منطق الطير والدواب ونحو ذلك، وهذه العلوم لم يؤتاها أحد من قبلهما؛ ولهذا شكرا الله ﷻ على أنعمه، وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بنعمة النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن<sup>1</sup>.

ولقد جاء لفظ "الحمد" معرفاً بـ (ال) الاستغراقية، وهذا ليشمل كل حمد لله تعالى، كما جاء لفظ "الحمد" مبتدأ في جملة اسمية ليفيد الديمومة والاستمرار والثبات<sup>2</sup>. ومما يعزز قول بأن "ال" للاستغراق الحقيقي، وأن حمد داود وسليمان عليهما السلام لله تعالى استغرق كل حمد<sup>3</sup> كما في قوله ﷻ: "اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله بيدك الخير كله، إليك يرجع الأمر كله علانيته وسره"<sup>4</sup>.

إن داود وسليمان عليهما السلام شكرا الله على نعمة العلم، وجعلاه أساس الفضل دون غيره من الأشياء التي أوتياها، وفي هذا إيماء إلى فضل العلم وشرف أهله، كما جاء في الآية الكريمة:

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص127.

<sup>2</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ، ص293.

<sup>3</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع نفسه، ص293.

<sup>4</sup> وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن عَقَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ فَرَاغَةَ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ، عَنْ حَدِيثِ بْنِ أَيْمَانَ، أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: بَيْنَمَا أَنَا أَصَلِّي إِذْ سَمِعْتُ مُتَكَلِّمًا يَقُولُ: ... الحديث. قال عنه شعيب الأرنؤوط ضعيف لإبهام الراوي عن حديثه. يُنظر: أحمد بن حنبل، أبو عبد الله: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1421هـ، 2001م)، ج38، ص378، 379.

﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...﴾ [المجادلة: 11]، وفيها أيضا تحريض للعلماء على أن يحمداوا الله على ما آتاهم من فضله، وأن يتواضعوا ويعتقدوا أن من عباد الله من يفضلهم فيه<sup>1</sup>.

ثانيا-تعريف لفظ "النمل"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا آتَوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 18].

عندما قَدِمَ سليمان عليه السلام ومن معه من الجيوش على وادي النمل، نادى نملة على النمل أن يدخلوا بيوتهم حتى لا يكسرهم سليمان وجنوده دون أن يشعروا بذلك<sup>2</sup>.

ولكن النملة عند نداءها لأخواتها لم تقل: يا نمل، أو يا بعض النمل؛ بل جاء نداءها بقولها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ﴾، حيث جاء لفظ "النمل" معرفا بـ (ال) التعريف الاستغراقية؛ وقد أفاد هذا التعريف شمول نداءها لجميع النمل دون استثناء، ومما يستفاد كذلك من كلام هذه النملة؛ تقرير مبدأ المساواة في التعامل، حيث لم تميّز بين نملة وأخرى، فالنداء جاء عاما وشاملا لجميع النمل لأخذ الحيطة والحذر من الخطر<sup>3</sup>.

وقد نبه المراغي<sup>4</sup> إلى ضرورة الاعتبار من فعل هذه النملة، وأن قصتها ما هي إلا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للناس لعلهم يتفكرون، وهذا بقوله: "وفي هذه الآية تنبيه إلى هذا لإيقاظ العقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها وجمعها لهم ليشير إلى كيفية سياستها، وحكمتها وتديبرها لأمرها، وأنها تفعل ما يفعل الملوك، وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام. ولم يذكره الكتاب الكريم إلا ليكون أمثالا تضرب للعقلاء، فيفهموا حال هذه الكائنات،

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: المصدر السابق، ج19، ص127.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص276.

<sup>3</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص304.

<sup>4</sup> هو محمد بن مصطفى المراغي (ت1371هـ)، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة 1909م، وكان مدرس الشريعة بها، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة، له كتب منها: الحسبة في الإسلام، وتفسير القرآن، والوجيز في أصول الفقه، وعلوم البلاغة. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص258.

وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفاً من الهلاك كما تجتمع على طلب المنافع، وإن أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعل هذا الحيوان الأعجم تكون أمة حمقاء تائهة في أودية الضلال، وهي أدنى حالا من الحشرات والديدان: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35]<sup>1</sup>.

ثالثاً-تعريف لفظ "العرش"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26].

وجاءت هذه الآية بعد بيان الدليل على وجود الله ووحده، وتنزيهه وبيان عظيمته، فهو المستحق للعبادة والسجود، وهو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه<sup>2</sup>.  
وخصّ العرش بالذكر دون المخلوقات الأخرى؛ فلأنه أعظمها<sup>3</sup>. وجاء لفظ "العرش" معرفاً بـ (ال) للدلالة على معنى الكمال، وأتبع بوصفه بالعظيم: للدلالة على كمال العظم<sup>4</sup>.

وجاء قوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ "للتعريض بأن عظمة ملك بلقيس، وعظم عرشها، ما كان حقيقاً بأن يغرّها بالإعراض عن عبادة الله؛ لأن الله هو رب الملك الأعظم"<sup>5</sup>.

ولقد نبه الزمخشري إلى الفرق بين هاتين الآيتين؛ وهما قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، لأن ظاهر كلام الهدهد يفيد التسوية بين العرشين في العظمة، حيث قال: "بين الوصفين بؤن عظيم؛ لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له، بالإضافة إلى

<sup>1</sup> مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 129.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 19، ص 285.

<sup>3</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج 2، ج 19، ص 310.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 251.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 251.

عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السماوات والأرض<sup>1</sup>.

رابعاً-تعريف لفظ "الملأ"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ [النمل: 29].

والقول هنا لبلقيس بعد أن ألقى الهدهد إليها الكتاب، ففتحته وقرأته، ثم جمعت أشرف قومها ومستشاريها لطلب الرأي في ذلك الأمر الذي نزل بها<sup>2</sup>.

لقد جاء نداءها لقومها ب(ال) الاستغراقية في قولها: "الملأ"؛ لتخبرهم جميعاً بوصفها حاکمة تشارك، وتعلم شعبها بالمستجدات من الأمور<sup>3</sup>.

خامساً-تعريف لفظ "الأرض"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: 48].

ومعنى هذه الآية أنه كان في مدينة ثمود وهي الحجر<sup>4</sup> تسعة من عتاة القوم، الذين أوغلوا في الفساد؛ يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وجاء لفظ "الأرض" معرفاً ب(ال) العهدية<sup>5</sup>، أو كما يسميها بعض النحويين العهد الذكري؛ لأن المقصود بالأرض هنا أرض ثمود، ولقد سبقت تسميتها في الآية ب"المدينة".

<sup>1</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 450.

<sup>2</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: المصدر السابق، ج19، ص 134، 135.

<sup>3</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 315.

<sup>4</sup> والحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وهي قرية صغيرة قليلة السكان. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 221.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 274.

سادسا-تعريف لفظ "القول"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

وجاء لفظ "القول" في هذه الآية معرفا بـ (ال)، ويراد به -القول- أخبار الوعيد التي كذبوها، متهمكين باستبطاء وقوعها بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 71]؛ فالتعريف في لفظ "القول" للعهد وهذا ما يفسره المقام<sup>1</sup>.

الفرع الرابع: التعريف بالإضافة

ومن أنواع التعريف كذلك والتي عرض لها البلاغيون في كتبهم؛ التعريف بالإضافة، كما ذكروا له الأغراض والمزايا التي يدل عليها، والتي من أهمها الاختصار، ومن الآيات التي جاء فيها التعريف بالإضافة في سورة النمل أذكر منها:

أولاً-التعريف بإضافة "آيات" إلى "القرآن"

وذلك فيقوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَأَبْتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1].

وجاء التعريف للفظ "آيات" في هذه الآية بإضافتها إلى القرآن والكتاب المبين، وقد أكسبتها هذه الإضافة تفخيما لها وتعظيما؛ لأن المضاف إلى العظيم يُعظَّم بالإضافة إليه<sup>2</sup>.

إنَّ التعريف بالإضافة في هذه الآية الغرض منه التعظيم؛ لأنَّ المضاف يكتسب صفات المضاف إليه، فلما كان القرآن عظيما، فالآيات كذلك عظيمة.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 309.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص 429. وأبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1413هـ، 1993م)، ج7، ص51.

ثانياً- التعريف بإضافة "برهان" إلى ضمير "أنتم"

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَبِّدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَهْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكَأُو بَرَهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 64].

وفي هذه الآية برهان آخر على وحدانيته سبحانه وتعالى، وقد استدلل هنا ببداية خلقه للمخلوقات، وإنشائها، وإذا كان قادر على الخلق من العدم؛ فهو قادر على إعادة الخلق يوم البعث والنشور. والبرهان الثاني الذي احتوته الآية هو: رزق المخلوقات من السماء والأرض بالمطر والنبات؛ فمن لديه القدرة على فعل ذلك غير الله سبحانه وتعالى. فإن كانت الأصنام التي تعبدونها قادرة على ذلك فهاتوا حججتكم ودليلكم على ما قلتم؛ إن كنتم صادقين في دعواكم هذه، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات<sup>1</sup>.

وقد جاءت الإضافة للتهكم، حيث أضاف النظم الكريم "البرهان" إلى ضمير المشركين "للتهكم بهم لما فيها من إيهام أن لهم برهانا وأنى لهم ذلك"<sup>2</sup>.

وقيل: إن الإضافة هنا للتبكيك كما جاء عند الألويسي<sup>3</sup>، حيث قال: "إن الإضافة لزيادة التبكيك كأنه قيل: نحن نقنع منكم بما تعدونه أنتم أيها الخصوم برهانا يدل على ذلك وإن لم نعهده نحن ولا أحد من ذوي العقول كذلك، ومع هذا أنتم عاجزون عن الإتيان به إن كنتم صادقين، أي في تلك الدعوى"<sup>4</sup>.

هذه الإضافة جاءت للتهكم بالمشركين وتبكييتهم؛ لأنهم لا يملكون دليلاً ولا برهاناً على قدرة أصنامهم على الخلق والبعث، وكذلك قدرتها على الرزق.

<sup>1</sup> يُنظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج20، ص608.

<sup>2</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص296.

<sup>3</sup> هو محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، شهاب الدين، أبو الثناء (1217هـ-1270هـ)، البغدادي، مفسر، ومحدث، وأديب، كان من المجتهدين، من مصنفاته: التفسير المسمى "روح المعاني"، ونشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ومقامات في التصوف والأخلاق، وغيرها. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج7، ص176.

<sup>4</sup> الألويسي: روح المعاني، ج20، ص8.

ثالثاً- التعريف بإضافة "آيات" إلى ضمير "نحن"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

ومعنى "وقع القول" كما قال حبنكة الميداني: "أي: تحقق وجود ما دلّ عليه من خبر عن ماضٍ أو حاضر أو مستقبل، أو تحقق تنفيذ ما دلّ عليه من مطلوب"<sup>1</sup>. وسيتحقق هذا الوعد على الكافرين أمثالهم الذين كذبوا بهذه الأخبار والذين سيكونون موجودين في الأرض إبان حدوث أشرار الساعة من الأجيال والقرون القادمة في المستقبل<sup>2</sup>. فإذا تحقق مجيء الآيات الدالة على قيام الساعة خرجت الدابة<sup>3</sup> التي تكلم الناس عن الآيات الدالة والناطقة بقيام الساعة، والتي لم يصدقوا ويوقنوا بها<sup>4</sup>.

وقال المفسرون أن لفظ "آيات" جاء مضافاً إلى نون العظمة لأن:

- هذا القول هو حكاية من الله تعالى لمعنى قول الدابة لا لعين عبارتها.

- هذا القول حكاية من الدابة لقول الله وَعَلَّكَ.

- تنفيذ اختصاصها به تعالى وأثرها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلاذنا وإنما

الخيل والبلاذ لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا<sup>5</sup>.

إن تعريف لفظ "آيات" بإضافته إلى نون العظمة للتعظيم؛ فقد اكتسبت هذه العظمة إضافتها إلى نون العظمة، أي: أن هذه الآيات على عظمها، ورغم ذلك فإن المنكرين للبعث لم يصدقوها.

<sup>1</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص181.

<sup>2</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص182.

<sup>3</sup> وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه الأحاديث الخاصة بهذه القصة، كتاب: الفتن، باب: قصة الجساسة. يُنظر: مسلم، أبو

الحسن بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة

العربية السعودية، ط(1419هـ، 1998م)، ص1181.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص37.

<sup>5</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص301.



رابعاً- التعريف بإضافة "صنع" إلى "الله"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: 88].

ومن آياته أنك ترى الجبال وكأنها ثابتة وساكنة في مكانها، وهي في الحقيقة تسير<sup>1</sup> كسير الغمام بتأثير الرياح؛ وهذا من صنع الله القادر، الذي أحكم كل شيء خلقه<sup>2</sup>.

ومن دواعي التعريف بالإضافة التعظيم للمضاف؛ فإن إضافة المصدر "صنع" إلى لفظ الجلالة أكسبه عظمة، وهذا ما جاء في حديث الزمخشري أثناء تفسيره لهذه الآية، وذلك بقوله: "بعد ما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم"<sup>3</sup>.

خامساً- التعريف بإضافة "رب" إلى "هذه البلدة"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 91].

قال أبو السعود في تفسير هذه الآية: "والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيئها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها والتعرف لتحريمه تعالى إيّاها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم أثر تعظيم"<sup>4</sup>.

أما الزمخشري فقد قال: "اختصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها، لأنها أحب بلادها إليه، وأكرمها عليه، وأعظمها عنده"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> وآية تسيير الجبال جعلها جمهور المفسرين من علامات يوم القيامة، وأما البعض فلم يجعلها من علامات يوم القيامة، وإنما استدل بها على دوران الأرض حول الشمس بسرعة فائقة. يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 317- 321.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج20، ص 42.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 477.

<sup>4</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 306.

<sup>5</sup> الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص 478.

فمن الأغراض التي أفادتها الإضافة هنا التفخيم والتشريف للمضاف إليه، وهذا ما جاء في هذه الآية.

### المطلب الثاني: التنكير في سورة النمل

وبعد أن عرفنا في المطلب السابق التعريف وبعض مواضعه وأغراضه في سورة النمل، نتقل الآن إلى اللفظ المقابل والمضاد له وهو التنكير، ونبدأ بمفهومه.

كلمة (التنكير) في اللغة يرجع أصلها إلى الفعل (نكر)، وجاء في مقاييس اللغة أن "النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه"<sup>1</sup>.

أما في لسان العرب فقد جاء فيه أن "النكرة: خلاف المعرفة. ونكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونكرا: جهله. والمنكر من الأمر: خلاف المعروف"<sup>2</sup>.

وعند الراغب "الإنكار ضد العرفان، يقال: أنكرت كذا ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل. وتنكير الشيء من حيث المعنى جعله بحيث لا يُعرف، قال تعالى: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: 41]، وتعريفه جعله بحيث يُعرف"<sup>3</sup>.

فالناظر في هذه التعاريف يلاحظ أن لفظ "النكرة" يدور حول: الجهل وعدم المعرفة؛ أي: نقيض المعرفة.

وأما في الاصطلاح؛ فقد ذكر الخليل أن "النكرة نقيض المعرفة"<sup>4</sup>، وهذا تعريف لغوي لها. وعرفها ابن جني بقوله: "ما لم تخص الواحد من جنسه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ن ك ر)، ج 5، ص 476.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (نكر)، ج 50، ص 4539.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ن ك ر)، ص 382.

<sup>4</sup> الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دون معلومات الطبع، مادة (نكر)، ج 5، ص 355.

<sup>5</sup> ابن جني: اللع في العربية، ص 156.

ومن المحدثين من شرح هذا التعريف بقوله: "والنكرة - كما يقولون - ما شاع في جنسه دون أن يدل على معين، فإذا قلت: جاءني رجل، وهذا كتاب، فإنهما يصلحان لكل رجل وكتاب، ولا يدلان على رجل معين، أو كتاب معين"<sup>1</sup>.

وقد ذكر البلاغيون أغراضا كثيرة للتكثير تستدعيها البلاغة ويحتمها المقام، ولكن هذه الأغراض لا تستفاد من التكثير وحده؛ وإنما تستفاد كذلك من السياق الذي وردت فيه، وخير مثال على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 96]، وإلى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: 179]؛ فإن كلمة (حياة) جاءت منكرة في الآيتين، ولكنها تدل في كل آية على معنى، ففي الآية الأولى تدل على أي حياة مهما كانت، ولكنها في الآية الثانية تدل على حياة عظيمة، حريّ بأن يحافظ عليها<sup>2</sup>.

هذا وقد نبه ابن الزملاكي إلى أهمية دلالة النكرة، وأنها قد تكون في مواضع أولى من المعرفة، وهذا بقوله: "وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق خصوصا في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد. وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد، والنكرة متكررة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسماها إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة، وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنه لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه"<sup>3</sup>.

ومن الفنون البلاغية التي جاءت في سورة النمل التكثير، حيث سنتعرف على بعض الدواعي والأغراض البلاغية التي جاء من أجلها التكثير، والتي ذكرها المفسرون في مؤلفاتهم، وهذا فيما يلي:

### الفرع الأول: تكثير لفظ "كتاب"

وذلك في قوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 1].

<sup>1</sup> فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنائها (علم المعاني)، ص 329.

<sup>2</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: المصدر نفسه، ص 329.

<sup>3</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية ج2، ص 286.

وقد بيّنا فيما سبق أن هذه الآية جاءت للتنويه بشأن القرآن الكريم، وجاء لفظ "كتاب" نكرة، والغرض من هذا التنكير هو التفخيم، يقول الزمخشري: "لم نكر الكتاب المبين؟ قلت: ليهم بالتنكير فيكون أفخم له، كقوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾ [القمر: 55]"<sup>1</sup>.  
فتنكير "كتاب" كان بداعي التفخيم.

الفرع الثاني: تنكير اللفظين "حكيم" و"عليم"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَلَّذِي لُقِيَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: 6].

والكلام هنا موجه إلى الرسول ﷺ؛ يخبره فيه بأنه يأخذ هذا القرآن ويتعلمه من عند الله الحكيم العليم؛ فإن ما في القرآن من أوامر ونواهٍ، وقصص وعبر ليدلّ دلالة قاطعة على منتهى حكمته وعلمه.

وفي قوله: ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ بمعنى: أي حكيم، وأي عليم، ومجيئهما نكرتين إيدان بتعظيم هذا الحكيم العليم.<sup>2</sup>

وإذا كان تنكير ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أدى إلى تعظيم وتفخيم شأنه وعجل؛ فإن في هذا كذلك تفخيم لشأن المنزّل والمنزّل عليه.<sup>3</sup>

لقد كان من مقتضى الظاهر تعريف ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾؛ لأن المقصود بهما هو الله سبحانه وتعالى، وهذا معروف لدى المخاطب، ولكن في عدوله عن التعريف إلى التنكير مخالفاً بذلك لمقتضى الظاهر؛ فلأنه "أدعى لجلب الانتباه وإثارة التشويق؛ ليتفكر المرء ويتصور ما يتصور من عظمة لا تقدر بقدر لهذا الحكيم العليم"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 429. ويُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 219.

<sup>2</sup>يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 223.

<sup>3</sup>يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 273.

<sup>4</sup>نوح عطا الله الصرايرة: التعريف والتنكير بين النحويين والبلاغيين، ص 155.

الفرع الثالث: تنكير المفردات في قصة سليمان عليه السلام

أولاً- تنكير لفظ "علما"

وذلك في وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا

عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

لقد ورد لفظ العلم في هذه الآية بالتنكير؛ ولوروده هذا دلالتان كما ذكر المفسرون، إحداهما: أنّ هذا التنكير أفاد التعظيم؛ لأن هذا العلم هو علم نبوة وحكمة فلا يوجد أعظم من علم النبوة<sup>1</sup>، أو العلم الذي خصهما به الله سبحانه وتعالى، ولم يعطه لأحد من البشر؛ لذلك شكرا الله على هذا الفضل الذي خصهما به دون سائر المؤمنين<sup>2</sup>.

والأخرى: أنه أفاد التقليل والتبعيض<sup>3</sup>؛ لأنّ هذا العلم لا يقارن بعلم الله اللامتناهي، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، وهذا حتى لا يغترّ الإنسان بما حصله من العلم، ويشكر الله على ما آتاه<sup>4</sup>.

فالتنكير في هذه الآية احتمال دلالتين معاً؛ التقليل والتبعيض، أي علما قليلا بالمقارنة مع علم الله المطلق، ولحقيقة العلم في حدّ ذاته، فمهما حصلّ الإنسان منه فلن يصل إلى حقيقة العلم كلها، وأما التعظيم فيدل عليه السياق؛ لأنه في سياق الامتنان عليهما، "ووجه الجمع بين المتضادين: التقليل والتعظيم، أنّ قليل العلم الذي أوتياه يفوق علم سواهما، وعظيم بالنسبة لعلم غيرهما من العباد لذا قالوا: ﴿الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 232، 233.

<sup>2</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 297.

<sup>3</sup> يُنظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 435.

<sup>4</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: المرجع نفسه، ص 297.

<sup>5</sup> نوح عطا الله الصرايرة: المرجع السابق، ص 155، 156.

ثانياً- تنكير لفظ "امرأة"

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23].

هذا هو مضمون الخبر الذي جاء به الهدهد من بلاد سبأ ليبرر غيابه لسليمان عليه السلام؛ فقد وجد فيها مملكة عظيمة، تملكها امرأة هي بلقيس.

وجاء بلفظ "امرأة" نكرة؛ لإفادة التعجب؛ "لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على قوم، ولذلك لم يقل: وجدتهم تملكهم امرأة"<sup>1</sup>، وجاء الهدهد بهذا التعبير "ليثبت أنه جاء بجديد، عن مَلِكٍ مثله ولكنه ليس رجلاً، مما حفزه إلى الاهتمام بكلام الهدهد، والسماع منه حتى النهاية"<sup>2</sup>.

ثالثاً- تنكير لفظ "مال"

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ نَفَرَحُونَ﴾ [النمل: 36].

بعثت بلقيس بهديتها إلى سليمان عليه السلام، وجاء الرسول ومن معه من أتباعه بتلك الهدية، ولكن سليمان عليه السلام أعرض عنها، وقال منكرًا عليهم: ﴿أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ...﴾ الآية<sup>3</sup>.

وبإنكاره عليهم، وإعراضه عنهم عليه السلام جاء بلفظ "مال" نكرة؛ وهذا التنكير لإفادة التحقير<sup>4</sup>؛ لأنّ المال الذي أرسلته بلقيس على نفاسته فإنه حقير بالنسبة لما أوتي سليمان عليه السلام من نعم النبوة والملك الواسع والمال الوفير.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 249.

<sup>2</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 311.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19، ص 295.

<sup>4</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 285.

رابعاً- تنكير لفظ "علم"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ... ﴾ [النمل: 40].

طالب سليمان عليه السلام من معه الإتيان بعرش بلقيس قبل أن تصل ليكون دليلاً على صدق نبوته، فقال له عفريت من الجن أنه سيحضره له قبل أن يقوم من مجلسه، ثم أجابه الذي عنده علم من الكتاب بأنه سيأتي به في لمح البصر<sup>1</sup>.

وقد جاء التعبير عن الذي عنده العلم بلفظ ﴿ عِلْمٌ ﴾ بالتنكير وهذا "للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود"<sup>2</sup>.

من خلال ما سبق نستنتج أن التعريف والتنكير في القرآن الكريم بصفة عامة لم يأت اعتبارياً؛ وإنما كان لكل واحد منهما أغراضه ودواعيه التي جاء من أجلها.

وفي ختام هذا الفصل نجد أن :

اصطفاء المفردات في سورة النمل كان خاضعاً للسياق والجو العام للسورة؛ حيث نجد اختلاف ألفاظ القصة الواحدة من سورة إلى أخرى، ورغم أن هذه الألفاظ قد تبدو متقاربة في المعنى، وأن المفسرين يفسرون لفظة بأخرى؛ إلا أننا من خلال هذه الدراسة تمكنا من ملاحظة الفروق الدقيقة بين الألفاظ، وأن القرآن الكريم استعمل المفردة الدالة دلالة دقيقة على المعنى الذي سيق الكلام من أجله.

وكذلك بالنسبة لاصطفاء حروف المعاني؛ فلا يمكن استبدال حرف بآخر، بل إن كل واحد منها موضوع في مكانه اللائق به، لا يُعَيَّر ولا يُسْتَبَدَل.

هذا فيما يخص مادة الكلمة، أما من حيث اختيار هيئة التعريف والتنكير في السورة فقد جاء لأغراض عديدة.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 302.

<sup>2</sup> أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص 287.



فأما أغراض التعريف؛ فقد جاء التعريف باسم الإشارة من أجل بيان بعد المنزلة والشرف، والتعظيم. والتعريف بالاسم الموصول جاء بغرض الإيناس والتلطّف، كما جاء من أجل الذمّ. وتنوّع التعريف بـ (ال) بين الاستغراق والعهد. وكان للتعريف بالإضافة أغراض منها: التعظيم، والتهكّم، والتفخيم، والتشريف.

ولقد تنوّعت أغراض التنكير في السورة بين: التفخيم، والتعظيم، والتقليل والتبعيض، والتحقير، والتعجب.

# المفصل الثاني

خصائص التراكييب في سورة النمل

## الفصل الثاني: خصائص التراكييب في سورة النمل

ونقصد بالتراكييب ارتباط واتصال الكلمات ببعضها البعض من أجل إيصال المعاني والأفكار؛ حيث وقفنا في هذا الفصل على: التقديم والتأخير بين الألفاظ وبيان أغراضه البلاغية، وطرق إلقاء الأخبار على المخاطبين وهذا في مبحث التوكيد، كما وقفنا على الإنشاء الطلبي وخروجه عن أغراضه الحقيقة إلى أغراض تُفهم من السياق، وأسلوب القصر وأهم الطرق التي جاء بها، وفي الأخير كان الحديث عن الإيجاز والإطناب وذكر أهم الطرق والأغراض.

## المبحث الأول: التقديم والتأخير

يُعدّ التقديم والتأخير من أهمّ الظواهر اللغوية التي أكسبت اللغة مرونتها وطواعيتها، لذلك أولاه العلماء عنايتهم؛ فكان من أهمّ مباحث علم المعاني.

وقبل أن نتناول التقديم والتأخير في سورة النمل، نرجع على مفهوم التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح، من أجل إعطاء فكرة عامة عن هذا الأسلوب.

ولفظ التقديم؛ أصله من الجذر الثلاثي (ق د م)، وعند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد هذه الكلمة تدلّ على السبق، وقادمة الرحل: خلاف آخرته<sup>1</sup>، وقيل: مُقَدِّمَةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ، ومُقَدِّمٌ كُلُّ شَيْءٍ نَقِيضٌ مُؤَخَّرِهِ<sup>2</sup>.

والتأخير؛ أصله من الجذر الثلاثي (أ خ ر)، "وهو أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم"<sup>3</sup>، والتأخير ضد التقديم، ومؤخر كل شيء خلاف مقدمه<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه المعاني اللغوية نجد أن كلا اللفظين هو ضد الآخر، فالتقديم نقيض التأخير، والتأخير نقيض التقديم. والتقديم والتأخير في الكلام متلازمان، فإذا كان هناك لفظ مقدم فبالضرورة هناك لفظ مؤخر.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ق د م)، ج 5، ص 65.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (قدم)، ج 39، ص 3554.

<sup>3</sup> ابن فارس: المصدر نفسه، مادة (أ خ ر)، ج 1، ص 70.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (أ خ ر)، ج 1، ص 38.

وأما في الاصطلاح فإن الناظر في كتب المتقدمين لا يجد تعريفا واضحا للتقدم والتأخير، وربما هذا راجع إلى وضوح المصطلح لديهم، وشدة اتصاله بالمعنى اللغوي<sup>1</sup>.

ومن الذين عرّفوا التقدم والتأخير الطوفي<sup>2</sup> في كتابه "الإكسير في علم التفسير"، بقوله: "هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها؛ لعارض اختصاص أو أهمية، أو ضرورة"<sup>3</sup>.

وقريب من هذا التعريف تعريف منير سلطان حيث عرفه بقوله: هو "تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي"<sup>4</sup>.

ولأهمية التقدم والتأخير؛ يقول شيخ البلاغة عبد القاهر<sup>5</sup>: "هو باب كثير الفوائد، حمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفتّر (يكشف) لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: علي أبو القاسم عون: بلاغة التقدم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 (2006م)، ج1، ص 43.

<sup>2</sup> وهو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، المعروف بابن العباس بنجّم الدين الطوفي (657هـ-716هـ)، من طوف قرية ببغداد، الحنبلي، اهتم بالرفض، كان فقيها وشاعرا وأديبا فاضلا قيما بالنحو واللغة والتاريخ، مشاركا في الأصول، من مصنفاته: بغية السائل في أمهات المسائل، والإكسير في قواعد التفسير، والعذاب الواصب على أرواح النواصب، وشرح المقامات الحريية، وغيرها. يُنظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص154. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص600. والزركلي: الأعلام، ج3، ص128.

<sup>3</sup> الطوفي، سليمان بن عبد القوي: الأكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د)، ص189.

<sup>4</sup> منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط3 (1996م)، ص 138.

<sup>5</sup> هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت474هـ)، الشافعي، الأشعري، النحوي، المتكلم، كان عالما وذا نسك ودين، واضع أصول البلاغة، وكان من أئمة اللغة، له مصنفات عديدة منها: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والمغني في شرح الإيضاح، والعمدة في تصريف الأفعال، وغيرها. يُنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص433. والسبكي، تاج الدين أبو نصر: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلوة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط1 (1383هـ، 1964م)، ج5، ص149. والسيوطي: المصدر نفسه، ج2، ص106. والزركلي: المصدر نفسه، ج4، ص48.

<sup>6</sup> الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5 (2004م)، ص106.

وقد ورد التقديم والتأخير في السورة في مواضع متعددة نذكر منها:

### المطلب الأول: التقديم والتأخير في العطف

وقع التقديم والتأخير في العطف في السورة؛ وذلك من خلال تقديم و تأخير بعض المفردات و الجمل، فنحاول في هذا الفصل التعرف على السرّ في هذا، والدلالة البلاغية لذلك.

#### الفرع الأول: تقديم وتأخير المفردات

أولاً- تقديم اسم "داود" على "سليمان" عليهما السلام

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

جاء في هذه الآية تقديم اسم داود على اسم سليمان عليهما السلام؛ "لأن داود أسبق في الخلق والتكليف والنبوة والحكم والحكمة والعلم من سليمان ولده"<sup>1</sup>. فهذا التقديم كان على أساس السبق في الوجود، فإن الابن يأتي بعد الأب.

ثانياً- تقديم لفظ "الجنّ" على "الإنس"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: 17].

جمع جنود سليمان عليه السلام من الجن والانس والطير، "فهم يؤمرون فيأتمرون، ويئتهون

فيئتهون"<sup>2</sup>، إلا أنه لا يلزم من هذا الحشر جمع كل الجن والانس والطير<sup>3</sup>؛ "لأن (من) التي وردت في الآية الكريمة تفيد في اللغة التبعية والقلّة، ويفهم من هذا أنه لم يُسخر لسليمان كل الجن والانس

<sup>1</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 297.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 237، 238.

<sup>3</sup> يُنظر: الألوسي: روح المعاني، ج 19، ص 173.

والطير، وإنما طائفة منهم فقط"<sup>1</sup>.

وقد جاء الفعل "حُشِر" بصيغة الفعل الماضي المبني المجهول؛ لأنّ الحاشر هو الله سبحانه وتعالى القادر والمسخر للأمر، المستحق للحمد، وأنّ هذا الحشر لم يكن من سليمان عليه السلام، وليس بمقدوره ذلك<sup>2</sup>.

وقد قدم لفظ (الجنّ) على لفظ (الإنس) لاعتبارات:

**أولها:** باعتبار السبق؛ لأن الجنّ أسبق في الخلق من الإنس، فكان البدء بهم.

**ثانيها:** باعتبار الطاقة والقدرة؛ فالجنّ لهم القدرة على العمل، ولديهم الطاقة لإنجاز أعمال لا يستطيعها الإنس، مثل البناء والغوص. ونفس الشيء في تقديم الإنس على الطير، فلا شك أن الإنس أقدر من الطير في إنجاز الأعمال، وأكثر صبرا على تحمل المصائب<sup>3</sup>.

**ثالثها:** للإيدان بكمال قوة ملك سليمان عليه السلام وعزة سلطانه؛ فبدأ الكلام بالفئة التي يصعب التحكم فيها، وحشرها وتسخيرها لصالحه؛ "لما أنّ الجنّ طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير"<sup>4</sup>.

ثالثا- تقديم لفظ "التبسم" على "الضحك"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتَسْمَضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ... ﴾ [النمل: 19].

لقد تعجب سليمان عليه السلام من قول النملة فتبسم ضاحكا من هذا القول. والتبسم من

<sup>1</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 303.

<sup>2</sup> يُنظَر: فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 303.

<sup>3</sup> يُنظَر: فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 303.

<sup>4</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 277.

الدرجات الخفيفة للضحك، ولا يكون مصحوبا بصوت<sup>1</sup>، وضحك الأنبياء عليهم السلام التبسم بدون صوت، "وضاحكا" حال مؤكدة لـ (تبسم)<sup>2</sup>.

وجاء تقديم لفظ "تبسم" على لفظ "ضاحكا"؛ "لأن التبسم عادة يسبق الضحك، ويُعد هذا غاية في الإعجاز البياني، وفي استخدام الألفاظ الدالة على معانيها، وفي محلها"<sup>3</sup>، فسلیمان ﷺ قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وكما قال الزمخشري: "تبسم شارعا في الضحك، وأخذا فيه؛ يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك. وكذلك ضحك الأنبياء -عليهم السلام-، ولذلك فإن ما روي أن رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه"<sup>4</sup>، فالغرض منه المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي؛ وإلا فبدوا النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب"<sup>5</sup>.

فالتقديم في هذه الآية كان باعتبار المراحل، فالتبسم مرحلة تكون سابقة لمرحلة الضحك.

رابعا-تقديم لفظ "التعذيب" على "الذبح"

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذِجَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ

مُبِينٍ﴾ [النمل:21].

عندما طلب سليمان ﷺ الهدهد ولم يجده توعدده بالعذاب الشديد، أو الذبح إذا لم يأت بتبرير مقنع لغيابه.

وقدّم في هذا الكلام العذاب الشديد على الذبح؛ "لأن التعذيب الشديد، أشدّ وأمرّ من الذبح، فالتعذيب موت في كل لحظة ومتكرر دون أن تفارق الروح الجسد، أما الذبح فهو الموت مرة واحدة، فيكون أحفّ من التعذيب، وقد ورد هذا المعنى في السياق القرآني عندما تحدّث عن عذاب

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 66.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 240.

<sup>3</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ، ص 305، 306.

<sup>4</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، سورة الزمر، باب: "وما قدروا الله حق قدره" رقم الحديث: 4811. يُنظر: البخاري: الجامع المسند الصحيح، ج3، ص378. ومسلم في صحيحه، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث 2786. يُنظر: مسلم: المسند الصحيح المختصر، ص1121.

<sup>5</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 441، 442.



الكفار، ووصفه بأنه الموت المتكرر، وليس الموت مرة واحدة فقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: 17]<sup>1</sup>.

خامسا- تقديم لفظ "القرآن" على "الكتاب"

وذلك في قوله تعالى: ﴿طَسَّ تَلَكَّ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 1].

وهذا مطلع سورة النمل، الذي يتبدى بالتنويه بشأن القرآن الكريم- كما قلنا فيما سبق-، وجاء التعبير في هذه الآية مخالفا لما هو في آية سورة الحجر؛ حيث قُدم لفظ "القرآن" على لفظ "الكتاب" في سورة النمل، وقُدم لفظ "الكتاب" على لفظ "القرآن" في سورة الحجر، وبرر ابن عاشور هذا الاختلاف بأنَّ المقام في كلا السورتين اقتضى ذلك؛ فالمقام في سورة النمل مقام التنويه بالقرآن ومتبعيه من المؤمنين، فكان الأهم هنا هو استحضاره باسمه العلم المنقول من مصدر القراءة، وهذا ما يناسب حال المؤمنين به، الذين تقبلوا آياته فهم يدرسونها ويحفظونها. وأما المقام في سورة الحجر فهو مقام التحسير للكافرين لإعراضهم عن الإسلام؛ فابتدئ باسم الكتاب المشتق من الكتابة دون القرآن لأنهم غير مؤمنين به، ولا يقرؤونه ولكنه مكتوب، وسيبقى حجة عليهم إلى يوم القيامة<sup>2</sup>.

سادسا- تقديم لفظ "الكن" على "العلن"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 74].

إنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما في صدور الكافرين وما يعلنون؛ "وهو يعلمهم ويؤخر العذاب عنهم، مع علمه بما تكته صدورهم وما تعلنه ألسنتهم وأفعالهم، فهو الإمهال عن علم، والإمهال عن فضل، وهم بعد ذلك محاسبون عما تكنَّ صدورهم وما يعلنون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> فايز صالح الخطيب: المرجع السابق، ص 309.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 218، 219.

<sup>3</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 20، ص 2664.

وقُدِّم الإسرار في الصدور على الإعلان؛ للمبالغة في شمول وإحاطة علم الله سبحانه وتعالى، وقال أبو السعود: "للإيدان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأنَّ علمه بما يُسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فإنَّ علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كلِّ شيء في نفسه علمٌ بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة"<sup>1</sup>.

لقد جاء هذا التقديم بغرض فضح المشركين، الذين كانوا يضمرون المكر، ويتربصون بالرسول ﷺ والمؤمنين، فالله سبحانه وتعالى يعلم مكائدهم، وسيجازيهم عليها.

### الفرع الثاني: تقديم وتأخير الجمل

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٥٢)</sup> وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[النمل: 52، 53].

والكلام هنا عن قوم صالح، فإنهم لما كذبوا صالحا، وعقروا الناقة، وتمادوا في غيِّهم بأن دبروا لقتل صالح ﷺ غيلة، أنزل الله سبحانه وتعالى بهم العذاب الذي يستحقونه، فكان من آثار هذا العذاب أن أصبحت مساكنهم خالية بسبب ظلمهم أنفسهم، فكانوا عبرة وموعظة للذين يعلمون بسنة الله في خلقه، كما أنجى من هذا العذاب المؤمنين الذين اتبعوا وصدقوا صالح في دعوته<sup>2</sup>.

وأصل النظم عطف جملة ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ على جملة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ...﴾، ولكن جاء النظم مختلفا، وذلك بتأخير جملة: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ عن جملة: ﴿إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ وهذا بغرض طمأنة المؤمنين الذين كانوا مع الرسول ﷺ " بأن الله ينجيهم مما توعد به المشركين، كما نجى الذين آمنوا

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج1، ص118، 119.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص320.

وكانوا يتقون من ثمود وهم قوم صالح ومن آمن معه، وزيادة فعل الكون في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ للدلالة على أنهم متمكنون من التقوى<sup>1</sup>.

المطلب الثاني: التقديم والتأخير بين المفعول به وتوابعه

سأطرق في هذا المطلب إلى تقديم المفعول به عن توابعه ، كما أتناول تقديم التوابع عن المفعول به، والأسرار البلاغية لذلك التقديم في كليهما.

الفرع الأول: تقديم المفعول به على توابعه

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل:68].

وهذا من أقوال المكذبين بالبعث، الذين يعتبرون قضية البعث عبارة عن قصص وخرافات الأولين، حيث لم يروا هم وآباؤهم تحقق هذا الوعد.

ونظير هذه الآية ما جاء في سورة المؤمنون من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:83]، ولكن خالفها في موضع لفظ "هذا"؛ حيث جاء في هذه الآية متأخرا، بينما نجده في سورة النمل مقدما، حيث فصل بين ما أصله المفعول الأول -الضمير في "وعدنا"- وبين توابعه، فقد جاء المفعول الثاني "هذا" تاليا لنائب الفاعل، وفصل بينه وبين التوكيد وعطف النسق<sup>2</sup>.

لقد أرجع الزمخشري وتبعه في ذلك أبو السعود سبب هذا التقديم إلى "أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإنّ الكلام إنما سيق لأجله"<sup>3</sup>، ولقد بيّن السكاكيني كتابه "المفتاح" أنّ اسم الإشارة "هذا" في سورة المؤمنون كان في موضعه؛ أما في سورة النمل فلكونه الأهمّ كما قال الزمخشري، ولكن يضيف السكاكي بأنّ هذه الأهمية يمكن أن نستشفها من الآية السابقة للآية محل الدراسة في كلا

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 274.

<sup>2</sup> يُنظر: علي أبو القاسم عون: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص 87.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 469. ويُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص 298.

السورتين، ففي سورة المؤمنون الآية السابقة هي قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ [المؤمنون: 82]، أما الآية السابقة في سورة النمل فهي قوله تعالى: ﴿ أءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِآبَآؤُنَا ﴾ [النمل: 67]، فانظر إلى الاختلاف بين الآيتين، فالجهة المنظور فيها في سورة المؤمنون هي كون أنفسهم ترابا وعظاما، أما الجهة المنظور فيها في سورة النمل هي كون أنفسهم وآبائهم ترابا فقط، فلم يبق من أجسادهم شيء، وهذا أدخل عندهم في استبعاد البعث؛ فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد إلى ذكره فصيره هذا العارض أهم<sup>1</sup>.

فالملاحظ أن تقديم اسم الإشارة "هذا" ، أو تأخيره؛ إنما خاضع للسياق الذي ورد فيه، فبفضل السياق نصل إلى سرّ التقديم والتأخير للألفاظ.

الفرع الثاني: تقديم التوابع على المفعول به

أولا- تقديم الجار والمجرور على المفعول به

1- في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: 45].

وهذه قصة أخرى يذكرها الله سبحانه وتعالى تسليية للرسول ﷺ، قصة النبي صالح مع قومه ثمود، حين قال لهم أعبدوا الله وحده، ولا تجعلوا معه إلها آخر، عندها افترقوا فرقتين؛ فريق صدق صالحا وآمن بما جاء به، وفريق كذبه وكفر بما جاء به، وصارا يتخاصمان أيهما على حق<sup>2</sup>.

وجاء التعبير بتقديم الجار والمجرور "إلى ثمود" على المفعول به "أخاهم"؛ والغرض من هذا التقديم هو الاعتبار؛ فلمّا " كان ما حلّ بالقوم أهمّ ذكرا في هذا المقام؛ قدّم المجرور على المفعول؛ لأنّ المجرور هو محلّ العبرة، وأما المفعول فهو محلّ التسليية، والتسليية غرض تبعي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد: مفتاح العلوم، ص 344، 345

<sup>2</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص 146.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 270.

2- في قوله تعالى: ﴿أَمْنَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ يَدَّبُّونَ﴾ [النمل:60].

وهذه الآية في سياق الاستدلال على وحدانية الله تعالى، وأنه هو القادر على كل شيء؛ لأنه هو الخالق لأصول النعم وفروعها، فكيف يصح عبادة ما لا منفعة منه أصلاً<sup>1</sup>.

وجاء الكلام في هذه الآية عن خلق السماوات والأرض، وإنزال المطر، وإنبات الحدائق، وجاء التعبير بتقديم "لكم" على مفعوله "ماء" للتشويق إلى المؤخر<sup>2</sup>، فجاء هذا التقديم لتشويق السامع أو القارئ إلى ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وللدلالة على أهمية المؤخر.

كما جاء تقديم "لكم" على "أن تنبتوا"؛ لأنّ الأول خبر كان، والأخير اسم كان، واللام في (لكم) للملك، فقدم الخبر على الاسم للاهتمام بنفي ملك ذلك<sup>3</sup>، فالتقديم في هذه الآية للدلالة على نفي قدرة هؤلاء المشركين على إنبات الأشجار، وإثبات اختصاصه بالإنبات.

ثانياً- تقديم الظرف على المفعول به

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْوَحْشِيِّينَ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَهْمٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:61].

وهذا دليل ثانٍ على وحدانية الله سبحانه وتعالى؛ وهو جعل الأرض مستقراً للإنسان وغيره، لا تميل ولا تتحرك بهم، كما جعل فيها الأنهار والجبال الثابتة التي تثبت الأرض حتى لا تميد بمن فوقها، وجعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزاً يمنعها من الاختلاط والامتزاج فيما بينها حتى تبقى الغاية من التفرقة متحققة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 11.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص294.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص286.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج20، ص12.

وجاء التعبير في هذه الآية عن وجود الحاجز بين الماء العذب والماء المالح؛ بتأخير المفعول به "حاجزا" على الظرف "بين" للتشويق<sup>1</sup> كذلك، أي: لتشويق السامع لثمة الكلام والتطلع إلى ما جعل الله سبحانه وتعالى بين البحرين، والاهتمام به.

المطلب الثالث: تقديم المسند إليه على المسند والمتعلقات على الفعل

الفرع الأول: تقديم المسند إليه على المسند

أولاً- في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ مَهْدِيَّتِكُمْ فَفَرِحُونَ ﴾ [النمل: 36].

انتقل سليمان عليه السلام من إنكاره على رسل بلقيس لإمداده بالمال؛ لأنّ الذي يملكه خير مما يملكونه هم، إلى كلامه عن سرورهم بالهدية، والافتخار بها، وهذا ما تفيده (بل) فهي للإضراب الانتقالي، والخبر مستعمل هنا للكناية عن عدم قبول الهدية وردّها<sup>2</sup>.

وجاء المسند إليه (أنتم) مقدما على المسند الفعلّي (تفرحون) لإفادة القصر<sup>3</sup>، أي: قصر الفرح على قوم بلقيس الذين جاءوا بالهدية، فكأنه قال: أنا لم أفرح بالهدية، بل أنتم فقط من يفرح بها.

ثانياً- في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَيَمِّنُ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ [النمل: 47].

وهذه الآية تحكي لنا بعض ما قاله قوم صالح لنبیهم عليه السلام، بعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به، وبعد أن استفسر عن سبب تأخير الإيمان الذي يجلب إليهم الثواب، ويستعجلون العقاب الذي توعدهم به، قالوا له بأنهم تشاءموا منه ومن أتباعه<sup>4</sup>، فأجابهم صالح

<sup>1</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج 6، ص 295.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 262.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 262، 263.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 19، ص 320، 321.

عَلَيْهِمُ أَنْ الشُّؤْمَ لَيْسَ بِسَبَبِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، بَلْ بِسَبَبِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ؛ لاعتقادهم بصحة التطيّر الذي في قلوبهم<sup>1</sup>.

وقد جاء المسند إليه مقدما في عبارة ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾؛ "لتعيين افتتاهم وضلالهم، في مقابل انتفاء الشؤم الذي ادعوه بقولهم لرسولهم صالح السليمان: ﴿أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمَنَ مَعَكَ﴾، دلّ على هذا (بل) إذ العبارة بقوة: إنما أنتم تفتنون، لا شؤم يأتي من قبلنا حتى تطيروا بنا"<sup>2</sup>، فكان هذا التقديم للتأكيد على ذلك الحكم، وصيغ المسند فعلا مضارعا ﴿تُفْتَنُونَ﴾ للدلالة على تجدد الفتون واستمراره<sup>3</sup>.

فهذا الترتيب وعلى هذا النحو من تقديم المسند إليه على المسند في هذه الآية جاء ليؤدي غرضا بلاغيا ما كان ليؤدي لو قدم المسند على المسند إليه وهذا الغرض هو تقوية الحكم والتوكيد على فتنة قوم ثمود.

#### الفرع الثاني: تقديم المتعلقات على الفعل

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35].

بعد ما أرسل سليمان السليمان برسالته مع الهدهد إلى ملكة سبأ، تشاورت هي وقومها، ثم ارتأت أن تبعث بهدية إليه، وتنتظر ما يرجع به المرسلون.

و"ناظرة" اسم فاعل؛ إما من النظر بمعنى الترقب، أو من النظر العقلي أي: عالمة، وفي الكلام تقديم وتأخير في أجزاء الجملة، وأصل النظم: فَنَاظِرَةٌ مَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ بِهِ، فالباء متعلقة بالفعل "يرجع" فُدمت على متعلقها لاقتراها بحرف (ما) الاستفهامية لأنّ الاستفهام له صدر الكلام<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 273، 274.

<sup>2</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 111.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 273، 274.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 261.



وإنما يدل هذا التغيير في النظم على تردّد الملكة بلقيس فيما يرجع به المرسلون<sup>1</sup>، فهي لا تعرف سليمان عليه السلام، ولا تعرف ردّ فعله اتجاه هذه الهدية، وبناء على ما يرجع به المرسلون سيكون قرارها.

### المبحث الثاني: الأسلوب الخبري والإنشائي في سورة النمل

ورد الأسلوبان؛ الخبري والإنشائي في السورة بكثرة، وفي هذا المبحث سنقوم بدراسة الأسلوب الخبري في سورة النمل (المطلب الأول)، والأسلوب الإنشائي في هذه السورة (المطلب الثاني)، وأسرارهما البلاغية.

### المطلب الأول: الأسلوب الخبري في سورة النمل

نظراً لأهمية أسلوب التوكيد، ودلالته البلاغية في سورة النمل فقد ركّز العلماء على دراسته واستخراج لطائفه البلاغية؛ لذلك سأكتفي بدراسة هذا الأسلوب في سورة النمل.

حيثاً تناول بالدراسة أسلوب التوكيد في سورة النمل من خلال التوكيد بالأدوات (الفرع الأول)، وكذلك من خلال التوكيد اللفظي المعنوي (الفرع الثاني)، وهذا لبيان أغراض أسلوب التوكيد من حيث تقوية المعنى وتمكينه في الآيات الوارد فيها.

وأسلوب التوكيد من الأساليب العريقة التي كان العرب يستعملونها في لغتهم، وقد جاء القرآن الكريم والحديث الشريف بهذا الأسلوب، ولكن قبل أن نتعرض لهذا الأسلوب في سورة النمل، نقدم تعريفاً له، لإعطاء صورة ولو مختصرة على هذا الأسلوب.

فالتوكيد في اللغة من (وكد)، وهو أصل يدل على شدّ وإحكام، فتقول: "أَوْكِدُ عَقْدَكَ، أَي شُدُّهُ، .. وَالْوَكَادُ: حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الْبَقَرَةُ عِنْدَ الْحَلْبِ. وَيَقُولُونَ: وَكَدَ وَكَدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعَمِّي بِهِ"<sup>2</sup>.

وجاء في لسان العرب وكّد بمعنى أوثق، حيث قال ابن منظور: "وَكَّدَ: وَكَّدَ الْعَقْدَ وَالْعَهْدَ: أَوْثَقَهُ، وَالْهَمَزُ فِيهِ لُغَةٌ. يُقَالُ: أَوْكَدْتُهُ وَأَكَّدْتُهُ وَأَكَّدْتُهُ إِيكَاداً، وَبِالْوَاوِ أَفْصَحَ، أَي شَدَّدْتُهُ، وَتَوَكَّدَ

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 261.

<sup>2</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (و ك د)، ج 6، ص 138.

الأمر وتأكد بمعنى. ويُقال: وكَّدت اليمين، والهمزُ في العُقد أجوْدُ، وتُقول: إذا عَقَدت فأكَّد، وإذا حَلَفْتَ فَوَكَّد<sup>1</sup>.

والتوكيد يكون في القول والفعل، فتقول: "وكَّدت القول والفعل، وأكدته أحكامه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91]<sup>2</sup>.

ومن خلال ما جاء في المعاجم اللغوية، نجد أن معنى التوكيد يدور حول معاني: الشد، والإحكام.

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه العلوي بقوله: "التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإمالة الشبهات عما أنت بصدده"<sup>3</sup>.

ويكون التأكيد في اللغة العربية بأدوات خاصة ذكرها النحويون والبلاغيون وهي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، والقسم، وإما الشرطية، وحرفا التنبيه؛ ألا، وأما، والحروف الزائدة؛ إن، أن، ما، من، الباء، قد التي هي للتحقيق، والسين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد أو وعيد، وتكرير النفي، إنما، ونونا التوكيد<sup>4</sup>.

ويؤتى بالتوكيد لأسباب ودواع، كما قال الزركشي: "إنما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجا ألقى إليه الكلام خاليا عن التوكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكّد، وأن كان منكرا وجب تأكيده، ويراعى في القوة والضعف بحسب حال المنكر"<sup>5</sup>، وهذا ما يسميه البلاغيون: الخبر الابتدائي، والطلبي، والإنكاري.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (وكد)، ج 54، ص 4905.

<sup>2</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (و ك د)، ص 413.

<sup>3</sup> العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز، تحقيق: عبد الحمدي هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1 (1423هـ، 2002م)، ج2، ص 94.

<sup>4</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 114.

<sup>5</sup> الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 390.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن التوكيد هو تمكين المعنى في ذهن السامع وتقويته، ويكون هذا التمكين بأدوات، وأساليب وطرق يلجأ إليها المتكلم، مراعيًا في ذلك أحوال المخاطب، أي مراعاة مقتضى الحال<sup>1</sup>.

وبعد هذه المقدمة عن التوكيد ننتقل الآن إلى دراسة ما جاء منه في سورة النمل، وبيان أغراضه البلاغية.

وهنا نذكر الآيات التي ورد فيها التوكيد، مع ذكر أقوال المفسرين، وبيان أغراضه.

### الفرع الأول: التوكيد بالأدوات

سأركز على حروف التوكيد الواردة في سورة النمل والتي نبه المفسرون إلى أسرارها البلاغية وذلك من خلال ما يلي :

#### أولاً- التوكيد بحرف "إِنَّ"

1- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل:4].

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أوصاف الذين يكون لهم القرآن الكريم هاديا ومبشرا، وبأنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، انتقل للكلام عن الذين يكذبون بالآخرة، ويستبعدون وقوعها بعد الموت، وحسن لهم الله **وَعَجَّلَ** ما هم فيه من الغي، فهم تائهون مترددون في ضلالهم، وهذا جزاء على ما كذبوا به<sup>2</sup>.

وجاء التأكيد في هذه الآية بحرف (إِنَّ)؛ وهي الأصل في التوكيد، كما أكد هذا الخبر بالجملة الاسمية؛ لأن هذا الخبر موجه أصلا للذين ينكرون الآخرة، وقد أبلغوا الخبر المؤكد بأسلوب

<sup>1</sup> للاستزادة: ينظر: عائشة عبيزة: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: 2008، 2009م.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 258.

غير مباشر، ولم يواجهوا به، وقد يصلح توجيه هذا الخبر لبعض المؤمنين<sup>1</sup>، من الذين تساءلوا عن مصير المقابلين لهم؛ وهم الذين ينكرون الآخرة.

2- في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23].

وهذا كلام الهدهد مع سليمان عليه السلام، يخبره بما وجدته في أثناء غيابه، وأنه وجد امرأة تحكم مملكة سبأ، وأوتيت من كل شيء.

ولكن الهدهد ألقى الخبر لسليمان عليه السلام مؤكداً بمؤكدتين؛ حرف (إن)، والجملة الاسمية، والداعي لهذا التأكيد كما يرى ابن عاشور هو " لأهمية الخبر؛ إذ لم يكن معهوداً في بني إسرائيل أن تكون المرأة ملكاً"<sup>2</sup>، ويرى حبنكة الميداني أن الداعي لهذا التوكيد هو "أن الهدهد في موقف المحاسبة له على تغييره بغير أمر أو إذن له من سيده سليمان عليه السلام"<sup>3</sup>.

إن تأكيد الهدهد لكلامه يدل على أن هذا الخبر صحيح لا شك فيه، فلا يتردد سليمان عليه السلام في تصديقه، وهو الذي توعدّه بالعذاب إذا لم يأت به بغير واضح وبين، وكما جاء كلام سليمان عليه السلام مؤكداً، كذلك جاء كلام الهدهد مؤكداً.

3- في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29].

وهذا كلام بلقيس بعدما ألقى الهدهد إليها بالكتاب، وقد جاء قولها هذا مؤكداً بالحرف (إن)؛ والغرض من هذا التوكيد هو "زيادة في صدق ما تخبرهم به، وتأكيداً"<sup>4</sup>.

وأما قول بلقيس: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾، والتعبير عن ذلك بصيغة المجهول؛ فيدل على عدم علمها بمن ألقى الكتاب، ولا كيفية إلقائه، ولو كانت تعرف أن الهدهد هو من ألقى

<sup>1</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 213.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 248.

<sup>3</sup> حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج 4، ص 214.

<sup>4</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 315.

الكتاب - كما يقول بعض المفسرين-؛ لأعلنت هذا الأمر العجيب الذي لا يقع كل يوم، مما يُرحح أنها لم تكن تعلم كيف أُلقي إليها ولا من ألقاه<sup>1</sup>.

4- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: 30].

وبعد إعلام بلقيس قومها بإلقاء الكتاب شرعت في قراءته، فقالت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ولعل بلقيس عرفت إسم سليمان عليه السلام من ختم الكتاب، والذي يكون عادة خارج الكتاب ولذلك ابتدأت به، وقد صدر سليمان عليه السلام كتابه بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فلم يقدم شيئاً قبل اسم الله تعالى<sup>2</sup>.

وإلقاء بلقيس أخبارها على قومها مؤكدة بحرف (إنّ) في الموضوعين يدلّ على "اهتمامها بمرسل الكتاب، وبما تضمنه الكتاب"<sup>3</sup>.

وكان هذا الكتاب "في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة شاملاً أموراً ثلاثة: أولها: البسملة الدالة على إثبات الله ووحدانيته وقدرته ورحمته، الثاني: النهي عن الترفع الذي يحجب وصول الحق إلى النفوس، والنهي عن الانقياد للأهواء، وأما الثالث: الأمر بالإسلام الجامع لأصول الفضائل، أو الأمر بالانقياد والطاعة لأمر لسليمان"<sup>4</sup>. ورغم الإيجاز الذي تميّز به كتاب سليمان عليه السلام، إلا أنّ بلقيس فهمت قصده وتهديده.

5- في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِنًا

وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34].

<sup>1</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج19، ص2639.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص254.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص254.

<sup>4</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص292.

وهذا تحذير من بلقيس لقومها الذين أعلنوا استعدادهم لمحاربة سليمان عليه السلام؛ بأنّ الملوك إذا دخلوا بلدة خزّبوها، وأذلّوا أهلها بالقتل والأسر، وأهانوهم، لتتحقق لهم الغلبة والرهبة<sup>1</sup>، وهذا دأب الملوك.

ولقد جاء قول بلقيس مُصدّراً بحرف التوكيد (إنّ)؛ "للاهتمام بالخبر وتحقيقه"<sup>2</sup>، و"الإقناع رجال دولتها بأنّ الحكمة تقتضي عدم اللجوء إلى قتال سليمان، بعد قولهم لها: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِيسٍ شَدِيدٍ... مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾<sup>3</sup> معنيين بهذا استعدادهم للقتال"<sup>3</sup>، كما استدلت على تأكّد وتحقق هذا الأمر بشواهد التاريخ الماضي في قولها: ﴿وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

6- في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا إِنِّي كَيْفَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39].

سأل سليمان عليه السلام جنده أيّهم يستطيع أن يأتي بسريرها قبل وصولها هي وقومها، وكان الهدف من إحضار عرش بلقيس " أن يريها بعض ما خصّه الله به من العجائب، الدالة على عظم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن يُنكّر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره؟"<sup>4</sup>، فأجابته عفرية من الجن بأنه يستطيع أن يأتيه بعرشها قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه.

وقد أكّد "العفرية عبارته ب: إنّ، والجملة الاسمية، واللام المرحّلة؛ والداعي شعوره بأن سليمان يشك في قدرته وفي أمانته على عرش الملكة "بلقيس" العظيم بحجمه وجواهره"<sup>5</sup>.

فإلقاء العفرية الخبر لسليمان عليه السلام مؤكّدا بثلاثة مؤكّدات؛ لتردد سليمان في تصديقه، وشكّه في قدرته على الإتيان بالعرش وفي تلك المدة.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص 293، 294.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 260.

<sup>3</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 215.

<sup>4</sup> البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج2، ص 769.

<sup>5</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 215.

7- في قوله تعالى: ﴿... قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

وهذا كلام سليمان عليه السلام عندما رأى العرش حاضرا مستقرا عنده، وقد جاء في هذه الآية تأكيدين؛ التأكيد بـ (إنما) في قوله: "فإنما يشكر لنفسه"، والتوكيد بـ (إن) والجملة الاسمية في قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، والكلام في هذه الآية "موجه للجاهلين الذين يشكون، أو لم يثبت بعد لديهم ما فيهما من حقائق إيمانية"<sup>1</sup>.

فالتأكيد في هذه الآية كان غرضه التنبيه إلى أهمية الشكر، وأن فوائد الشكر تعود على الشاكر، وأما من كفر فإن الله غني عن شكره.

8- في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۚ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

لقد استعدّ سليمان عليه السلام لبحي ملكة سبأ، وكان من ضمن ما أعدّه لها قصر عظيم، أرضه مفروشة بالزجاج الشفاف، وكان تحته ماء جار، فلما دخلت الملكة في بهوه خالته لجة من الماء فكشفت عن ساقها لتخوض فيه، فأخبرها سليمان عليه السلام بأن هذا زجاج يجري تحته الماء، عندها أيقنت بأن دين سليمان هو الحق، وأنها ظلمت نفسها لأنها كفرت بالله رب العالمين، فقالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>2</sup>.

وقد جاءت عبارة سليمان عليه السلام لبلقيس عندما كشفت عن ساقها بتوكيد كلامه، وذلك في قوله: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾، فكان التوكيد بحرف (إن)، والجملة الاسمية، وكذلك التأكيد بقوله:

<sup>1</sup> حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 215.

<sup>2</sup> مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص 143.



"صرح"، حيث عمد إلى ذكره باسمه بدل الضمير، وكان يكفي أن يقول: إنه ممرّد من قوارير، كل هذه التأكيدات كان الغرض منها رفع توهم بلقيس بأنها تخوض في ماء<sup>1</sup>.

إنّ بلقيس كانت متأكّدة بأنّها لجة، والدليل على ذلك هو كشف ساقها عند الخوض فيه، فكان على سليمان عليه السلام أن يؤكد لها بأكثر من مؤكّد بأنّه ليس ماء، وإنما هو صرح من زجاج شفاف، يجري تحته الماء.

كما نجد عبارة بلقيس عند إعلانها ظلمها لنفسها بكفرها بالله مؤكّدة كذلك بمؤكّدين؛ إنّ، والجملة الاسمية، والغرض من توكيدها هو "إثباتُ صدق إيمانها وإسلامها، بعد أن كانت كافرة من قوم كافرين يسجدون للشمس، فمثل هذا التحول يحتاج توكيدا"<sup>2</sup>.

9- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 76، 77].

إنّ هذا القرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام يبيّن لبني إسرائيل الموجودين حال نزوله ما اختلفوا فيه لو أخذوا به، فهو يبيّن لهم ما حرّفوه من التوراة والإنجيل، وما سقط من كتبهم من الأحكام. كما أنّه -القرآن- هو الهادي من الضلالة إلى الحق والاستقامة، ورحمة لمن آمن وصدّق به، وعمل بما فيه<sup>3</sup>.

ولقد جاءت هذه الأخبار مؤكّدة؛ ففي الآية الأولى كان التأكيد ب: إنّ، والجملة الاسمية، وفي الآية الثانية جاء التأكيد ب: إنّ، والجملة الاسمية، واللام المرحّلة، والغرض من هذين التوكيدتين هو "مطابقة الكلام لما يُلائم أحوال الكافرين، والشاكّين، والذين بين بين"<sup>4</sup>.

ثانياً- التوكيد ب"إنّ" و "اللام"

1- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: 6].

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 216.

<sup>2</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 216.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 31، 32.

<sup>4</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 217.

والخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ، بأنه يُحَفِّظ ويُعَلِّم هذا القرآن من عند حكيم بتدبير خلقه، عليهم بأخبارهم ومصالحهم، الماضي منها والحادث<sup>1</sup>.

وقد أُكِّد هذا الخبر بـ: إنَّ، والجملة الاسمية، واللام، والغرض من هذا التأكيد كما قال ابن عاشور هو مجرد الاهتمام؛ لأنَّ المخاطب هو النبي ﷺ وهو لا يتردد في ذلك<sup>2</sup>، أمَّا أبو السعود فقد أرجع غرض هذا التوكيد إلى "إبراز كمال العناية بمضمونه، أي: لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين"<sup>3</sup>.

والخبر موجه في الظاهر للرسول ﷺ، وهو في الحقيقة موجه للمكذبين بالقرآن، والمشككين فيه، بأنه تنزيل من الله سبحانه وتعالى على طريقة التعريض<sup>4</sup>.

فالتوكيد في هذه الآية جاء بثلاثة مؤكدات لأنَّ من سئلهم الخبر هم المنكرون لنزول القرآن من الله سبحانه وتعالى على الرسول ﷺ.

2- في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ﴾ [النمل: 16].

وقول سليمان عليه السلام: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ﴾؛ "أي أن ما أعطيناها، وما خصنا الله به من أنواع النعم هو الفضل الواضح الجلي، قاله على سبيل الشكر والحمدة لا على سبيل العلو والكبرياء"<sup>5</sup>.

وجاء التأكيد في قول سليمان عليه السلام بـ: (إنَّ)، و(لام) القسم، وضمير الفصل (هو)؛ "وهو عادة ضمير رفع منفصل، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصفة، ..، فضمير الفصل على هذا الأساس يزيل الاحتمال والإبهام من الجملة التي يدخل عليها، وبالتالي يفيد ضرباً من التأكيد"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، ج18، ص 8.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 223.

<sup>3</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 273.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 223. وجنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 214.

<sup>5</sup> الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ج19، ص 308.

<sup>6</sup> عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (ط، س ط)، ص 53.

لقد أُكِّد هذا الخبر بثلاثة مؤكِّدات؛ إنَّ، واللام، وضمير الفصل، وقُصد بهذا التأكيد "تعظيم النعمة أداءً للشكر عليها بالمستطاع من العبارة"<sup>1</sup>.

ثالثاً- التوكيد بـ "اللام" و "قد"

1- في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: 15].

وهذه الآية تتحدث على إنعام الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم، وتفضيلهما على كثير من المؤمنين.

وقد ورد في هذه الآية تأكيدين؛ الأول: لام القسم؛ لأنَّ القسم "فيه ضرب من التأكيد، لأنَّ فيه إشهاراً من جانب المقسم بأن ما يقسم عليه هو أمر مؤكد عنده لا شك فيه، وإلا لما أقسم عليه قاصداً متعمداً، ومن أجل ذلك عدَّ البلاغيون القسم من مؤكِّدات الخبر"<sup>2</sup>.

والمؤكِّد الثاني هو الجيء بحرف (قد)؛ وهي من الحروف التي لا تدخل إلا على الفعل، ويذكر البلاغيون أنَّ (قد) تفيد التأكيد إذا جاءت قصد تحقيق الفعل الذي دخلت عليه<sup>3</sup>.

وهكذا أكَّد الله سبحانه وتعالى إيتاءه العلم لداود وسليمان عليهما السلام بمؤكِّدين، "ويلاحظ أن الله تعالى وهو يعبر بمعاني ودلالات التأكيد على إعطائه نعمة العلم لداود وسليمان، فهو يثبت ويغرس معالم الإيمان في القلوب، وشواهد التوحيد في العقول، وعلى أنه تعالى هو الواهب وحده للنعم، ولا أحد سواه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 236.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق: المصدر السابق، ص 54.

<sup>3</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص 119.

<sup>4</sup> فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 296.

وقد جاء هذا التأكيد بلام القسم وحرف التحقيق "لتنزيل المخاطبين به منزلة من يتردد في ذلك؛ لأنهم جحدوا نبوءة مثل داود وسليمان عليهما السلام، إذ قالوا: ﴿... لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ [سبأ: 31]"<sup>1</sup>.

2- في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: 45].

ابتدأت الآية الكريمة بلام القسم، وحرف (قد) الذي يفيد التحقيق، فالآية أُكِّدَتْ بمؤكدتين، والغرض من هذا التأكيد كما قال ابن عاشور: "إمّا مجرد الاهتمام، وإمّا أن يُبْنَى على تنزيل المخاطبين منزلة من يتردد فيما تضمنه الخبر من تكذيب قومه إياه، واستخفافهم بوعيد ربه على لسانه، وحلول العذاب بهم لأجل ذلك؛ لأنّ حالهم في عدم العظة بما جرى للمماثلين في حالهم جعلهم كمن ينكر ذلك"<sup>2</sup>.

هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن هذا الخطاب موجّه كذلك للمكذّبين الذين كانوا مع الرسول ﷺ، فقد جحدوا نبوته ونبوءة سائر الأنبياء عليهم السلام، فجاء التأكيد بمؤكدتين؛ لأنهم مترددون.

رابعاً- التوكيد ب "اللام" و "نون التوكيد الثقيلة"

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 21].

لقد كان من سمات شخصية سليمان عليه السلام اليقظة والدقة والحزم، وهذا ما يظهر من خلال تفقده للطير، واكتشافه لغياب الهدد في هذا الحشر العظيم من الجن والإنس والطير، وفهم الجميع أن سؤال سليمان عليه السلام عن الهدد يدلّ على أنه غائب بغير إذنه؛ ومن ثمّ تعيّن أخذ الأمر بحزم،

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 232.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 270، 271.

ولذلك نجد سليمان عليه السلام يتهدد الجندي الغائب المخالف<sup>1</sup>؛ "ومعاقبة المخالف أمر ضروري؛ لأن أي مخالفة لا تُقابل بالجزاء المناسب لا بُدَّ أن تثمر مخالقات أخرى متعددة أعظم منها"<sup>2</sup>.

ولأنَّ سليمان عليه السلام نبي الله، وليس ملكا من الملوك الجبابرة، فقد توعدَّ الهدهد بالعقاب؛ وهذا في حالة إذا لم يأتيه بحجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه<sup>3</sup>.

وقد أكدَّ سليمان عليه السلام قوله هذا بلام القسم (المؤكد)، وبُنون التوكيد الثقيلة، في الموضعين؛ "ليعلم الجند ذلك، حتى إذا فُقد الهدهد، ولم يرجع، يكون ذلك التأكيد زاجرا لباقي الجند عن أن يأتوا بمثل فعلته، فينالهم العقاب"<sup>4</sup>.

وأما تأكيد عليه السلام قوله: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّيَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بلام القسم، ونون التوكيد الثقيلة؛ "فإفادة تحقيق أنه لا منجى له من العقاب إلا أن يأتي بحجة تبرر تغييبه؛ لأن سياق تلك الجملة يفيد أن مضمونها عدل العقوبة، فلما كان العقاب مؤكدا محققا، فقد اقتضى تأكيد المخرج منه تحقيق الإتيان بحجة ظاهرة لئلا يتوهم هوادة في الإدلاء بالحجة، فكان تأكيد العدل كتأكيد معادله"<sup>5</sup>. فكان هذا التأكيد من سليمان عليه السلام تهديدا مباشرا للهدهد، وبطريقة التعريض للجند الآخرين، حتى لا يغيبوا بدون إذنه.

### الفرع الثاني: التوكيد اللفظي والمعنوي

سأنتقل إلى التوكيد اللفظي من خلال التوكيد بالمفعول المطلق، كما سأتناول التوكيد المعنوي؛ وهذا من أجل الكشف عن أغراضهما البلاغية.

### أولا- التوكيد اللفظي

وذلك في قوله تعالى: "وَمَكَرُوا مَكَرًا وَمَكَرْنَا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" [النمل: 50].

<sup>1</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 19، ص 2638.

<sup>2</sup> الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، دون معلومات الطبع، مج 17، ص 10766.

<sup>3</sup> يُنظر: سيد قطب: المصدر نفسه، ج 19، ص 2638.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 244.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 244.

والكلام في هذه الآية عن قوم صالح عليه السلام لما دبروا مؤامرة قتل صالح عليه السلام وأهله، وكانوا عازمين على إخفاء الأمر، ولكن الله جازاهم وأهلكهم، بتعجيل عقابهم، دون أن يشعروا بمجيئه<sup>1</sup>.

وقد احتوت هذه الآية على تأكيدين بالمفعول المطلق "مكرا"، وذلك في كلا التأكيدين، والغرض من التأكيد الأول؛ "لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّتِهِ فِي جِنْسِ الْمَكْرِ، وَتَنْوِينِهِ لِلتَّعْظِيمِ"<sup>2</sup>. وأما الغرض من الثاني؛ فهو التعظيم "وَذَلِكَ بِمَا يُنَاسِبُ جِنْسَهُ، فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ لَا يُدَانِيهِ عَذَابُ النَّاسِ فَعَظِيمُهُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَا يُقَدَّرُهُ النَّاسُ"<sup>3</sup>.

وإسناد لفظ "المكر" لله سبحانه وتعالى إسناد مجازي؛ "لمبادرة الله إياهم باستئصالهم قبل أن يتمكنوا من تبييت صالح وأهله، وتأخير استئصالهم إلى الوقت الذي تأمروا فيه على قتل صالح لشبهه فعل الله ذلك بفعل الماكر في تأجيل فعل إلى وقت الحاجة، مع عدم إشعار من يفعل به"<sup>4</sup>.

#### ثانياً- التوكيد المعنوي

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَعْدَ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾

[النمل: 80].

والخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم، بأنه لا يستطيع إسماع الكافرين دعوته، وشبههم بالموتى والصم، والعمي في عدم استجابتهم له.

وجاء قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ "لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فإنهم مع صممهم عن الدعاء إلى الحق معرضون عن الداعي مولون على أذارهم ولا ريب في أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صمّاحه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 319.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 276.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 276.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 276.

<sup>5</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 300.

فالتأكيد في هذه الآية جاء بجملة ﴿إِذَا أُولُو مِذْيَبِينَ﴾، وقد أفاد هذا التأكيد المعنوي المبالغة في نفي استحابتهم للرسول ﷺ.

لقد جاء التوكيد في سورة النمل متنوعا بين استعمال مؤكد أو مؤكدين أو ثلاثة وهذا حسب ما تقتضيه أحوال المخاطبين، كما جاء التأكيد اللفظي في السورة عن طريق التوكيد بالمفعول المطلق، وجاء التوكيد بالمعنى كذلك.

### المطلب الثاني: الأسلوب الإنشائي في سورة النمل

والإنشاء في اللغة يدور حول معاني؛ الابتداء، والخلق، والابتداء، وإحداث الشيء<sup>1</sup>. وأما اصطلاحا فهو "كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه"<sup>2</sup>. والملاحظ على هذين التعريفين عدم وجود صلة بين المعنى اللغوي للإنشاء ومعناه الاصطلاحي<sup>3</sup>.

وينقسم الإنشاء إلى قسمين:

**الأول:** الإنشاء غير الطلبي؛ وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، كصيغ المدح والذم، والعقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، وكذا رب، ولعل، وكم الخيرية. ولا دخل لهذا القسم في علم المعاني.

**الثاني:** الإنشاء الطلبي؛ وهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، ويكون بخمسة أشياء؛ الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (نشأ)، ج 49، ص 4418. والراغب: المفردات، مادة (ن ش أ)، ص 372.

<sup>2</sup> أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج 1، ص 332.

<sup>3</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: المصدر نفسه، ج 1، ص 332.

<sup>4</sup> يُنظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، (ط، س ط)، ص 62، 63.



وهذا الأخير هو الذي تناوله البلاغيون وتحدثوا عنه في مباحث الإنشاء؛ لأنّ هذه الموضوعات تتفاوت في التعبير وتخرج عن الأغراض الحقيقية وتؤدي معاني جديدة للأديب فيها تصرف كبير<sup>1</sup>.

ولقد جاءت الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم متنوعة ومتعددة، وهذا لكون القرآن رسالة موجهة إلى العباد قصد فهمها، وتطبيق ما جاء فيها من أوامر ونواه، ومواعظ.

وأما في سورة النمل فهذا ما سنراه في هذا المطلب، ولكن سنقتصر على إيراد الأساليب الإنشائية التي خرجت عن معانيها الأصلية إلى المعاني الثانوية.

### الفرع الأول: أسلوب الاستفهام

وأصل الاستفهام في اللغة من الجذر الثلاثي (فهم)، وهذه المادة جاءت في المعاجم اللغوية بمعنى العلم؛ تقول: فهمت الشيء، فَهَمًا وَفَهَمًا وَفَهَامَةً<sup>2</sup>، كما تأتي بمعنى المعرفة، فتقول: فَهَمْتُ الشَّيْءَ: عَقَلْتَهُ وَعَرَفْتَهُ، وَفَهَمْتُ فُلَانًا وَأَفْهَمْتَهُ، وَتَفَهَّمْتُ الْكَلَامَ: فَهِمَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَرَجُلٌ فَهَمٌ: سَرِيعُ الْفَهْمِ، وَيُقَالُ: فَهَمٌ وَفَهْمٌ. وَأَفْهَمَهُ الْأَمْرَ وَفَهَّمَهُ إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُهُ. وَاسْتَفْهَمَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُفْهَمَهُ. وَقَدِ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءَ فَأَفْهَمْتَهُ وَفَهَّمْتَهُ تَفْهِيمًا<sup>3</sup>. فالاستفهام في اللغة هو طلب العلم والفهم.

وأما في اصطلاح البلاغيين فهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل"<sup>4</sup>، بواسطة إحدى أدواته الإحدى عشرة، وهذه الأدوات هي: حرفان؛ هما: الهمزة، و (هل)، وتسعة أسماء؛ هي: (من)، و(ما)، و(متى)، و(أين)، و(أيان)، و(أنى)، و(كيف)، و(كم)، و(أي)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مطلوب: المصدر السابق، ج1، ص 332.

<sup>2</sup> الجوهري: الصحاح، مادة (فهم)، ج5، ص 2005. وابن منظور: المصدر السابق، مادة (فهم)، ج39، ص 3481.

<sup>3</sup> ابن منظور: المصدر السابق، مادة (فهم)، ج39، ص 3481.

<sup>4</sup> أحمد مطلوب: المصدر السابق، ج1، ص 181.

<sup>5</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 168. وهذه الأدوات مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أحدها يختص بطلب حصول التصور فقط وهي: (من)، و(ما)، و(متى)، و(أين)، و(أيان)، و(أنى)، و(كيف)، و(كم)، و(أي)، وثانيها يختص بطلب حصول التصديق فقط وهي حرف (هل)، وثالثها يختص بطلب حصول التصور تارة، وطلب حصول التصديق تارة أخرى وهي الهمزة. يُنظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 418-420.

والآن نقف على مواضع ورود أسلوب الاستفهام في سورة النمل، وأهم الأغراض التي جاء من أجلها. وقد قسمت هذا الفرع حسب أداة الاستفهام.

أولاً- الاستفهام بـ "الهمزة" و "هل"

### 1- الاستفهام بـ "الهمزة"

وأول أدوات الاستفهام التي نبدأ بها هي الهمزة "وهي رأس الأدوات وصدر الصيغ الاستفهامية، ومن أجل ذلك اختصت بالدلالة على معنى الاستفهام: التصور والتصديق"<sup>1</sup>.

ونذكر من الآيات التي جاء فيها الاستفهام بالهمزة الآتي:

أ- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ ... ﴾ [النمل: 36].

والذي جاء في هذه الآية هو رسول بلقيس لإعطائه الهدية، فخاطبه سليمان عليه السلام بقوله:

﴿ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾، وضمير الجمع في ﴿ أُمِدُّونَنِي ﴾؛ قيل: مقصود به الرسول والمرسل، وقيل: مقصود به الرسول ومن معه<sup>2</sup>.

والهمزة في هذه الآية للاستفهام الإنكاري؛ "لأنَّ حال إرسال الهدية والسكوت عن الجواب يقتضي محاولة صرف سليمان عن طلب ما طلبه بما بُدِّل له من المال، فيقتضي أنهم يحسبونه محتاجاً إلى مثل ذلك المال فيقتنع بما وجَّه إليه"<sup>3</sup>.

فالهمزة خرجت عن معناها الأصلي وهو الاستفهام إلى معناها الثانوي وهو الاستفهام الإنكاري.

<sup>1</sup> "والتصور هو إدراك المفرد، أي الاستفهام عن المسند إليه أو عن المسند أو أي معمول من معمولات الجملة يستفهم عنه وحده، وهذا هو التصور المفرد، ... أما التصديق فهو طلب إدراك نسبة حكم المسند إلى المسند إليه، أي سؤال عن علاقة الإسناد في الجملة أثابتة أم منفية". ينظر: خديجة محمد أحمد البناني: سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية، أطروحة مقدمة للحصول على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، السنة الدراسية (1422هـ، 2001م)، ج1، ص 269.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 262. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 285.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 262.

ب- الاستفهام فيقوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآئِفٌ لِّقَوْمِهِمْ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: 54].

والخطاب هنا موجه من نبي الله لوط عليه السلام إلى قومه، منكرًا عليهم فعل الفاحشة، وجاءت الجملة الحالية ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ لزيادة التشنيع عليهم؛ لأنهم كانوا يفعلون الفاحشة علنا، يبصر بعضهم بعضا، مما يدل على استحسانها<sup>1</sup>.

فالهمزة في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري كذلك.

ت- الاستفهام فيقوله تعالى: ﴿أَبْيَضَكُمْ تَأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَّهْلُونَ﴾ [النمل: 55].

وجاءت هذه الآية لتكرار التوبيخ والتشنيع عليهم، "وبياناً لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح، وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للإيدان بأن مضمونها مما لا يُصدّق وقوعه أحدٌ لكمال بُعد من العقول، وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقييح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الإتيان ﴿مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ متجاوزين النساء اللاتي هنَّ محالُّ الشهوة"<sup>2</sup>.

فالاستفهامان الواردان في هاتين الآيتين خرجا إلى الإنكار والتشنيع على قوم لوط، وكذلك توبيخهم والتعجب من غلوهم في ارتكاب الفواحش الشاذة<sup>3</sup>.

ث- الاستفهام فيقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59].

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 278، 280.

<sup>2</sup> أبو السعود: المصدر السابق، ج 6، ص 292.

<sup>3</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 225.

والخطاب في هذه الآية موجه إلى المشركين؛ الذين أشركوا بالله ما لا يضر ولا ينفع، والاستفهام في الآية ليس على معناه الحقيقي الذي يفيد الموازنة بين ما أشركوه وبين الله وَعَلَىٰ في الخيرية؛ بل الاستفهام مستعمل في معناه الثانوي وهو التهكم و التبكيت والتنبيه على خطئهم.

ومجيء الاستفهام للتهكم بحالهم وتبكيتهم، وتنبيههم على خطئهم لـ "أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله، ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى إثارة من زيادة خير ومنفعة، فقليل لهم، مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه، وأنهم لم يؤثره لزيادة الخير ولكن هوى وعبثاً، لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أنّ الإيثار يجب أن يكون للخير الزائد. ونحوه ما حكاه عن فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:52] مع علمه أنه ليس لموسى مثل أمثاره التي كانت تجري تحته"<sup>1</sup>.

ج- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَخْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:60].

وفي هذه الآية الخطاب كذلك موجه للمشركين؛ فبعد تبكيتهم في الآية السابقة بنفي الخيرية عما يشركون، جاء الاستفهام في هذه الآية للإنكار عليهم وتوبيخهم، وهو تبكيت لهم أيضاً "بنفي الألوهية عمّا يُشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من التردد فإنّ أحداً ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على إنكار انتفاء الخيرية عنه بالمرّة لا يكاد يقدر على إنكار انتفاء الألوهية عنه رأساً لا سيّما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عمّا سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الأربعة الآتية"<sup>2</sup>.

وهذا الاستفهام ورد في خمس آيات بهذه الصيغة ﴿أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾، وذلك في الآية 60، و61، و62، و63، و64.

<sup>1</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 463، 464. وفي معنى هذا الكلام يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 284.

<sup>2</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 294.

والاستفهام في هذه الآيات جاء "للتنبية الشديد على الحق الجلي، والإنكار على المشركين، والتعجيب من اتخاذهم آلهة من دون الله ﷻ، إذ لا أحد من دون الله يملك شيئاً من الربوبية، حتى يستحق بها إلهية ما"<sup>1</sup>.

ح- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ [النمل: 67].

وهذا من أقوال المكذبين بالبعث، حيث أنكروا الإخراج من القبور، وجاءوا "بالإنكار في صورة الاستفهام؛ لتجهيل معتقد ذلك وتعجيزه عن الجواب بزعمهم"<sup>2</sup>، وزادوا هذا الإنكار تأكيداً بقولهم: "وأباؤنا"، ثم كرروا الهمزة للمبالغة والتشديد في الإنكار، وأكدوا الإنكار الثاني بإن واللام<sup>3</sup>. فالاستفهامان الواردان في هذه الآية لإنكار البعث، وبالتالي إنكار المحاسبة والجزاء على كفرهم.

خ- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ وَقَالُوا كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: 84].

ومعنى هذه الآية؛ حتى إذا حضر المكذبون موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب، سألم الله ﷻ عن تكذيبهم، والاستفهام الوارد في الآية ليس بمعناه الحقيقي، وإنما خرج إلى معنى الإنكار والتوبيخ والتفريع لهم على التكذيب. وأما الجملة الحالية ﴿ وَلَمْ يُحِطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾ فلزيادة تشنيع التكذيب وقبحه، وتأکید الإنكار والتوبيخ؛ لأنهم كذبوا بها دون النظر فيها، والعلم بكنهها، وأنها حقيقة بالتصديق حتماً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 225.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 298.

<sup>3</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص 297.

<sup>4</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص 302.

وذكر ابن عاشور لطيفة بلاغية في هذه الآية فقال: "ومن لطائف البلاغة أنه جاء بالمعادِل الأول مصرحا به لأنه المحقق منهم فقال: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي﴾، وحذف معادله الآخر تنبيها على انتفائه كأنه قيل: أهو ما عهد منكم من التكذيب أم حدث حادث آخر، فجعل هذا المعادِل متزجدا فيه، وانتقل الكلام إلى استفهام، وهذا تبكيت لهم"<sup>1</sup>، ومثّل له بقول الزمخشري: "ومثاله أن تقول لراعيك وقد علمت أنه راعي سوء: أتناكل نَعْمِي أم ماذا تعمل بها، فتجعل ما ابتدأت به وجعلته أساس كلامك هو الذي صحّ عندك من أكله وفساده وترمي بقولك: أم ماذا تعمل بها، مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبتهته"<sup>2</sup>.

وهكذا أفاد الاستفهام في هذه الآية الإنكار والتوبيخ، والتفريع؛ بسبب قبح أعمالهم الناتجة عن التكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى.

د- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿الْمُرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: 86].

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أظهر الآيات وأكثرها تكرارا على حواس المشركين، والتي تدلّ على وحدانيته وَعَلَيْكُمْ، وهذه الآية -تعاقب الليل والنهار- باقية وملازمة لهم طول حياتهم، ودالة على انفراده تعالى بالتصرف في هذا الكون<sup>3</sup>.

والاستفهام مستعمل في التعجب من حالهم؛ "لأنها لغرابتها تستلزم سؤال من يسأل عن عدم رؤيتهم، فهذه علاقة أو مسوغ استعمال الاستفهام في التعجب، وهي علاقة خفية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 311، 312.

<sup>2</sup> الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 475.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 313.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 313، 314.

## 2- الاستفهام بـ "هل"

ومن المواضع التي جاء الاستفهام فيها بحرف (هل)؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّيئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90].

والاستفهام بحرف (هل) في هذه الآية بمعنى النفي، وذلك بقرينة الاستثناء<sup>1</sup>، وهذا النوع من الاستفهام أثبتته صاحب "مغني اللبيب" بقوله: "أن يراد بالاستفهام بها النفي، ولذلك دخلت على الخبر بعدها (إلا) نحو: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60]"<sup>2</sup>.

ثانياً- الاستفهام بـ "من" و "ما"

## 1- الاستفهام بـ "من"

وتستعمل (من) للعقلاء<sup>3</sup>، ومن الآيات التي جاء الاستفهام فيها بـ (من) قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ بِاللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60].

و "أم" منقطعة بمعنى بل، وهي للإضراب الانتقالي؛ وذلك بالانتقال "من الاستفهام الحقيقي التهكمي إلى الاستفهام التقريري، ومن المقدمة الإجمالية وهي قوله: ﴿أَلَمْ نَعْلَمْ بِاللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59]، إلى الغرض المقصود وهو الاستدلال"<sup>4</sup>.

فهذا الاستفهام جاء لتقرير أن لا خالق إلا الله، فهو المستحق للعبادة.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 323.

<sup>2</sup> ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط (2005م)، ج 2، ص 14.

<sup>3</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 188.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 285.



## 2- الاستفهام بـ "ما"

وأكثر ما يُستفهم بها عن غير العقلاء<sup>1</sup>، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20].

وهذا قول سليمان عليه السلام لما تفقد الطير فلم يجد الهدهد، فتساءل عن عدم رؤيته للهدهد، والاستفهام في هذه الآية كما جاء في التحرير والتنوير مستعمل في معناه الحقيقي، فسليمان عليه السلام يستفهم عن المانع من رؤية الهدهد<sup>2</sup>. أما السكاكي فذكر أن الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التعجب<sup>3</sup>، أي أن سليمان عليه السلام تعجب من غياب الهدهد؛ لأنه لم يأذن له بالغياب.

ثالثاً- الاستفهام بـ "أَيَّانَ" و "متى"

## 1- الاستفهام بـ "أَيَّانَ"

وتستعمل للاستفهام عن المستقبل، مثل: أيان يثمر هذا الغرس؟ ويكون الجواب: بعد سنة، كما تستعمل للتفخيم، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:6]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات:42]<sup>4</sup>، وقد جاء الاستفهام بهذا الاسم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:65].

والاستفهام بـ (أَيَّانَ)؛ لتعظيم المستفهم عنه<sup>5</sup>، وهو اليوم الآخر.

<sup>1</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: المصدر السابق، ص 187.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 243.

<sup>3</sup> يُنظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 424.

<sup>4</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: المصدر السابق، ص 190.

<sup>5</sup> يُنظر: عبد الكريم محمود يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم - غرضه، إعرابه، مطبعة الشام، دمشق، سوريا، ط1(1421هـ، 2000م)، ص 103.

## 2- الاستفهام بـ "متى"

ويؤتى بـ (متى) للاستفهام عن الزمان ماضيا كان أو مستقبلا<sup>1</sup>، ومن المواضع التي جاء فيها الاستفهام بهذا الاسم قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: 71].

وهذا من أقوال منكري البعث، والمكذابين باليوم الآخر، والمراد بالوعد ما أذروا به من العقاب، والاستفهام عن زمانه، وهو استفهام تهكم منهم بقرينة قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>2</sup>. فالاستفهام في هذه الآية للتهكم بالرسول ﷺ ومن معه، ويفيد كذلك هذا الاستفهام استبعاد حصول هذا اليوم، وبالتالي استبعاد حصول العقاب على أفعالهم الشنيعة.

## الفرع الثاني: أسلوب النهي

ونبدأ بمفهوم هذا الأسلوب لغة واصطلاحاً، ثم نعرِّج على مواضع النهي في سورة النمل. جاء في لسان العرب أنّ النهي: "مِحْلَافَ الأَمْرِ، فتقول: نَهَاهُ نَهْيًا فَانْتَهَى وَتَنَاهَى بِمَعْنَى: كَفَّ"<sup>3</sup>، كما يأتي النهي بمعنى الزجر عن الشيء<sup>4</sup>. فمعنى النهي في اللغة طلب الكف، والزجر. وأما اصطلاحاً: فـ "النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"<sup>5</sup>، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ

<sup>1</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفعالها (علم المعاني)، ص 189.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 300.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (نهي)، ج 50، ص 4564.

<sup>4</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (ن ه ي)، ص 383.

<sup>5</sup> أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج 3، ص 344.

بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿[الحجرات:12]﴾<sup>1</sup>.

إلا أن أسلوب النهي قد يخرج عن معناه الأصلي الذي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء إلى معان مجازية أخرى، وذلك حسب المقام والسياق الذي يرد فيه. ونقتصر هنا بذكر المواضع التي خرج فيها النهي عن معناه الأصلي إلى المعنى المجازي في السورة .

أولاً- دلالة النهي في ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:18].

سار سليمان عليه السلام بجيشه من الجن والإنس والطير، حتى أشرفوا على واد النمل، فرأهم نملة فنادت بني جنسها وأمرتهم بالدخول حرصاً منها على عدم تحطيمهم من قبل سليمان وجنوده. والحطم في اللغة كسر الشيء مثل الهشم ونحوه<sup>2</sup>، وقيل: "هُوَ كَسْرُ الشَّيْءِ الْيَابِسِ خَاصَّةً كَالعَظْمِ وَنَحْوِهِ. فيقال: حَطَّمَهُ يَحْطِمُهُ حَطْمًا أَيْ كَسَرَهُ وَحَطَّمَهُ"<sup>3</sup>.

واختلف المفسرون في (لا) أهي ناهية أم نافية؛ ورجح الزمخشري أنها للنهي بقوله: "أنه في معنى: لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة: لا أرينك ههنا، أراد: لا يحطمنكم جنود سليمان، ف جاء بما هو أبلغ"<sup>4</sup>.

وجاء نهي النملة لباقي النمل "للتحذير ودلالة على الفزع؛ لأن المحذّر من شيء مُفزع يأتي بجمل متعددة للتحذير من فرط المخافة، والنهي عن حطم سليمان إياهم كناية عن نهيهم عن

<sup>1</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: المصدر السابق، ج3، ص 344.

<sup>2</sup> يُنظر: الراغب: المصدر السابق، مادة (ح ط م)، ص 94.

<sup>3</sup> ابن منظور: المصدر السابق، مادة (حطم)، ج11، ص916.

<sup>4</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 441.

التسبب فيه وإهمال الحذر منه كما يقال: لا أعرفنك تفعل كذا، أي لا تفعله فأعرفك بفعله، والنون توكيد للنهي<sup>1</sup>.

خرج النهي في هذه الآية عن معناه الأصلي إلى معنى التحذير، فالنملة حذرت بني جنسها من أن يهلكهم جنود سليمان عليه السلام دون أن يشعروا بذلك.

### ثانياً- دلالة النهي في ﴿الآتَعَلُوا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿الآتَعَلُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 31].

هذا ما جاء في كتاب سليمان عليه السلام الذي بعثه مع الهدهد إلى ملكة سبأ وقومها، حيث نهاهم عن التكبر كما يفعل جبابرة الملوك<sup>2</sup>، وأمرهم بالانقياد والطاعة له.

والنهي في هذه الآية "مستعمل في التهديد ولذلك أتبعته ملكة سبأ بقولها: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل: 32]"<sup>3</sup>.

فالنهي في هذه الآية لم يستعمل في غرضه الأصلي؛ وإنما خرج إلى غرض التهديد، فسليمان عليه السلام هدد بلقيس وقومها إذا لم يأتوه طائعين منقادين.

وهكذا نجد أنّ النهي في سورة النمل خرج عن معناه الأصلي إلى معنيين مجازيين هما؛ التحذير، والتهديد.

وننتقل إلى ضد النهي وهو الأمر .

### الفرع الثالث: أسلوب الأمر

ومن الأساليب الإنشائية التي وردت في سورة النمل؛ أسلوب الأمر، وقبل أن نشير إلى مواضعه، نبدأ بتعريف مختصر لهذا الأسلوب.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 240.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 283.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 257.

فالأمر في اللغة نَقِيضُ النَّهْيِ<sup>1</sup>.

وأما في اصطلاح البلاغيين فـ "هو صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"<sup>2</sup>.

ولهذا الأسلوب أربع صيغ هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل أمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

وأسلوب الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى حسب المقام، كما تبّه إلى ذلك الخطيب القزويني: "صيغة الأمر قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام"<sup>3</sup>.

وقد ورد هذا الأسلوب في السورة كثيراً، ولكن ما يهمنا هو المواضع التي خرج فيها أسلوب الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ مجازية وذلك في أربعة مواضع، وهي كالآتي:

#### أولاً - دلالة الأمر في الفعل ﴿فَانظُرْ﴾

1- في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14].

لقد أظهر موسى ﷺ معجزاته الباهرة، الواضحة التي تدلّ على صدقه، ومع ذلك فإن قوم فرعون كذبوا بها وأنكروها، وادعوا أنّها-المعجزات- ضرب من السحر، ولكن هذا الجحود كان في الظاهر فقط، وأما في باطنهم فكانوا يعلمون أنّها ليست سحراً، ومضوا في التكذيب والإنكار ظلماً وعلواً واستكباراً، فأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالنظر والتدبر في مصير المفسدين من قوم فرعون<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (أمر)، ج2، ص 125.

<sup>2</sup> العلوي: الطراز، ج3، ص 155.

<sup>3</sup> الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 147.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 269، 270.

وقد عبّر الله ﷻ عما وقع لهؤلاء القوم من العذاب بمنزلة الشيء المشاهد للسامعين، وهذا بقوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، حيث عبر بالفعل ﴿فَانظُرْ﴾، والخطاب قد يكون للرسول ﷺ؛ تسلية له بما حلّ بالمكذابين بالرسول قبله<sup>1</sup>.

وقد يكون لغير معين -لكل من يسمع القرآن الكريم-، فيكون الأمر عندئذ غرضه الاعتبار بما حلّ بالأمة السابقة التي كذبت رسلها، فجاءهم العذاب من حيث لا يشعرون.

2- في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: 51].

لقد مرّ بنا في الآية السابقة الاعتبار بما حدث لقوم فرعون، وأما في هذه الآية فالأمر بالنظر إلى نهاية قوم صالح عليه السلام.

فإذا كان الأمر بالنظر موجه للرسول ﷺ فهو تسلية له على ما يلاقيه من قومه؛ بأنّ عاقبة أمره مع قريش أن يكفّ عنه أذاهم وكيدهم، وينصره عليهم<sup>2</sup>، أما إذا كان الخطاب لغير معين، فالغرض منه التأمل والاعتبار من عاقبة ونهاية قوم ثمود.

ثانياً- دلالة الأمر في الفعل ﴿هَاتُوا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَبِّدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُوهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 64].

جاءت هذه الآية في سياق التذليل على وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، ونفي الشركاء عنه، حيث تذكر تفرّد الله ﷻ بالخلق والبعث، والرزق.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يطلب من المشركين برهانا عقليا على وجود شريك له، يخلق ويرزق ويدبّر إن كانوا صادقين في دعواهم.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 231.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 276.

والأمر في هذه الآية خرج عن غرضه الأصلي إلى غرض التبيكيت، وهذا ما جاء في قول أبو السعود أثناء تفسيره للآية: "أمرٌ به عليه الصلاة والسلام بتبيكيتهم إثر تبيكيت، أي: هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدلّ على أنّ معه تعالى إلها لا على أنّ غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى... وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكّم بهم؛ لما فيها من إيهام أنّ لهم برهانا وأتى لهم ذلك"<sup>1</sup>. فالأمر في هذه الآية للتبيكيت والتعجيز.

### ثالثا- دلالة الأمر في الفعل ﴿سَيِّرُوا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ سَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69].

والخطاب في هذه الآية موجه للرسول ﷺ بأن يأمر المنكرين للبعث بالسير في الأرض والنظر والتأمل في مصير من سبقهم من المكذبين، حيث أهلكهم الله بذنوبهم، ولم يبق منهم إلا آثار ديارهم شاهدة عليهم للعبرة والعظة<sup>2</sup>.

والأمر في هذه الآية جاء للاعتبار والموعظة<sup>3</sup> مما حلّ بتلك الأقسام السابقة، الذين اغتروا بالدنيا وزخارفها، وكذبوا رسلهم، وأنكروا الآخرة وما فيها من حساب وعقاب على أعمالهم الشنيعة؛ فصبّ الله عليهم سوط عذاب.

إنّ الأساليب الإنشائية في سورة النمل قد تنوّعت بين: الاستفهام والنهي والأمر، وقد خرجت عن معانيها الأصلية إلى معان ثانوية استدعاها المقام؛ حيث خرج أسلوب الاستفهام إلى الإنكار، والتوبيخ، والتشنيع، والتهكّم، والتبيكيت. بينما أفاد النهي التحذير والتهديد، وأفاد الأمر التبيكيت والتهكّم.

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص296.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص23.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص299.



## المبحث الثالث: أسلوب القصر في سورة النمل

ومن الأساليب العربية؛ أسلوب القصر، فقد جاء في عدة مواضع من السورة، ونبدأ في هذا المبحث بتقديم مفهوم القصر، ثم نتبعه بتحليل الآيات الوارد فيها هذا الأسلوب.

يرجع أصل هذه الكلمة إلى الجذر الثلاثي (قصر)، والقَصْرُ في اللغة هو الحبس؛ يقال: قصرته، إذا حبسته، وهو مقصور، أي محبوس، قال الله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: 72]، وامرأة قاصرة الطرف: لا تمتد إلى غير بعلها، كأنها تحبس طرفها حبسا، قال الله سبحانه: ﴿ فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الْطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: 56]<sup>1</sup>، وَقَصَرَ الشَّيْءُ يَقْصُرُهُ قَصْرًا: حَبَسَهُ؛ وَمِنْهُ مَقْصُورَةُ الْجَامِعِ<sup>2</sup>.

فالقصر في اللغة بمعنى الحبس كما جاء في المعاجم اللغوية.

وأما اصطلاحاً؛ فهو "تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، ويسمى الأمر الأول مقصوراً، والثاني: مقصوراً عليه، كقولنا: في القصر بين المبتدأ والخبر: إنما زيد قائم وبين الفعل والفاعل نحو: ما ضربت إلا زيدا"<sup>3</sup>.

وللقصر طرفان هما: مقصور، ومقصور عليه، ولا بد من وجود هذين الطرفين في كل قصر؛ لأنه قصر شيء على شيء<sup>4</sup>.

ويكون القصر بإحدى الطرق الأربعة؛ القصر بالنفي والاستثناء، والقصر بإنما، والقصر بالعطف بإحدى الحروف؛ لا، وبل، ولكن، والعطف بتقديم ما حقه التأخير<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (قصر)، ج5، ص 96، 97.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (قصر)، ج40، ص3646.

<sup>3</sup> الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، ص 147. ينظر كذلك: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج3، ص 137.

<sup>4</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفعالها (علم المعاني)، ص 360.

<sup>5</sup> يُنظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 146، 147.

وننتقل إلى مواضع القصر التي ذكرها المفسرون في مؤلفاتهم أثناء تفسيرهم لسورة النمل، مع بيان الأسرار البلاغية التي حققها هذا الأسلوب؛ حيث سأتناول القصر بضمير الفصل (المطلب الأول)، والقصر بإنما (المطلب الثاني)، والقصر بالنفي والاستثناء (المطلب الثالث).

### المطلب الأول: القصر بضمير الفصل

ويفيد ضمير الفصل القصر بشرط أن يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر، وذكر العلماء ثلاث فوائد للقصر به؛ تأكيد المسند إليه، والاختصاص، وبيان أن المسند خبر لا صفة، يعنون أنه يفيد التأكيد إذا لم يفد الاختصاص<sup>1</sup>.

ومن الآيات التي جاء فيها القصر بضمير الفصل في السورة؛ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:3].

في هذه الآية جاء وصف المؤمنين الذين كان لهم القرآن هدى ورحمة؛ فمن أوصافهم إقامة الصلاة المفروضة على أكمل وجوهها، وتأدية الزكاة لتطهير أموالهم، ويوقنون باليوم الآخر؛ اليوم الذي يحاسبون فيه على أعمالهم خيرها وشرها<sup>2</sup>.

ففي حين جاء وصفهم بالفاعلين المضارعين "يقيمون"، و"يؤتون" بدون فصل بين المبتدأ (الذين) والخبرين؛ فقد جاء وصفهم بالإيقان باليوم الآخر بضمير فصل (هم) -الثاني- بين المبتدأ (هم) والخبر الجملة الفعلية (يوقنون).

وقد دل ضمير الفصل (هم) على القصر، أي: ما يوقن بالآخرة إلا هؤلاء، وهذا القصر إضافي<sup>3</sup> بالنسبة إلى مجاورهم من المشركين، وإلا فإن أهل الكتاب يوقنون بالآخرة، إلا أنهم غير

<sup>1</sup> يُنظر: صباح عبيد دراز: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1(1406هـ، 1986م)، ص 135.

<sup>2</sup> مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص 119.

<sup>3</sup> يقسم البلاغيون القصر باعتبار الواقع إلى قسمين: حقيقي، وإضافي؛ فالقصر الحقيقي: "هو أن يختص المقصور بالمقصود عليه بحسب الحقيقة والواقع بآلا يتعداه إلى غيره أصلاً، نحو: لا إله إلا الله". وأما القصر الإضافي: "هو أن يختص المقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر؛ فإنك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص

مقصود حالهم للمخاطبين من الفريقين"<sup>1</sup>.

إن القصر بضمير الفصل (هم) في هذه الآية إضائي؛ لأنه قصر الإيمان بالآخرة على المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، مع أن هناك من المشركين من يؤمن بالآخرة، فالمؤمنون ليسوا وحدهم من يتصف بهذه الصفة وإنما جاء هذا القصر بالنسبة لمجاوريتهم من المشركين.

### المطلب الثاني: القصر "إنما"

ومن طرق القصر التي جاءت في السورة القصر ب (إنما)، التي تفيد "الإثبات والنفي حملا على طريق النفي والاستثناء"<sup>2</sup>، ومما يميّز هذا القصر أن المقصور يلي دائما (إنما)<sup>3</sup>.

ومن المواضع التي جاء القصر فيها بإنما، نذكر قوله تعالى: ﴿... قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

وهذا قول سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس مستقرا أمامه، حيث أرجع هذا الفعل إلى فضل الله عليه، بأن سخر له الجن الذي أتاه بالعرش في لمح البصر؛ وهذا لا يتلاءم سليمان عليه السلام فيشكر الله على هذا الفضل، أو يكفر ويجحد، وينسب هذا الفضل لنفسه.

وفائدة الشكر عائدة على الشاكر، بل إن من آثار الشكر الزيادة في النعم، كما قال الله عز وجل: ﴿... لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ [إبراهيم: 7]، وأما من كفر بنعم الله فإن الله غني عن شكر الشاكرين، ولا يزيده سبحانه وتعالى شكرهم شيئا.

لقد قصر سليمان عليه السلام فائدة الشكر على الشاكر نفسه، وأداة القصر المستعملة هي (إنما)،

غيره كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه". يُنظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة

في المعاني والبيان والبدیع، ص 149، 150.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 220.

<sup>2</sup> صباح عبيد دراز: المصدر السابق، ص 211.

<sup>3</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 367.

وهو قصر حقيقي، من قبيل قصر صفة نفع الشاكر لربه على نفسه<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: القصر بالنفي والاستثناء

والطريقة الثالثة للقصر؛ هي القصر بالنفي والاستثناء، "والنفي متنوع كثير الدلالات، لكل أداة جرسها الخاص، ودلالاتها المعينة المناسبة للتركيب، فلا يجوز أن تحل أداة محل أخرى بلاغة حتى وإن تشابها دلالة"<sup>2</sup>.

ومن الآيات التي جاء القصر فيها عن طريق النفي والاستثناء نذكر:

#### الفرع الأول: القصر بـ "لا" و "إلا"

وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل:26].

تقرر هذه الآية أن الله هو المستحق للعبادة ولا أحد سواه، وهو رب العرش العظيم؛ فكل عرش وإن عظم فهو دونه<sup>3</sup>.

وكان التعبير عن هذه الحقيقة -أن لا معبود بحق إلا الله- عن طريق القصر بالنفي (لا) والاستثناء.

وحرف النفي (لا) عامة الدلالة، وتتعيّن هذه الدلالة بمدخولها؛ فإذا دخلت على اسم نكرة فإنها تفيد تأكيد نفي الجنس والاستغراق<sup>4</sup>؛ "فالقول: لا إله يقضي النفي العام الشامل لكل إله فإذا قال بعده: إلا الله أفاد التوحيد المطلق المحقق بإثباته توحيداً بعد نفي الشركاء والأضداد"<sup>5</sup>.

والقصر في هذه الآية من حيث الواقع قصر حقيقي، وهو من قبيل قصر الصفة على

<sup>1</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 224.

<sup>2</sup> صَبَّاح عبيد دراز: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، ص 147.

<sup>3</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص 133.

<sup>4</sup> يُنظر: صَبَّاح عبيد دراز: المصدر نفسه، ص 154.

<sup>5</sup> صَبَّاح عبيد دراز: المصدر نفسه، ص 193.

الموصوف، أي: قصر صفة الألوهية الحقّ على الله رب العرش العظيم، لا يشاركه فيها أحد<sup>1</sup>.

الفرع الثاني: القصر بـ "ما" و "إلا"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ

[النمل:75].

يُعلمنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه ما من أمر سري وخفي عن أبصار البشر، سواء كان في السماء أو في الأرض إلا وقد أثبتته الله في اللوح المحفوظ، هذا الكتاب الذي كتب الله سبحانه وتعالى فيه كل ما هو كائن منذ بدء الخلق إلى يوم القيامة<sup>2</sup>.

وأما قوله تعالى: "غائبة"، فقد جوّز الزمخشري أن تكون صفة، والتاء فيها للمبالغة، "كالراوية في قولهم: ويل للشاعر من راوية السوء، كأنه قال: وما من شيء شديد الغيوبة والخفاء إلا وقد علمه الله، وأحاط به وأثبتته في اللوح. والمبين: الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة"<sup>3</sup>.

والقصر في هذه الآية جاء عن طريق النفي بحرف (ما) والاستثناء، "والقصر هنا إضافي، أي: بالإضافة إلى كونه غير معلوم ولا مُدَوّن، وهو يردّ اعتقاد غير المؤمنين بهذه الحقيقة"<sup>4</sup>.

#### المبحث الرابع: الإيجاز والإطناب في سورة النمل

إنّ كلا من الإيجاز والإطناب من الأساليب التي استعملها العرب في كلامهم، وقد ورد هذان الأسلوبان في القرآن الكريم، والحديث النبوي.

وسأطرق في هذا المبحث إلى الإيجاز (المطلب الأول)، والإطناب (المطلب الثاني)، وموضعهما في السورة، مع بيان طرق الإيجاز، والأغراض التي أفادها الإطناب.

<sup>1</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 224.

<sup>2</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج18، ص 116.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 471.

<sup>4</sup> حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 224.

## المطلب الأول: الإيجاز في سورة النمل

إنَّ الإيجاز أسلوب تميّز به العرب قديماً، فقد كانوا لا يميلون إلى الإطالة في كلامهم، وتميّز به القرآن الكريم عندما نزل عليهم، فقد كان منسوجاً على منوال كلامهم، وصدق من قال: "من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبّه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبّر القرآن، ويتأمل علوّه على سائر الكلام"<sup>1</sup>، كما تميّز به سيد الخلق ﷺ الذي قال عن نفسه: "أوتيت جوامع الكلم"<sup>2</sup>.

والإيجاز في اللغة من الجذر الثلاثي (وجز)، فيقال: "وَجَزَّ الكَلَامُ وَجَازَةً وَوَجَزَّ وَأَوْجَزَ: قَلَّ فِي بَلَاغَةٍ، وَأَوْجَزَهُ: اخْتَصَرَهُ. ويقال: كَلَامٌ وَجَزٌ أَي: خَفِيفٌ، وَأَمْرٌ وَجَزٌ وَوَجَزٌ وَوَجِيزٌ وَمُوجَزٌ وَمُوجَزٌ، وَأَمْرٌ وَجِيزٌ وَكَلَامٌ وَجِيزٌ أَي خَفِيفٌ مُقْتَصِرٌ"<sup>3</sup>.

فمعاني الإيجاز في اللغة تدور حول معنى القليل، والخفيف، والمقتصر.

وأما اصطلاحاً؛ فقد عرفه الجاحظ بقوله: "الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"<sup>4</sup>، وقريب منه تعريف الرماني<sup>5</sup> الذي قال: "الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"<sup>6</sup>. فالإيجاز في اصطلاح البلاغيين هو التعبير عن معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة دالة على تلك المعاني دلالة واضحة، من غير إخلال بالمعنى.

<sup>1</sup> الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: الإعجاز والإيجاز، المطبعة العمومية، مصر، ط1 (1867م)، ص10.

<sup>2</sup> أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث: 523. يُنظر: مسلم: المسند الصحيح المختصر، ص212.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (وجز)، ج3، ص4771.

<sup>4</sup> الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، ط2 (1385هـ، 1965م)، ج3، ص86.

<sup>5</sup> هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (296هـ-384هـ)، المعتزلي، النحوي، المتكلم، والمفسر، أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية، مصنّفاته عديدة نذكر منها: الأسماء والصفات، صنفة الاستدلال، وكتاب التفسير، وشرح أصول بن السرح، وشرح سيبويه، ومعاني الحروف، وغيرها. يُنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص299. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص534. والزركلي: الأعلام، ج4، ص317.

<sup>6</sup> الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (دس ط)، ص76.

وقد قسّمه البلاغيون إلى قسمين؛ إيجاز الحذف<sup>1</sup>، وإيجاز القصر<sup>2</sup>.

لقد ورد أسلوب الإيجاز في سورة النمل في مواضع عدة، ولكن ما ورد هو كله إيجاز الحذف، فمن الآيات التي وقع فيها الحذف من أجل الإيجاز نذكر الآتي:

### الفرع الأول: الإيجاز بحذف الحرف

ونقصد بالحرف؛ الحرف من حروف المعاني، حيث تذكر في مواضع وتحذف في مواضع

أخرى، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل:9]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:30]؛ حيث جاء بـ (أن) المفسرة في سورة القصص، ولم يأت بها في سورة النمل.

ويذكر السامرائي لهذا الحذف عدة أسباب منها:

**أولاً:** أن قصة موسى عليه السلام جاءت موجزة في سورة النمل فناسب حذف (أن) المفسرة في مقام الإيجاز، على عكس ما جاء في سورة القصص من بسط وتفصيل للقصة، فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط والتفصيل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> "إيجاز الحذف هو: "ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه". يُنظر: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 264. وقد تكلم ابن الأثير عن جمال الحذف بقوله: "أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما مبينا إذا لم تبين". يُنظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ج2، ص 268.

<sup>2</sup> "وأما إيجاز القصر فهو تضمين الألفاظ القليلة معاني كثيرة من غير حذف، فهو الذي لا يمكن أن نعبر عن معانيه بألفاظ مساوية لتلك الألفاظ التي عُبر بها عن هذه المعاني". يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأدائها (علم المعاني)، ص 470. قال ابن الأثير: "وهو أعلى طبقات الإيجاز مكانا، وأعوزها إمكانا، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء، فإنما يوجد شاذًا نادرًا". يُنظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ج2، ص338.

<sup>3</sup> يُنظر: السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 106.



ثانياً: "أنّ المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى فشرّفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسّر الكلام، أي: نادينا بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: (أشرت إليه أن أذهب) و (قلت له اذهب) فالأول معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظٍ أو دلالة تدل على هذا المعنى. وأما الثاني فقد قلت له هذا القول نصّاً، ومثله قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا زُرَّيْهٖمُ ، قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفّات: 104، 105]، أي: بما هذا تفسيره أو بما هذا معناه بخلاف قوله: ﴿قَالَ يَنْحٰرِحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَّ أَهْلِكَ ...﴾ [هود: 46]<sup>1</sup>.

وشبيهه بما تقدم قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [النمل: 10]، وقوله في سورة القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: 31]؛ ففي سورة النمل قول مباشر من الله سبحانه وتعالى، وهذا دالٌّ على التكريم، أما في سورة القصص فقد ناداه بما هو تفسيره هذا<sup>2</sup>.

إنّ حذف حرف (أن) في سورة النمل وفي كلا الموضعين كان خاضعاً للسياق الذي وردت فيه، فإيجاز قصة موسى عليه السلام تبعه حذف الحرف زيادة في الإيجاز، كما أنه تشريف لموسى عليه السلام بالنداء المباشر دون فصل.

### الفرع الثاني: الإيجاز بحذف الكلمة

وكذلك قد تُحذف الكلمة إيجازاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... يَمْوَسِي لَا تَخَفْ﴾ [النمل: 10]، وقوله تعالى: ﴿... يَمْوَسِي أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ...﴾ [القصص: 31]، حيث نلاحظ ذكر لفظ "أقبل" في سورة القصص، بينما حُذِفَ هذا اللفظ في سورة النمل، وهذا مراعاة للإيجاز في السورة كما ذكرنا من قبل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> السامرائي: المصدر السابق، ص 106.

<sup>2</sup> يُنظر: السامرائي: المصدر السابق، ص 108.

<sup>3</sup> يُنظر: السامرائي: المصدر السابق، ص 109.

## الفرع الثالث: الإيجاز بحذف جملة أو عدة جمل

أولاً- الحذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل:4]

وفي هذه الآية نلاحظ جمل عدة محذوفة، وهذا ما بينه حبكة الميداني أثناء تفسيره لهذه الآية بقوله: "أي: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة بعد البعث للحساب وفصل القضاء وتنفيذ الجزاء معاندين ومكابرين بإرادات حرة "زيننا لهم أعمالهم" الجائزة الجانحة عن الصراط المستقيم، بمقتضى سنننا العامة التي تجري على البر والفاجر، فأروها حسنة جالبة لهم لذات من متاع الحياة الدنيا، فانطمست بسبب كفرهم العنادي بالآخرة بصائرهم "فهم" في سعيهم في حياتهم الدنيا "يعمهون" متحيرين متخبطين سائرين على غير هدى"<sup>1</sup>.

ثانياً- الحذف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ اجْعَلُوا بَعْضَ أَمْثَالِ الْيَوْمِ الَّذِي كُنْتُمْ تُجَاهِلُونَ فِي يَوْمِ نَارِ سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ أَعَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل:7].

ونلاحظ الإيجاز في هذه الآية كذلك؛ وذلك من خلال حذف بعض الجمل التي هي في الحقيقة تُفهم من خلال سياق الكلام، فموسى عليه السلام عندما قال لأهله إنه آنس نارا، وإنه سيأتيهم بخبر أو شهاب قبس، فلقد طوي خبر ذهابه إليها وسؤال أهلها عن أخبار الطريق إلى مصر<sup>2</sup>؛ لدلالة الإتيان بالخبر أو الشهاب منها على هذه الجمل المحذوفة.

ثالثاً- الحذف في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبٌ...﴾ [النمل:10].

وفي هذه الآية أمر من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بأن يلقي عصاه، فألقاها فانقلبت إلى حية تهتز كأنها جان، فخاف موسى عليه السلام فولى مدبرا.

<sup>1</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 217.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 218.

إلا أن التعبير في الآية جاء موجزا؛ وذلك بحذف جملة (فألقاها فانقلبت إلى حية إلخ) لدلالة السياق عليه<sup>1</sup>.

رابعاً- الحذف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاِ إِنِّي أَُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 27، 28، 29].

لقد اختبر سليمان عليه السلام صدق الهدهد بأن أمره بإيصال رسالة إلى مملكة سبأ، فذهب الهدهد بتلك الرسالة، وألقاها إليهم، فقالت الملكة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاِ إِنِّي أَُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾؛ "المحذوف هنا أكثر من جملة ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس فلما ألقاه إليها وقرأته قالت: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاِ ﴾، والمحذوف إذا كان كذلك ذلك عليه الكلام دلالة ظاهرة، لأنه إذا ثبت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه"<sup>2</sup>.

خامساً- الحذف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ... ﴾ [النمل: 40].

سأل سليمان عليه السلام ملأه أيهم يستطيع الإتيان بعرش بلقيس، فقال الذي عنده علم من الكتاب إنه سيأتيه بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾؛ أي: لما عاين سليمان عليه السلام سرير بلقيس، قائما بين يديه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص261.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البدیع، ص 178. ويُنظر كذلك: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 469.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص 303.

ففي هذه الآية يوجد حذف؛ إذ التقدير: فأتاه به فَرَأَهُ فَلَمَّا رَأَهُ الخ، "فحذف ما حذف للإيدان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام إياه شيء ما أصلاً وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الإتيان أيضاً كأنه لم يزل موجوداً عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده مُنتظماً في سلكٍ مُلكه"<sup>1</sup>.

فالإيجاز في هذه الآية دلّ على سرعة الإتيان بالعرش.

### المطلب الثاني: الإطناب في سورة النمل

والأسلوب المقابل للإيجاز هو الإطناب؛ وهومن أقدم الفنون التي تحدث القدماء عنها.

وقبل أن نعرج على مواضع الإطناب في السورة، وبيان أغراضه، نقدم مفهوم الإطناب في اللغة والاصطلاح.

فالإطناب في اللغة يرجع إلى الجذر الثلاثي (طنب)، وهذه المادة تدلّ على ثبات الشيء وتمكّنه في استطالة، من ذلك الطُنْبُ: طُنْبُ الحَيَامِ، وَهِيَ حِبَالُهَا الَّتِي تُشَدُّ بِهَا. يُقَالُ: طَنَّبَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ، وَكَذَلِكَ أَطَنَّبَتِ الإِبِلُ، إِذَا تَبِعَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي السَّيْرِ، وَمِنَ البَابِ قَوْلُهُمْ: أَطَنَّبَ فِي الشَّيْءِ: إِذَا بَالَعَ، كَأَنَّهُ ثَبَّتَ عَلَيْهِ إِزَادَةً لِلْمُبَالَغَةِ فِيهِ"<sup>2</sup>، وأطنب في الكلام: بالغ فيه"<sup>3</sup>. و"الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذمّاً، والإكثار فيه"<sup>4</sup>. فمعاني الإطناب في اللغة تدور حول التتابع، والطول، والمبالغة في الشيء.

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه السكاكي بقوله: "هو أدائه -الكلام- بأكثر من عباراتهم -

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص287.

<sup>2</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ط ن ب)، ج3، ص426.

<sup>3</sup> يُنظر: الجوهري: الصحاح، مادة (ط ن ب)، ج1، ص172. وابن منظور: لسان العرب، مادة (طنب)، ج30، ص2709.

<sup>4</sup> ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (طنب)، ج30، ص2709.

المتعارف عليها-سواءً كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل"<sup>1</sup>. وتبعه في هذا القزويني وشرح التلخيص<sup>2</sup>.

وأما ابن الأثير فيعرف الإطناب ويفرق بينه وبين التطويل بقوله: "والذي يحدّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدّه الذي يميّزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة"<sup>3</sup>.

فنلاحظ أن ابن الأثير يشير إلى أن هذه الزيادة تكون للفائدة، مفرقا بينه وبين التطويل، بينما لا يشير السكاكي إلى ذلك ويكتفي بتعريفه بتكثير العبارات في أداء الكلام.

ويشير صاحب المطول أنّ الإطناب له أساس نفسي، وأحوال خاصة تستلزمه، وهذا في قوله: "ليتمكّن في النفس فضل تمكّن، أو لتكمل لذّة العلم به"<sup>4</sup>.

ولقد وقف علماء البلاغة أمام هذا الأسلوب ناظرين ومتأملين إلى فوائده وأغراضه البلاغية فخلصوا إلى جملة منها، وهي: الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام، التكرير لفائدة، الإيغال، التذييل، الاحتراس، التتميم، الاعتراض، وضع الظاهر مكان المضمّر، غير ما تقدّم<sup>5</sup>.

وقد حفلت سورة النمل ببعض أغراض الإطناب، نذكر منها ما يلي:

<sup>1</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، ص 388. يُنظر كذلك: الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله: التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1 (1904م)، ص210. والخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني، والبيان، والبدیع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط، س ط)، ص179.

<sup>2</sup> للاستزادة في موضوع الإطناب يُنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج1، ص 224.

<sup>3</sup> ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 344.

<sup>4</sup> التفتزاني، سعد الدين مسعود بن عمر: المطول شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1425هـ، 2004م)، ص53.

<sup>5</sup> يُنظر: فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ص 482.

## الفرع الأول: الاحتراس

وهو في اللغة من (حرس)، و"حَرَسَ الشَّيْءَ يَحْرُسُهُ وَيَحْرُسُهُ حَرَسًا: حَفِظَهُ؛ وَهُمْ الْحَرَّاسُ وَالْحَرَسُ وَالْأَحْرَاسُ. وَاحْتَرَسَ مِنْهُ: تَحَرَّزَ. وَتَحَرَّسْتُ مِنْ فُلَانٍ وَاحْتَرَسْتُ مِنْهُ بِمَعْنَى أَي تَحَفَّضْتُ مِنْهُ"<sup>1</sup>. فالاحتراس في اللغة بمعنى الاحتراز والتحفظ.

وأما اصطلاحاً فقد عرفه الخطيب القزويني بقوله: "أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه"<sup>2</sup>. أي: ليحترز به عن خلاف المعنى المقصود.

ومما جاء من هذا النوع من الإطناب في سورة النمل نذكر:

## أولاً - الاحتراس بـ ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ

سَوْءٍ...﴾ [النمل:12].

والأمر في هذه الآية من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بأن يدخل يده في جيبه، فتخرج بيضاء من غير سوء.

جاءت عبارة ﴿تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ﴾ موهمة؛ فهي توهم أن هذا البياض ربما يكون عن برص،

فجاءت عبارة: ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ إطناباً أفاد الاحتراس بدفع هذا الإيهام<sup>3</sup>.

## ثانياً - الاحتراس بـ ﴿وَأَسْتَبَقْتَهَا أَنْفُسَهُمْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَبَقْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14]

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (حرس)، ج10، ص 833.

<sup>2</sup> الخطيب القزويني: المصدر السابق، ص 203.

<sup>3</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 221.

ومعنى هذه الآية أنّ بني إسرائيل أنكروا الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، وكذبوا بها مكابرة وعناداً، مع تيقنهم وعلمهم في أنفسهم بأنها حقّ من عند الله، فكان هذا التّكذيب والجحود ظلماً من أنفسهم، واستكباراً عن اتباع الحقّ<sup>1</sup>؛ لأنّ الجحود هو "إنكار أنّ الشيء حقّ مع العلم بأنّه حقّ، ومع استيقان النفس به"<sup>2</sup>.

ولقد جاءت عبارة: ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ﴾ إطناباً مفيداً، كان غرضه التوكيد على علمهم بأنّ هذه الآيات حقّ، وفيه كذلك دفع توهم أن ما في أنفسهم يخالف ما قالوه بألستهم، وهذا ما جاء في كلام حبنكة الميداني، حيث قال: "ولقد جاءت عبارة: ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ﴾ إطناباً مفيداً فيه توكيد علمهم المفهوم من جحودهم، وفيه دفع توهم أن جحودهم لم يكن مصحوباً بيقين كامل مخالف لما أعلنوه صراحة بألستهم، وفي هذه العبارة إشارة بصيغة الجمع "أنفسهم" التي هي من صيغ جموع القلة إلى أن جماهير الأتباع كانوا مقلّدين لفرعون وملئه، وأنّ المستيقنين كانوا فرعون وملاءه، وأنهم كانوا دون العشرة"<sup>3</sup>.

### ثالثاً- الاحتراس بـ ﴿وَلَا يُصَلِّحُونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلِّحُونَ﴾ [النمل:48].

وهؤلاء من قوم صالح عليه السلام، "أوغلوا في الفساد الذي لا أثر للصّلاح فيه، فكانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح، وهم الذين تواطؤوا على عقر الناقة وعلى قتل صالح ومن آمن به"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 267.

<sup>2</sup> حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 221.

<sup>3</sup> حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 222.

<sup>4</sup> وهبة الزحيلي: المصدر نفسه، ج19، ص 319.



ولقد جاء التعبير القرآني بعطف جملة "لا يصلحون" على جملة "يفسدون في الأرض"؛ للاحتراس من توهم أن هؤلاء القوم كانوا من الذين خلطوا إفسادا بإصلاح، فجاءت عبارة "لا يصلحون" للدلالة على أنهم تمحضوا للإفساد<sup>1</sup>، ودفع ذلك الإيهام.

رابعا- الاحتراس ب﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 91].

وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بأن يقول إنه أمر بعبادة رب هذه البلدة وهي مكة، التي جعلها الله حرما آمنا، وأن يقول إن الله كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ إطناب بغرض الاحتراس؛ "ثلاثا يُتوهم من إضافة ربوبيته إلى البلدة اقتصار ملكه عليها ليُعلم أن تلك الإضافة لتشريف المضاف إليه لا لتعريف المضاف بتعيين مظهر ملكه"<sup>2</sup>.

خامسا- الاحتراس ب﴿سِيرِكُمْ آيُنُهُ فَنَعْرِفُونَهَا﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيُنُهُ فَنَعْرِفُونَهَا...﴾ [النمل: 93].

وهذا أمر كذلك للرسول ﷺ بأن يحمد الله سبحانه وتعالى، الذي لا يعذب أحدا إلا بعد أن يقيم الحجّة عليه، وأنه سبحانه وتعالى سيرهم الآيات الدالّة على عظمتهم وحكمته وقدرته، ويريهام أمارات العذاب والسخط حتى يتبين لهم صدق الدعوة، فيعرفون ذلك، وما الله بغافل عما يفعله المشركون وغيرهم، ولكن يؤخّر عذابهم إلى أجل وفق ما تقتضيه حكمته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 274.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 326.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 20، ص 48، 49.

وفي قوله تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ الآية، إطناب فائدته الاحتراس "مما يتوهمه المعاندون حين يسمعون آيات التبرؤ من معرفة الغيب، وقصر مقام الرسالة على الدعوة إلى الحق من أن يكون في ذلك نقض للوعيد بالعذاب فحتم الكلام بتحقيق أن الوعيد قريب لا محالة وأن الله لا يخلف وعده فتظهر لهم دلائل صدق الله في وعده، ولذلك عبّر عن الوعيد بالآيات إشارة إلى أنهم سيحل بهم ما فيه تصديق لما أخبرهم به الرسول ﷺ حين يوقنون أن ما كان يقول لهم هو الحق، فمعنى ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ "تعرفون دلالتها على ما بلغكم الرسول من النذارة لأن المعرفة لما غلقت بها بعنوان أنها آيات الله كان متعلق المعرفة هو ما في عنوان الآيات من معنى الدلالة والعلامة"<sup>1</sup>.

### الفرع الثاني: التذييل

والذيل في اللغة آخر كل شيء<sup>2</sup>، وأما في الاصطلاح فهو: تعقيب الكلام بجملة تشتمل على معناه للتوكيد، سواء كان تأكيد مفهوم أو منطوق، وقد يكون هذا التعبير مستقلاً يجري مجرى المثل وقد يرتبط بالكلام السابق فلا يفصل عنه<sup>3</sup>.

وأشار أبو هلال العسكري<sup>4</sup> إلى أهمية التذييل بقوله: "وللتذييل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحا والمقصد اتضاحاً"<sup>5</sup>.

### أولاً - التذييل بـ ﴿قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 327.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ذيل)، ج 17، ص 1529.

<sup>3</sup> يُنظر: التفتزاني: المطول شرح تلخيص المفتاح، ص 54.

<sup>4</sup> هو الحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال العسكري (ت بعد 395هـ)، اللغوي، والأديب، من مؤلفاته: جمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين في النظم والنثر، والمحاسن في تفسير القرآن، والفروق في اللغة، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 2، ص 918. الزركلي: الأعلام، ج 2، ص 196.

<sup>5</sup> العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، ط 1 (1406هـ، 1986م)، ص 373.

وهذا دليل آخر يسوقه الله سبحانه وتعالى للاستدلال على توحيد ربوبيته؛ فهو الذي يستجيب لدعاء وتضرع المضطرين من الفقراء والمرضى وغيرهم، فيكشف عنهم السوء والضرر، ويجعلهم ورثة هذه الأرض والديار، والمتصرفين فيها، فهل يُعقل وجود إله مع الله يقدر على فعل مثل هذه الأشياء<sup>1</sup>.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴾، للدلالة على أن تذكرهم تذكرنا قليلا جدا مع ما أفادته حرف (ما) من التأكيد على معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى<sup>2</sup>.

ولقد جاء قوله تعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴾ إطنابا غرضه التذييل؛ ففي "تذييل الكلام بنفي التذكير عنهم إيداناً بأن مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره"<sup>3</sup>.

ثانياً- التذييل بـ ﴿ تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بِئِنَّ يَدَى رَحْمَتِهِ ۗ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: 63].

يسوق الله سبحانه وتعالى الأدلة على وحدانيته، ومنها الاستدلال بإرشاد الناس في ظلمات البر والبحر إذا ضلوا الطريق وأظلمت عليهم السبل بما خلق في الكون من نجوم كدلائل سماوية، وهو الذي يرسل الرياح أمام الغيث الذي يحيي موات الأرض، وبعد أن اتضحت الأدلة على وحدانيته سبحانه وتعالى فهل يوجد إله مع الله قادر على فعل هذا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 20، ص 13.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 295.

<sup>3</sup> أبو السعود: المصدر نفسه، ج 6، ص 295.

<sup>4</sup> مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 20، ص 10.

ثم جاءت نهاية الآية بقوله تعالى: ﴿تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، كتذييل لها، قال ابن عاشور: "وَدَيْلٌ هَذَا الدَّلِيلُ بِتَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَنِ إِشْرَاكِهِمْ مَعَهُ آلِهَةً؛ لِأَنَّ هَذَا خَاتِمَةُ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُنَازِعُونَ فِي أَنَّهُ مِنْ تَصَرُّفِ اللَّهِ، فَجِيءَ بَعْدَهُ بِالتَّنْزِيهِ عَنِ الشَّرْكِ كُلِّهِ وَذَلِكَ تَصْرِيحٌ بِمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ التَّذْيِيلَاتُ السَّابِقَةُ"<sup>1</sup>.

ثالثاً- التذييل بـ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَاعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 93].

حتم الله سبحانه وتعالى هذه الآية بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ كتأكيد للوعيد الذي سبقه في الآية، ويُعدّ هذا إطناباً غرضه التذييل، ويقول أبو السعود أثناء تفسيره لهذه الجملة من الآية بأنه "كلامٌ مسوقٌ من جهته تعالى بطريق التذييل مقررٌ لما قبله متضمنٌ للوعيدِ والوعيدِ كما ينبى عنه إضافةُ الربِّ إلى ضميرِ النبي ﷺ وتخصيصُ الخطابِ أولاً به ﷺ وتعميمُهُ ثانياً للكفرة تغليباً أي وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أَنْتَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَمَا تَعْمَلُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكُفْرَةُ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَيُجَازِي كُلاًَّ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ لَا مَحَالَةَ"<sup>2</sup>.

وهكذا نجد أن كلا من الإيجاز والإطناب جاء في سورة النمل لتحقيق أغراض وفوائد بلاغية، وكما قال أبو هلال العسكري: "القول القصد أن الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكل واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التذيير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"<sup>3</sup>.

ومن الفوائد والأغراض التي جاء من أجلها الإطناب؛ الاحتراس من توهم معنى مخالف لما سيقت له الآية، والتذييل لتأكيد المعنى الذي سيقت من أجله الآيات.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 291.

<sup>2</sup> أبو السعود: المصدر السابق، ج 6، ص 307.

<sup>3</sup> العسكري: الصناعتين، ص 190.

خصصنا هذا الفصل للحديث عن خصائص التراكييب في السورة، أي؛ خصائص ارتباط الكلمات فيما بينها من أجل إيصال المعنى والفكرة للمتلقي.

فدرسنا التقديم والتأخير؛ هذه الظاهرة التي تسمح للمتكلم أن يرتب كلماته بكل حرية، وحسب ما يقتضيه المقام ومراعاة حال المتلقي.

وقد ورد التقديم والتأخير في السورة لأسباب عديدة نذكر منها:

- بسبب الأسبقية في الوجود؛ كتقديم داود على سليمان عليهما السلام، وتقديم الجنّ على الإنس.
- باعتبار مراحل الشيء؛ كتقديم التّبسم على الضحك.
- وجاء التقديم أحيانا للاهتمام بالخبر، أو للاعتبار.
- وجاء التأخير لغرض التشويق للمؤخّر والاهتمام به.

ومن الأساليب التي وردت في السورة كذلك أسلوب التوكيد؛ حيث نجد في هذه السورة كثرة هذا الأسلوب؛ وهذا يتماشى مع سياق السورة، وجوّ السورة العام، فالسورة من القرآن المكي؛ أي في بداية الدعوة، فالناس في ذلك الزمن كانوا منقسمين بين مؤمن، ومتردد، ومنكر لهذا القرآن أصلا ولنبوّة الرسول ﷺ. فجاءت هذه الأخبار مؤكدة؛ سواء بمؤكد أو مؤكدين، أو أكثر بحسب حال المخاطب.

كما قمنا في هذا الفصل بدراسة الأسلوب الإنشائي الطلبي؛ فتناولنا كلا من الاستفهام والنهي والأمر.

لقد ورد الاستفهام في مواضع عدة من السورة؛ ولكن اقتصرنا في دراستنا هذه على المواضع التي خرج فيها الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ ثانوية، ومن الأغراض التي خرج إليها في أكثر مواضعه؛ الإنكار على المشركين، والتشنيع، والتوبيخ، والتهكم، والتعجيب من أمرهم.

بينما نجد النهي في السورة خرج عن معناه الأصلي إلى التحذير والتهديد.

أما أسلوب الأمر في سورة النمل فقد خرج عن معناه الأصلي إلى معنى التعجيز، وذلك أثناء مطالبة المشركين بالدليل والبرهان على ادعائهم الشريك، وأما المواضع المتبقية فخرج إلى معنى الاعتبار

والاعتاظ بما حلّ بالأمم المكذبة التي سبقتهم؛ فأسلوب الأمر تماشى مع موضوع سورة النمل المكية، التي جاءت من أجل ترسيخ العقيدة الصحيحة، بالبراهين والأدلة الدامغة، مع ذكر قصص الأمم السابقة من أجل أخذ العبرة والعظة مما حدث لهم، وهذا في الحقيقة دليل آخر على وجود الله سبحانه وتعالى.

كما رصدنا في هذا الفصل أسلوب القصر؛ حيث جاء في عدة مواضع من السورة، وقد كان القصر فيها بطريق ضمير الفصل، والقصر بالنفي والاستثناء، والقصر بإنما. كما ورد بقسميه؛ القصر الحقيقي، والقصر الإضافي.

وختمنا هذا الفصل بالكلام عن الإيجاز والإطناب في السورة؛ فبالنسبة للإيجاز فلم يرد في السورة إلا إيجاز الحذف، أما إيجاز القصر فلم يرد. كما أن إيجاز الحذف ورد بأقسامه؛ حذف الحرف، الكلمة، الجملة، عدة جمل، والمسوّغ لهذا الحذف هو دلالة السياق على المحذوف.

أما بالنسبة للإطناب فهو الآخر ورد في السورة في مواضع عدة، وجاء في السورة لتحقيق غرض الاحتراس من توهم غير المراد، والتذييل.

# الفصل الثالث

ليبيان في سورة النمل



## الفصل الثالث: البيان في سورة النمل

ولفظ البيان في اللغة إذا بحثنا عن معناه اللغوي برجعنا إلى المعاجم اللغوية نجد أن معانيه تدور حول الكشف والظهور والوضوح<sup>1</sup>.

وأما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفه السكاكي بقوله: "وأما علم البيان؛ فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليُحتز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"<sup>2</sup>.

فمن خلال البيان يمكننا إيصال المعنى إلى المخاطب بأكثر من طريقة؛ "لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"<sup>3</sup>.

وقد أطلق البلاغيون هذا المصطلح -البيان- على هذا العلم؛ لأن "له مزيد تعلق بالوضوح والبيان، من حيث أن علم البيان يعرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان"<sup>4</sup>.

ورغم أننا نستطيع إيصال المعنى المراد بواسطة الكلمات، إلا أن استعمال التصوير البياني يكون أقوى وأبلغ، ذلك "أن هناك فرقا بين أن تفيض الكلمات بالمعاني والمقاصد، وأن تفيض بها الأحداث والصور، فرق بين ما تدل عليه لفظ (الشجاعة)، وما تدلّ عليه صورة (الأسد) ببطشه وإقدامه وبأسه وشدته، المعاني التي تفيض بها الأحداث والصور أغزر وأبين وأمكن"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (بين)، ج 5، ص 406. وابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (بين)، ج 1، ص 327، 328.

<sup>2</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، ص 249.

وتبعه في ذلك الخطيب القزويني حيث عرفه بأنه: "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه". الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 215.

<sup>3</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 76.

<sup>4</sup> بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، ودار الرفاعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3 (1408هـ، 1988م)، ص 97.

<sup>5</sup> محمد أبو موسى: التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان-، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3 (1413هـ، 1993م)، ص 7.

وأحسن من كتب وعبر عن التصوير القرآني هو سيد قطب<sup>1</sup> حيث قال: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة وحركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردّها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"<sup>2</sup>.

وللتصوير البياني طرق متنوعة للتعبير عن المعنى المراد؛ من تشبيه، واستعارة، وكناية، وسأقف أمام هذه الطرق بالشرح والتحليل وإظهار بلاغتها في سورة النمل، وذلك من خلال هذا الفصل والذي قسمته إلى ثلاثة مباحث؛ الأول للحديث عن التشبيه، والثاني خصصته للمجاز، والأخير جاء فيه الكلام عن الكناية.

<sup>1</sup> هو سيد قطب بن إبراهيم (1324-1387هـ)، مفكر إسلامي مصري، ولد بأسيوط، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة (1353هـ، 1934م) عمل في عدة وظائف، انضم إلى الإخوان المسلمين، وسجن معهم، إلى أن أُعدم، عكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، منها: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، التصوير الفني في القرآن الكريم، في ظلال القرآن، المستقبل لهذا الدين، وغيرها. يُنظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص147.

<sup>2</sup> سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط6 (1423هـ، 2002م)، ص36.

## المبحث الأول: التشبيه في سورة النمل

يُعدّ التشبيه من أهمّ الأساليب البلاغية التي استعملها العرب لإظهار وإيصال المعاني وتجسيدها، وقبل أن نخوض في مواضع التشبيه في السورة نقدم مفهوم التشبيه، وأهميته في الكلام.

## المطلب الأول: مفهوم التشبيه

## الفرع الأول: لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة أن الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا<sup>1</sup>. والشبه؛ المثل، يقال: شابهه وأشبهه ماثله<sup>2</sup>. فالتشبيه في اللغة معناه التمثيل.

## الفرع الثاني: اصطلاحا

وأما في اصطلاح البلاغيين؛ فرغماختلاف عباراتهم في تعريفه، إلا أنها تتفق في المعنى<sup>3</sup>، ونذكر من هذه التعاريف تعريف الخطيب بأنه: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى"<sup>4</sup>. فيستغل المتكلم ما بين الأمرين من علاقات وصلات ويستعين بها في إيصال المعاني.

وللتشبيه دور كبير في إيصال المعاني بوضوح، والتأثير في المتلقي كما عبّر عن ذلك عبد القاهر الجرجاني حيث قال: "إن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أجهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفتدة صباية وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيهما محبة وشغفا"<sup>5</sup>.

فالتشبيه له أثر بالغ في تحريك النفوس؛ وهذا ما جعله فنا أصيلا عند العرب؛ من خلال

<sup>1</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (شبه)، ج3، ص 243.

<sup>2</sup> يُنظر: الزبيدي: تاج العروس، مادة (ش ب هـ)، ج36، ص 411.

<sup>3</sup> للاستزادة والإطلاع على تعريفات التشبيه عند العلماء مع التعليق عليها، يُنظر: محمود موسى حمدان: أدوات التشبيه، دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1 (1413هـ، 1992م)، ص 7-11.

<sup>4</sup> الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 217.

<sup>5</sup> الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر: أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، د(ط، س ط)، ص 115.

جريانه في معظم كلامهم، سواء الشعر منه أو النثر<sup>1</sup>، "ولو قيل إنه أكثر كلامهم لم يبعد"<sup>2</sup>.

وأما تشبيهات القرآن الكريم فقد كان لها الأثر البالغ في كلام العرب؛ حيث "أدارها الشعراء في قصائدهم، واتخذها الكتاب أساسا لتصويرهم، وكانت -أيضا- عمدة البلاغيين في ضرب الأمثلة والموازنة بين فنون البيان، ولا يكاد كتاب في إعجاز القرآن أو البلاغة والنقد يخلو من الحديث عن تشبيهات القرآن"<sup>3</sup>؛ وذلك أن تشبيهات القرآن لم تأت فقط من أجل حسنها بل "لها مقاصد عظيمة، ومضمّنة لأغراض دقيقة، يعقلها من ظفر في هذه الصناعة بأوفر حظ، وكان له فيها أدنى ذوق، وحام حول تلك الدقائق بذهن صافٍ عن كدود البلادة"<sup>4</sup>.

وأهم ما يميز التشبيه في القرآن الكريم أنه لا يأتي متكلفا، ولا يكون عنصرا زائدا في التعبير "ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه، فعمله في الجملة أنه يعطي الفكرة في صورة موضحة مؤثرة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة، يتطلب المعنى ليصبح واضحا قويا"<sup>5</sup>.

### المطلب الثاني: مواضع التشبيه في سورة النمل

وفي هذا المطلب نتبع المواضع التي ورد فيها التشبيه في السورة، ولكن الملاحظ هو قلة الصور التشبيهية؛ فلم يرد التشبيه إلا في ثلاثة المواضع وهي:

#### الفرع الأول: تشبيه العصي بالجان

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ

يُمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10].

<sup>1</sup> يُنظر: محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1420هـ، 1999م)، ص 78.

<sup>2</sup> المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، (د، ط، س ط)، ج2، ص 79.

<sup>3</sup> أحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص 27، 28.

<sup>4</sup> العلوي: الطراز، ج3، ص 184.

<sup>5</sup> أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، مصر، (د، ط، س ط)، ص 153.

وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بإلقاء عصاه، فلما ألقاها تحوّلت وانقلبت حية سريعة الحركة، فلما رأى موسى عليه السلام ذلك المنظر ولى هارباً خوفاً منها، ومن شدة خوفه لم يلتفت وراءه<sup>1</sup>.

والاهتزاز: التحرك الشديد<sup>2</sup>، والجَانّ الحية الصغيرة السريعة الحركة<sup>3</sup> وجمعه جَنَان، وأما الجَانّ بمعنى واحد الجنّ فاسم جمعه جنّ<sup>4</sup>.

فقوله: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾؛ تشبيه مرسل<sup>5</sup> مجمل<sup>6</sup>، ذكرت أداة التشبيه، وحذف وجه الشبه، فصار مرسلًا مجملًا<sup>7</sup>.

ففي هذه الآية جاء تشبيه عصا موسى عليه السلام بالحية الصغيرة، ووجه الشبه هو سرعة حركتها واضطرابها.

وقد ورد في آيات أخرى انقلاب العصا إلى ثعبان، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: 107]، و[الشعراء: 32] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117].

والثعبان هو "الحية الضخم الطويل، وأصله ثعبت الماء أتعبه ثعبا إذا فجرته، فسمي بذلك

لأنه يجري كجري الماء عند الانفجار، ومعنى "مبين" أي: بيّن أنّه حية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج19، ص124.

<sup>2</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (ه ز)، ص392.

<sup>3</sup> يُنظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1(1411هـ، 1991م)، ج15، ص345.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص227.

<sup>5</sup> التشبيه المرسل هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه. يُنظر: أحمد مطلوب: المصدر السابق، ص49. وعبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1(1405هـ، 1985م)، ص80.

<sup>6</sup> والتشبيه المجمل هو ما حذف منه وجه الشبه. يُنظر: أحمد مطلوب: المصدر السابق، ص50. وعبد العزيز عتيق: المصدر نفسه، ص90.

<sup>7</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص261.

ولا يوجد بين الآيات تعارض؛ لأنَّ تشبيهها بالجانّ المراد به أنّها في اهتزازها وخفة حركتها وسرعتها كالجانّ في صورة الثعبان<sup>2</sup>.

إذن فقد شبه الله تعالى العصى بالثعبان لضخامتها، وشبهها بالجانّ لخفتها وسرعة حركتها.

الفرع الثاني: تشبيهه عرش بلقيس

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّاجَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ۗ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا

وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ [النمل: 42].

لقد أمر سليمان عليه السلام جنده بأن يغيروا شكل وهيئة عرش بلقيس بعد أن أتوا به، ليرى هل تهتدي إلى معرفته أو لا تهتدي<sup>3</sup>، فلما جاءت بلقيس سألتها: أهكذا عرشك؟ فأجابته بقولها: كأنه هو.

والهمزة في قوله: ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ۗ ﴾ للاستفهام، وأما (هاء) فهي للتشبيه، الذي يدخل على اسم الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد، و(الكاف) للتشبيه<sup>4</sup>.

وينبه الزمخشري أثناء تفسيره لهذه الآية على أن السؤال لم يكن: أهذا عرشك؟؛ لئلا يكون تلقينا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن نايقا، عبد الله بن الحسين: كتاب الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الالكتروني (براج وخطيب)، جدة، السعودية، بيروت، لبنان، ط1 (1407هـ، 1987م)، ص 131.

<sup>2</sup> ابن نايقا: المصدر نفسه، ص 131.

<sup>3</sup> وقيل المقصود بالهداية هنا الهداية "إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة، وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجاب". إلا أن القول الأول هو الراجح عند المفسرين؛ لأن القول الثاني "يأباه تعليق النظر بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك مما لا دخل فيه للتنكير". أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 287، 288.

<sup>4</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 97.

<sup>5</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 457.

وأما إجابة بلقيس على السؤال فقد كانت إجابة دقيقة، حيث قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾، بمعنى أنه يشبهه شبيها كثيرا إلى درجة أنه هو في نظر من لا يدرك الفروق<sup>1</sup>، وكذلك "لم تقل: هو هو، وليس بهو، وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل"<sup>2</sup>.

وهذه الآية تحتوي على تشبيهين؛ ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾، و﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾، وكلاهما تشبيه مرسل مجمل؛ حيث في التشبيه الأول، المشبه هو العرش الذي نُكِّر، والمشبه به عرش بلقيس، وأداة التشبيه (الكاف)، أما التشبيه الثاني فالأداة هي (كأنّ).

ولكن يوجد فرق بين التشبيه الأول والثاني، وهذا الفرق يرجع إلى الاختلاف بين (الكاف) و (كأنّ)؛ "ففي قولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وعدولها عن مطابقة الجواب للسؤال، بأن تقول: هكذا هو، نكتة حسنة، ولعل قائلها يقول: كلا العبارتين تشبيه؛ إذ كاف التشبيه فيهما جميعا، وإن كانت في إحداها داخلة على اسم الإشارة، وفي الأخرى داخلة على المضمرة، وكلاهما - أعني اسم الإشارة والمضمرة - واقع على الذات المشبهة، وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى، ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال، فلا بد في اختيار ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ من حكمة، فنقول: حكمته والله أعلم: أنّ ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عبارة من قَرَّبَ عنده الشبه حتى شكك نفسه في التباين بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، وتلك حال بلقيس، وأما هكذا هو؛ فعبارة جازم بتباين الأمرين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم"<sup>3</sup>.

### الفرع الثالث: تشبيه مرور الجبال بمرور السحاب

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي

أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88].

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 97.

<sup>2</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص 457.

<sup>3</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص 457.



والخطاب في هذه الآية موجه للرسول ﷺ، يخبره الله ﷻ بأنه يرى الجبال قائمة وهي تمرّ كمرور السحاب<sup>1</sup>؛ لأنّ رائيها يحسب أنّها واقفة وهي تسير سيرا حثيثاً<sup>2</sup>.

ولفظ "جامدة" في الآية من الجمود، فيقال: جمد في مكانه إذا لم يبرح<sup>3</sup>، والتعبير بهذا اللفظ مجازي، كثر استعمال هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة<sup>4</sup>.

ويرجع الرازي سبب رؤية الجبال جامدة لا تتحرك إلى ضخامتها، حيث قال: "والوجه في حسابهم أنّها جامدة فلأنّ الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمّ والكيفية ظنّ الناظر إليها أنّها واقفة مع أنّها تمرّ مرّاً حثيثاً"<sup>5</sup>.

فالجبال تسير سير السحاب، وتنقل من جهة إلى جهة والتّأخر إليها يحسبها ثابتة فيمكّانها لا تبرحه، تشبه في ذلك السحاب الذي يعمّ الأفق، ينتقل من صوب إلى صوب، ويمطر من مكان

<sup>1</sup> ذكر ابن عاشور أثناء تفسيره لهذه الآية اختلاف المفسرين في تفسيرها؛ فمنهم من جعل هذه الآية معطوفة على قوله تعالى: "ينفخ في الصور"، وجعلوا الرؤية بصرية، ومرّ السحاب تشبيهاً لتنفّلها مرّ السحاب في السرعة، وجعلوا اختيار التشبيه بمرور السحاب مقصوداً منه إدماج تشبيه حال الجبال حين ذلك المرور بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفاشها، فيكون من معنى قوله: "وتكون الجبال كالعهن المنفوش". ومنهم من قال: هذا مما يكون عند النفخة الأولى، وكذلك جميع الآيات التي ذكر فيها نسف الجبال ودكها وبسها، وجعلوا الآية معطوفة على قوله: "ويوم ينفخ".

إلا أنه لم يرتض هذه الأقوال، وذهب إلى القول بأن هذه الآية وقعت موقع الجملة المعترضة بين الجمل، وبيانه من قوله "ففزع من في السماوات.." إلى قوله: "من جاء بالحسنة فله خير منها.."، بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر، وبين الزواجر والنذر، أو هي معطوفة على جملة "ألم يروا أنا جعلنا الليل.." وجملة "ويوم ينفخ" معترضة بينهما لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من إيماء إلى تمثيل الحياة بعد الموت، ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة.

أي أن هذه الآية تحكي ما يكون عند النفخة الأولى، وابن عاشور يرجح حكاية الآية في الحياة الدنيا، أي قبل القيامة، والقرينة هي قوله تعالى: "صنع الله الذي أتقن كل شيء"، المقطضي أنه اعتبار بحالة نظامها المألوف لا بحالة انحرام النظام لأن خرم النظام لا يناسب وصفه بالصنع المتقن، ولكنه يوصف بالأمر العظيم، أو نحو ذلك من أحوال الآخرة التي لا تدخل تحت التصور.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 318-320.

<sup>3</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج18، ص137.

<sup>4</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص476.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص320.

<sup>6</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج24، ص221.

إلى آخر، والناظر إليه يخاله ثابتا في مكانه، فلا يشعر به إلا وقد غاب عنه<sup>1</sup>.

والتشبيه في هذه الآية تشبيه بليغ<sup>2</sup>، حيث شبه مرور السحاب وسيره بمر السحاب في السرعة، وحذفت فيه الأداة ووجه الشبه<sup>3</sup>.

ورد التشبيه في السورة في ثلاثة مواضع؛ حيث شبه اهتزاز العصا بعد تحوّلها إلى حيّة بالجانّ، وذلك لحفتها وسرعتها، وهكذا نجد القرآن الكريم يعبر بالصورة المحسوسة والمتحركة والمشاهدة عن حادثة وقعت في الماضي.

كما جاء سؤال سليمان عليه السلام لملكة سبأ عن شبه عرشها المنكر لعرشها الحقيقي، وهذا اختبارا لعقلها.

وجاء تشبيه مرور الجبال بمرور السحاب، وهي صورة مشاهدة ومعروفة عند جميع الناس، وهذا من أجل تقريب المعنى.

### المبحث الثاني: المجاز في سورة النمل

لقد اختلف العلماء حول وجود المجاز في اللغة والقرآن بين مثبت ونافي<sup>4</sup>، ولكن ذهب جمهور العلماء إلى وقوعه ووجوده؛ "فالمجاز في لغة العرب فنّ أصيل تمتد جذوره إلى العصر الجاهلي في الاستعمال، وتشترك فروعه في كل من الشعر والنثر على حدّ سواء"<sup>5</sup>، والسبب في استعمال العرب للمجاز هو ميلهم إلى الاتساع في الكلام وتكثير معاني الألفاظ.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 320.

<sup>2</sup> التشبيه البليغ: هو التشبيه الذي يُحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وسموا مثل هذا بليغا لما فيه من اختصار من جهة، وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى؛ لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب، وفتح باب التأويل، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيرا. يُنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج2، ص 180.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 39.

<sup>4</sup> دار حديث طويل بين العلماء حول الحقيقة و المجاز قديما وحديثا؛ فهناك من العلماء من نفى المجاز في اللغة والقرآن، وهناك من أثبتته في اللغة ونفاه عن القرآن، وآخرون قالوا بوجوده في اللغة والقرآن، ولكل دليله إلى ما ذهب إليه. للاستزادة يُنظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، (د، ط، س ط). القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، ط1 (1376هـ، 1957م)، ج1، ص 222-249.

<sup>5</sup> محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ص 42.

والمجاز في اللغة من (جوز) بمعنى سار وسلك، فيقال: "جُزْتُ الطريقَ وجرَّزَ الموضوعَ جَوْزاً وجَوْزاً وجَوَازاً ومَجَازاً وجرَّزَ بِهِ وجَاوَزَهُ جَوَازاً وأَجَازَهُ وأَجَازَ غَيْرَهُ وجرَّزَهُ: سَارَ فِيهِ وَسَلَكَه"<sup>1</sup>، ويأتي كذلك بمعنى قطع وخلف، فيقال: "أَجَازَهُ: خَلَّفَهُ وَقَطَعَهُ"<sup>2</sup>.

فحقيقة المجاز في اللغة هو الانتقال من مكان إلى آخر، وهذا ما يدل عليه معنى القطع والسير، ويدل على هذا المعنى أكثر قولنا: جاز المكان، أي: خلفه وراءه.

وقد أخذ هذا المعنى ووضع لنقل الألفاظ فيما بينها، وفي هذا الصدد يقول عبد القاهر الجرجاني: "المجاز مفعول من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً"<sup>3</sup>.

وأما اصطلاحاً فقد تعددت تعريفات البلاغيين للمجاز<sup>4</sup>، ولكنها تدور حول معنى واحد وهو: "اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة، مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي"<sup>5</sup>.

ولا بد لهذا المجاز من قرينة؛ فالقرينة هي التي تبين أن المعنى الحقيقي غير مراد، وأن المعنى المجازي هو المراد، "وقرائن المجاز وإن كانت كثيرة، ولكن يجمعها أمر واحد، وهو ما يدل على تعدد حملها على معناه الحقيقي"<sup>6</sup>.

وبعد إيرادنا للتعريفين؛ اللغوي والاصطلاحي نلاحظ العلاقة والتقارب بينهما، واعتماد التعريف الاصطلاحي على المعنى اللغوي، "فكما يجتاز الإنسان ويتنقل في خطاه من موضع إلى موضع، فكذلك تجتاز الكلمة بمرونتها الاستعمالية من موقع إلى موقع، ويتخطى اللفظ محله من معنى إلى معنى، مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدل على ذلك، لأن تلك الكلمة أو ذلك اللفظ قد

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (جوز)، ج 9، ص 724.

<sup>2</sup> ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (جوز)، ج 9، ص 724.

<sup>3</sup> الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 395.

<sup>4</sup> للوقوف على تعريفات البلاغيين يُنظر: محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ص 39-42. وأحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص 89-91، ومعجم المصطلحات البلاغية، ج 3، ص 193. وعبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 135. وفضل حسن عباس: البلاغة فنونها وألفانها (علم البيان والبديع)، ص 133.

<sup>5</sup> فضل حسن عباس: علم البيان والبديع، ص 134.

<sup>6</sup> الجرجاني، محمد بن علي: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، ط (1418هـ، 1997م)، ص 185.

استعملا في غير ما هو موضوع لهما في أصل اللغة، وبذلك يبدو لنا أن المجاز يتضمن عملية تطوير لدلالة اللفظ، وتحميله المعاني المستحدثة بما لا يستوعبه اللفظ نفسه في أصل وضعه الحقيقي<sup>1</sup>.  
وأما بالنسبة لبلاغته فقد قال السيوطي في معرض الدفاع عن وقوع المجاز في القرآن بأن المجاز أبلغ من الحقيقة<sup>2</sup>؛ والصحيح أن "الحقيقة في بابها بيان وبلاغة إذا تطلبها الموقف، ويعني ذلك أن مستوى المتلقي هو الذي يحدد استخدام المتنن مستوى معين من المجاز"<sup>3</sup>.  
وفي هذا المبحث سأطرق إلى المجاز العقلي وموضعه في السورة (المطلب الأول)، والاستعارات الواردة في السورة (المطلب الثاني).

### المطلب الأول: مواضع المجاز العقلي في سورة النمل

وقبل البدء في إيراد الآيات التي ورد فيها المجاز العقلي في السورة وتحليلها، نقوم أولاً بتقديم مفهوم مختصر له.  
فالمجاز العقلي<sup>4</sup> هو: "إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل، وللعمل ملابس شتى، يلبس الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب"<sup>5</sup>، كقولنا: أنبت الربيع البقل، وشفى الطبي المريض، وكسا الخليفة الكعبة، وهزم الأمير الجند، وبنى الوزير القصر<sup>6</sup>. وسمي بالمجاز العقلي؛ "لاستناده على العقل دون الوضع اللغوي، وذلك أن الالفاظ في هذا المجاز لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي، وإنما كان المجاز والنقل في الإسناد، وهو أمر عقلي"<sup>7</sup>.  
وفيما يلي الآيات التي ورد فيها المجاز العقلي:

<sup>1</sup> محمد حسين علي الصغير: المصدر السابق، ص 42.

<sup>2</sup> يُنظر: السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج3، ص93.

<sup>3</sup> محمد بركات حمدي أبو علي: البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، عمان، الأردن، ط1 (1412هـ، 1992م)، ص 28.

<sup>4</sup> ويسمى أيضا مجازا حكيميا؛ لوقوعه في الحكم بالمسند على المسند إليه، ويسمى أيضا مجازا في الإثبات؛ لحصوله في إثبات أحد الطرفين للآخر، ويسمى أيضا إسنادا مجازيا نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر؛ لأن الإسناد جاوز به المتكلم حقيقته وأصله إلى غير ذلك. يُنظر: التفتراني، سعد الدين: شروح التلخيص (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د(ط، س ط)، ج1، ص231.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص28.

<sup>6</sup> يُنظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص503.

<sup>7</sup> عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط1 (1428هـ، 2007م)، ص33.

الفرع الأول: إسناد فعل التزيين إلى الله ﷻ

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [النمل:4].

الحديث في هذه الآية عن الذين لا يؤمنون بالآخرة وبيان حالهم، فهم مترددون حائرين، ولقد جاءت هذه الآية عقب الحديث عن المؤمنين الذين زادهم القرآن هدى وبشرى، فهم يستمسكون به ويؤدون ما شرع من الأحكام. والتزيين: التجميل والتحسين<sup>1</sup>.

ولقد جعل الزمخشري إسناد فعل التزيين إلى الله ﷻ مجاز وإلى الشيطان حقيقة حيث قال في معرض تفسير هذه الآية: "فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾؟ قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله ﷻ مجاز، وله طريقان في علم البيان؛ أحدهما: أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة. والثاني: أن يكون من المجاز الحكمي، فالطريق الأول: أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق، وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرتهم وإيثارهم الروح والترفة، ونفارتهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم. وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم: ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ [الفرقان:18]، والطريق الثاني: أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابس ظاهرة للتزيين، فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابس<sup>2</sup>.

بينما جعل ابن عاشور الإسناد حقيقي ومعنى "تزيين تلك الأعمال لهم: تصوّره إياها في نفوسهم زينا، وإسناد التزيين إلى الله تعالى يرجع إلى أمر التكوين، أي: خلقت نفوسهم وعقولهم قابلة للانفعال وقبول ما تراه من مساوئ الاعتقادات والأعمال التي اعتادوها، فإضافة أعمال إلى

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 32.

<sup>2</sup> الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 430، 431.

ثم علّق على هذا القول المحقق حيث قال: "وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في إيجاب رعاية الصلاح والأصلح، وامتناع أن يخلق الله تعالى للعبد إلا ما هو مصلحة، فمن ثم جعل إسناد التزيين إلى الله تعالى مجازاً، وإلى الشيطان حقيقة، ولو عكس الجواب لفاز بالصواب". الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص 430، 431.

ضمير الذين لا يؤمنون بالآخرة يقتضي أنّ تلك الأعمال هي أعمال الإشراك الظاهرة والباطنة فهم لإفهم إياها وتصلّبهم فيها صاروا غير قابلين لهدي هذا الكتاب الذي جاءهم آياته، ...، وأوماً جعل الخبر ماضياً في قوله: "زَيْنًا" إلى أنّ هذا التزيين حكم سبق وتقرّر من قبل، وحسبك أنّه من آثار التكوين بحسب ما طرأ على النفوس من الأطوار"<sup>1</sup>.

ثم إنّ إسناد فعل التزيين إلى الله تعالى لا ينافي إسناده إلى الشيطان، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [النمل: 24]؛ لأنّ "وسوسة الشيطان تجد في نفوس أولئك مرتعا خصبا ومنبتا لا يقحل، فالله تعالى مزينّ لهم بسبب تطوّر جبلة نفوسهم من أثر ضعف سلامة الفطر عندهم، والشيطان مزينّ لهم بالوسوسة التي تجد قبولا في نفوسهم كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ﴾ [ص: 82، 83]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42]"<sup>2</sup>.

إذن فإسناد فعل التزيين إلى الله سبحانه وتعالى حقيقة وذلك راجع إلى أمر التكوين، وإسناده إلى الشيطان حقيقة كذلك، وذلك راجع إلى وسوسته لهم بأنّ تلك الأعمال حسنة.

الفرع الثاني: إسناد فعل الإبصار للآيات

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل: 13].

جاء الحديث في هذه الآية عن إنكار فرعون وقومه للآيات والمعجزات البينة والواضحة، التي تدلّ على صدق موسى وأخيه هارون عليهما السلام، حيث نسبوها إلى السحر البين الظاهر. وقد وُصفت الآيات بأنها مُبصرة، "وصيغ لها وزن فاعل الإبصار على طريقة المجاز العقلي، وإنما المبصر الناظر إليها"<sup>3</sup>؛ وجاء إسناد الإبصار للآيات وهو في الحقيقة للمتأملين فيها؛ "لأنهم

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 220، 221.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 220، 221.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 231.



لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مواضع الاستعارة في سورة النمل

والاستعارة في اللغة من العارية والعار، وهي "ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء، وأعاره منه، وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين، وتعوّر واستعار: طلب العارية، واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه"<sup>2</sup>.

ويستعمل لفظ الاستعارة مجازاً في الألفاظ، يقول ابن الأثير: "الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة: وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضهما من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"<sup>3</sup>. فنلاحظ كيف بيّن ابن الأثير العلاقة بين المعنى الحقيقي للاستعارة والمعنى المجازي لها، وكما أن الاستعارة الحقيقية تكون بين شخصين متعارفين، فكذلك تقع بين الألفاظ التي تكون بينهما صلة معنوية تجمعهما.

وأما في الاصطلاح<sup>4</sup> فأول من سماها وعرفها فهو الجاحظ في قوله: "وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"<sup>5</sup>. كما عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيه المشبه وتجره عليه"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 434.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (عور)، ج 35، ص 3168.

<sup>3</sup> ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، ص 77.

<sup>4</sup> للاطلاع على مختلف التعاريف الاصطلاحية للاستعارة يُنظر: محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ص 111. وعبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 168. وأحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص 123.

<sup>5</sup> الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 153.

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز، ص 67.



وقد تناول العلماء الاستعارة وأكثرها الكلام عنها، فذكروا أقسامها، وشواهدا المتعددة من القرآن الكريم، وكلام العرب.

ويحدثنا عبد القاهر عن أهمية الاستعارة، فيقول: "تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة؛ وذلك أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتنجي من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .. كما أنك ترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعزُّ منها، ولا رونق لها ما لم تَرَهَا، وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون"<sup>1</sup>.

ولقد حفل القرآن الكريم بقدر كبير من الاستعارة، ولكن استعاراته "بلغت حد الإعجاز فيه، فهي لون من ألوان التصوير التي اتخذها، وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه"<sup>2</sup>، وهذا ما نلاحظه في سورة النمل؛ حيث جاءت الاستعارة في مواضع عديدة من السورة.

وفيما يلي نتناول الآيات التي وردت فيها الاستعارة في سورة النمل.

الفرع الأول: مواضع الاستعارة في قصة سليمان عليه السلام

أولاً- استعارة لفظ "الإدخال"

وذلك في قوله تعالى: ﴿... وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ

وَالدَّمَىٰ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

جاءت هذه الآية عقب تحذير النملة لبني جنسها من أن يحطمهم سليمان عليه السلام وجنوده دون أن يشعروا بذلك، فتبسم سليمان عليه السلام تعجباً من تحذير هذه النملة، وسرورا بما أعطاه الله من نعمة فهم غرضها، عندئذ شكر ربه على هذه النعم، ودعا ربه أن يدخله مع الصالحين في الجنة.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 42، 43.

<sup>2</sup> عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص 66.

وجعل ابن عاشور لفظ الإدخال في قوله: ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ﴾ مستعاراً "لجعله واحداً منهم، فشبهه إلحاقه بهم في الصلاح بإدخاله عليهم في زمرةهم، وسؤاله ذلك مراد به الاستمرار والزيادة في رفع الدرجات لأنّ لعباد الله الصالحين مراتب كثيرة"<sup>1</sup>.  
ولفظ "الصالحين" الذي دعا سليمان عليه السلام ربه أن يدخله في زمرة يوم القيامة ورد في القرآن كوصف للأنبياء والمرسلين، وللمؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، ويدخل الله سبحانه في زمرة الصالحين الأوابين الذين إذا فعلوا بعض المعاصي والمخالفات رجعوا إلى ربهم بالتوبة والاستغفار على وجه السرعة، ولو تكرّر ذلك منهم<sup>2</sup>.  
ثانياً - استعارة لفظ "الإحاطة"

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِجَّتِكَ مِنْ سَيِّئٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22].

بعد أن توعد سليمان عليه السلام الهدهد بالعذاب والذبح بسبب غيابه، رجع الهدهد بعد مدة وجيزة من غيابه، وأسرع بالجواب والاعتذار عن الغياب والدفاع عن نفسه، ولقد كان في جواب الهدهد حجة بيّنة لسبب غيابه، وأنه لم يرغب لغرض خاصّ به، وإنما ذهب مستكشفاً فحصل علماً، وجاء بالخبر اليقين، وقدم اعتذاره مبتدئاً باعترازه بما أحاط من العلم، متجملًا بما حصل منه، مُظهِراً لارتفاع منزلته به، متحصّناً به من العقاب، وقدم اعتذاره ويّين سبب غيابه دون خوف من سليمان عليه السلام، ويّين اختصاصه بإحاطة العلم بذلك الخبر<sup>3</sup>.

وفي كلام الهدهد والأخبار التي جاء بها ابتلاء لسليمان عليه السلام في علمه، والإرشاد إلى عدم الاغترار، قال الزمخشري: "ألم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمّة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاءً له في علمه، وتبنيها على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 242.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج 9، ص 69.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن باديس: مجالس التذكير، ص 232، 233.

<sup>4</sup> الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 446.

وأما الإحاطة التي جاءت في كلام الهدهد فمعناها العلم بذلك الخبر والنبأ الذي جاء به علما شاملا كل نواحيه وجوانبه؛ لأنّ الإحاطة بالشيء هي القدرة على القبض عليه من جميع جهاته، فيقال: أحاط الجيش بالبلد، أي: صار مثل السّوار حول كل بنيانها<sup>1</sup>.

فلفظ "الإحاطة" في هذه الآية "مستعار لاستيعاب العلم بالمعلومات، كقوله تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: 68]<sup>2</sup>.

ثالثا- استعارة لفظ "السبيل"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَدْتُهُمْ قَوْمًا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ

الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهم عَن السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 24].

والكلام في هذه الآية عن قوم بلقيس الذين وجدهم الهدهد يسجدون للشمس، وزين لهم

الشیطان قبيح أعمالهم، وحاد بهم عن طريق الحقّ وعبادة الله وحده.

والمعنى اللغوي للفظ "السبيل" الوارد في الآية هو الطريق وما وضع منه، ويذكر ويؤنّث،

والتأنيث فيه أغلب<sup>3</sup>، وقال الراغب: "الطريق الذي فيه سهولة"<sup>4</sup>.

وأما في الاصطلاح فقد عرّفه الفيروزآبادي<sup>5</sup> بقوله: "هو كل ما يتوصّل به إلى شيء، خيرا

كان أو شرا"<sup>6</sup>.

وجاء لفظ السبيل في هذه الآية "مستعار للدين الذي باتباعه تكون النجاة من العذاب،

وبلوغ دار الثواب"<sup>7</sup>، فالدين الصحيح طريق يوصلنا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والابتعاد عن

عبادة الأصنام والكواكب.

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج 9، ص 73.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 246.

<sup>3</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (سبل)، ج 22، ص 1930.

<sup>4</sup> الراغب: المفردات، مادة (س ب ل)، ص 168.

<sup>5</sup> هو محمد بن يعقوب بن محمد، أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي (729-817هـ)، من أئمة اللغة والأدب، كان مرجع

عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه: القاموس المحيط، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وبصائر التمييز في لطائف

الكتاب العزيز، والدرر الغوالي في الأحاديث الغوالي، وغيرها. يُنظر: السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج 1،

ص 274. والزركلي: الأعلام، ج 7، ص 146.

<sup>6</sup> الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج 3، ص 186.

<sup>7</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 251.

## رابعاً - استعارة لفظ "الارتداد"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾ [النمل: 40].

طلب سليمان عليه السلام من جنده أن يأتوه بعرش بلقيس قبل مجيئها، فأجابه إلى ذلك الذي عنده علم من الكتاب، وأخبره بأنه سيأتي بالعرش قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام. ولفظ "الطرف" في اللغة يُطلق على جفن العين، ويُعبّر به كذلك عن تحريك الجفن، وعن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النظر<sup>1</sup>.

ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف؛ وُصف كذلك بردّ الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، ويكون معناه في الآية: أن سليمان عليه السلام يرسل طرفه إلى شيء، وقبل أن يردّه يجد العرش حاضراً بين يديه<sup>2</sup>.

وقد جعل ابن عاشور الارتداد استعارة؛ "لأنهم يعبرون عن النظر بإرسال الطرف وإرسال النظر فكان الارتداد استعارة مبنية على ذلك"<sup>3</sup>.

كما جوّز الزمخشري أن يكون هذا التعبير مثالا للمدة الوجيزة، حيث قال: "ويجوز أن يكون هذا مثالا لاستقصار مدة الحجيء به، كما تقول لصاحبك: افعل كذا في لحظة، وفي ردة طرف، والتفت ترني، وما أشبه ذلك: تريد السرعة"<sup>4</sup>.

وأما التعبير بـ "الارتداد" بدل "الرد"؛ فلكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد، فأوثر الارتداد على الرد فقليل: قبل أن يرتد إليك طرفك، ولم يقل: قبل أن يرد<sup>5</sup>. إذن فقد استعير لفظ "الارتداد" لرجوع النظر؛ لأنهم عبروا عن النظر بإرسال الطرف.

<sup>1</sup> يُنظر: الراغب: المصدر السابق، مادة (ط ر ف)، ص 227.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 455، 456.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 264.

<sup>4</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 455، 456.

<sup>5</sup> يُنظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ص 365.

الفرع الثاني: مواضع الاستعارة في قصة صالح عليه السلام

وذلك باستعارة لفظ "المكر" وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: 50].

اتفق أشقياء ثمود ودبروا في خفاء قتل صالح عليه السلام وأهله معه ليلا، وعينوا لذلك ليلة لتنفيذ مكرهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى مكر مكر آخر بهم في الخفاء، ودون أي شعور منهم، وهو إهلاكهم قبل ذلك الموعد الذي ضربه لقتل صالح عليه السلام وأهله<sup>1</sup>. فمكر قوم ثمود هو تأمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله غيلة، ومكر الله هو إهلاكهم قبل أن ينقذوا ذلك.

إلا أن مكر الله شبهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة<sup>2</sup>؛ لأن الله سبحانه وتعالى بادرهم بالإهلاك قبل تمكنهم من تبيت صالح وأهله، وكذلك لتأخير استئصالهم إلى الوقت الذي اتفقوا فيه على قتل صالح عليه السلام، فشبّه هذا بفعل الماكر في تأجيل وتأخير الفعل إلى وقت الحاجة، مع عدم إشعارهم بذلك، وجاء قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ تأكيداً للاستعارة<sup>3</sup>.

الفرع الثالث: مواضع الاستعارة في الآيات الدالة على التوحيد  
أولاً - استعارة لفظ "الكشف"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَكَشَفُ... ﴾ [النمل: 62].

والمضطرّ هو ذو الحاجة البالغة الشدة<sup>4</sup>، الذي يدعو ربه أن يكشف عنه سوء. ولفظ "الكشف" يستعمل في الأصل لرفع الغطاء أو الغشاء، حيث قال ابن عاشور: "والكشف: أصله رفع الغشاء، فشبه السوء الذي يعتري المضروب بغشاء يحول دون المرء ودون الاهتداء إلى الخلاص تشبیه معقول محسوس، ورمز إلى المُشَبَّه به بالكشف الذي هو من روادف الغشاء، وهو أيضا مستعار للإزالة بقرينة تعديته إلى السوء، والمعنى: من يزيل"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج الفكر ودقائق التدبر، مج 9، ص 114.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 461.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 276.

<sup>4</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج 9، ص 136.

<sup>5</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 289.

تعبّر هذه الآية عن حالة المضطر النفسية، والضيق الذي يعانیه جرّاء ما أصابه، حيث شبّه السوء الذي يعتري الإنسان بالغشاء الذي يمنع الإنسان من الاهتداء إلى الخلاص، وأتى بلفظ "الكشف" الذي هو من روادف الغشاء ليدلّ على إزالة ذلك السوء إجابة لدعاء المضطرّ. ثانياً - استعارة لفظ "اليدين"

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾ [النمل: 63].

ذكر الله سبحانه وتعالى من دلائل وحدانيته الهداية في ظلمات الليل في البرّ والبحر، وهذه الهداية تكون بالنجوم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِنَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: 97]، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلق تلك النجوم على نظام دقيق صالح للهداية بها في الليل. ثم انتقل للحديث عن فوائد الرياح في نقل السحب الممطرة وإثارها<sup>1</sup>. ولقد جاء التعبير عن تبشير الرياح أمام نزول المطر بلفظ "يدي"، وفي هذا استعارة؛ استعارة اليدين للأمام، فقوله: "نشر بين يدي رحمته"، أي: أمام نزول المطر<sup>2</sup>. كما جاء التعبير عن الغيث بلفظ "الرحمة"؛ وهي في الحقيقة أثر من آثارها، فهو مجاز مرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبب<sup>3</sup>. في هذه الآية استعير لفظ "يدي" للدلالة على الأمام، كما عبّر عن الغيث بلفظ "رحمته" وهي من آثارها وهذا مجاز مرسل علاقته المسببية، فتلك الرحمة كانت بسبب نزول الغيث. ثالثاً - استعارة لفظ "العمى"

وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: 66].

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 291.

<sup>2</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 8.

<sup>3</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 141.

وهذه الآية جاءت في سياق إثبات علم الغيب لله وحده وَعَجَلِكُمْ، ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن الكافرين انتهى علمهم بالآخرة، لعدم قدرتهم على إثباتها، وعجزهم عن معرفة زمن حدوثها، فأصبحوا شاكين في وجودها ووقوعها، وفي عماية وجهل كبير من أمرها لا يفكرون فيها<sup>1</sup>.

وجاء التعبير بلفظ "عمون" بصيغة المبالغة للدلالة على شدة العمى، وفي هذا تشبيه لعدم العلم بالأعمى؛ فالكافرون شُبِّهوا بسبب ضلالهم وإنكارهم للبعث بالعمي في عدم الاهتداء إلى المطلوب<sup>2</sup>.

أُستعير لفظ "عمون" للدلالة على التعامي عن الحق، وكذلك عدم التفكر في أدلة إثبات وجود الآخرة<sup>3</sup>.

رابعاً- استعارة لفظ "الكتاب"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنْدٍ مُّبِينٍ

[النمل:75].

فما من شيء غائب وخفي، في السماء والأرض، أو مخفي في الزمن الماضي أو المستقبل إلا والله سبحانه وتعالى يعلمه، فالله عالم الغيب والشهادة، وكل شيء معلوم محفوظ في لوحه المحفوظ، الذي كُتِبَ فيه كل ما كان وسيكون إلى يوم القيامة<sup>4</sup>.

وجعل ابن عاشور لفظ الكتاب مستعاراً للدلالة على علم الله تعالى، والجامع بينهما هو التحقق وعدم الاستطاعة على تغييره، حيث قال: "والكتاب يُعَبَّرُ به عن علم الله، استعير له الكتاب لما فيه من التحقق وعدم قبول التغيير"<sup>5</sup>، فالأخبار التي أنبأنا بها الله سبحانه وتعالى محققة لا محالة، ومن هذه الأخبار اليوم الآخر الذي سيتحقق، في اليوم الذي حدّده الله سبحانه وتعالى، وهذا اليوم لا يستطيع أي كائن أن يغيّره.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج20، ص 20.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 296.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج20، ص 18.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج20، ص 25.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 302.



خامسا- استعارة لفظ "يقص"

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:76].

إنّ هذا القرآن هو الكتاب المهيم على الكتب السابقة، وهو الذي يفصل في الخلافات القائمة فيها، ويحكم بين بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه<sup>1</sup>. وفي عبارة "يقص" استعارة تبعية<sup>2</sup>، حيث شبه ما تضمنه القرآن من قصص ونبا الأقسام السابقين بما يتكلم به الإنسان الناطق، الذي يقصّ على الناس الأخبار<sup>3</sup>.

سادسا- استعارة لفظي "الموتى والصم"

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:80].

والكلام في هذه الآية موجّه للرسول ﷺ، يخبره بأنّ الذين وصلوا إلى دركة الموتى ممن يسعى في دعوتهم، ويطمع في هدايتهم، لن يصل إلى مبتغاه معهم، ومن الخير له أن يوجّه دعوته وطاقته لغيرهم من الذين مازال فيهم أمل في هدايتهم<sup>4</sup>.

ولقد عبّرت هذه الآية بصورة حيّة محسوسة عن حال الكافرين اتجاه دعوة الرسول ﷺ، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب أثناء تفسيره لهذه الآية: "والتعبير القرآني البديع يرسم صورة حيّة متحركة لحالة نفسية غير محسوسة؛ حالة جمود القلب، وخمود الروح، وبلادة الحسّ، وهمود الشعور، فيخرجهم مرة في صورة الموتى، والرسول ﷺ يدعو وهم لا يسمعون الدعاء؛ لأنّ الموتى لا يشعرون، ويخرجهم مرة في هيئة الصمّ مدبرين عن الداعي؛ لأنّهم لا يسمعون .. وتترأى هذه الصور المجسمة المتحركة، فتمثّل المعنى وتعمّقه في الشعور"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج5، ج20، ص2665.

<sup>2</sup> يقسم البلاغيون الاستعارة إلى أقسام متعددة على اعتبارات عديدة، منها تقسيمها باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية؛ فإذا كان اللفظ المستعار اسما جامدا أو غير مشتق سموها أصلية، وإذا كان اللفظ المستعار اسما مشتقا أو فعلا سموها تبعية. يُنظر: عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص181-183.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص27.

<sup>4</sup> يُنظر: حنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص180.

<sup>5</sup> سيد قطب: المصدر نفسه، مج5، ج20، ص2666.

وفي الآية استعارتان؛ حيث شُبِّه الكافرون بالموتى رغم أنهم أحياء؛ وذلك لعدم استجابة قلوبهم لدعوة الحق الرباني، فهي كالقلوب الميتة.  
وشُبِّهوا كذلك بالصم؛ لأنهم بعدم استجابتهم لكلام الله ورسوله هم بمثابة الصم الذين يُنْعَق بهم فلا يسمعون ولا يستجيبون<sup>1</sup>.  
ويذكر ابن عاشور أن للقرآن أثران:

**الأول:** الأثر العقلي؛ وتمثله المعاني التي يشتمل عليها القرآن، حيث يقول ابن عاشور: "ما يشتمل عليه من المعاني المقبولة لدى أهل العقول السليمة، وهي المعاني التي يدركها ويسلم لها من تبلغ إليه ولو بطريق الترجمة، بحيث يستوي في إدراكها العربي والعجمي، وهذا أثر عقلي"<sup>2</sup>.  
والآخر: الأثر اللفظي، ويتمثل في نظمه الفريد وبلاغته، وفي هذا يقول ابن عاشور: "دلالة نظمه وبلاغته على أنه خارج عن مقدرة العرب، وهذا أثر لفظي وهو دليل الإعجاز، وهو خاص بالعرب مباشرة، وحاصل لغيرهم من أهل النظر والتأمل إذا تدبروا في عجز البلغاء من أهل اللسان الذي جاء به القرآن، فهؤلاء يوقنون بأن عجز بلغاء أهل ذلك اللسان عن معارضته دالٌّ على أنه فوق مقدرتهم، فالمشركون شُبِّهوا بالموتى بالنظر إلى الأثر الأول، وشُبِّهوا بالصم بالنظر إلى الأثر الثاني، فحصلت استعارتان"<sup>3</sup>.

وجاءت عبارة ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ﴾ مقيدة بقوله: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، أي: حين توليهم مدبرين؛ "لأن تلك الحالة أوغل في انتفاء إسماعهم، لأن الأصم إذا كان مواجهًا للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ، ويستفيد بقيته بحركة الشفتين، فأما إذا ولَّى مدبرًا فقد ابتعد عن الصوت ولم يلاحظ حركة الشفتين فذلك أبعد له عن السمع"<sup>4</sup>.  
سابعاً- استعارة لفظ "العمي"

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ

بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النمل: 81].

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 178.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 306.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 306.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 307.

ويمضي القرآن في تشبيهاته وحديثه عن حال الكافرين الذين يجتهد الرسول ﷺ في دعوتهم على أمل هدايتهم، فبعد أن شَبَّههم بالموتى والصمّ، شَبَّههم في هذه الآية بالعمي. والهدى هو الدلالة على طريق السائر، ويسمى الذي يسلك بالقوافل مسالك الطرق هاديا، كما يسمى التوصل إلى معرفة الطريق اهتداء<sup>1</sup>.

وقد أشار حبنكة الميداني إلى أن لفظ "هادي" في الآية ضَمَّن معنى "صارف"، فقال: "ضَمَّن لفظ "هادي" وفعل "تهدي" في القراءة الأخرى، معنى كلمة "صارف" أو فعل "تصرف"، فَعُدِّي تعديته بحرف "عن" فجاءت العبارة "عن ضاللتهم"، أي: وما أنت بهادي العمي صارفا لهم عن ضاللتهم"<sup>2</sup>.

والضلال هو "العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية.. ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا"<sup>3</sup>، والضلالة في الآية هي طريق الكفر الذي اختاره أولئك، وإعراضهم عن الحق وسبيل الرّشاد، اتباعا منهم للشّهوات والتقاليد العمياء، أو الاستكبار، وكل هذه الأوصاف تحيد بالإنسان عن طريق الصواب الذي يدعوهم إليه الرسول ﷺ<sup>4</sup>.

وتحتوي هذه الآية على استعارة ثالثة؛ حيث جاء تشبيه المشركين في إعراضهم عن الحق بالعمي، وهذا زيادة في تشنيع حالهم، ويذكر ابن عاشور حسن تلك التشبيهات، وأظهر الفروق بينها، حيث يقول: "وحسن هذا التكرير هنا ما بين التشبيهين من الفروق مع اتحاد الغاية؛ فإنهم شَبَّهوا بالموتى في انتفاء إدراك المعاني الذي يتمتع به العقلاء، وبالصمّ في انتفاء إدراك بلاغة الكلام الذي يضطلع به بلغاء العرب، وشَبَّهوا ثالثا بالعمي في انتفاء التمييز بين طريق الهدى وطريق الضلال من حيث إنهم لم يتبعوا هدي دين الإسلام، والغاية واحدة وهي انتفاء أتباعهم الإسلام، ففي تشبيههم بالعمي استعارة مصرّحة"<sup>5</sup>.

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى:

ورد المجاز العقلي في السورة في موضع واحد؛ وهو إسناد فعل الإبصار إلى الآيات، للدلالة على شدة ظهورها ووضوحها، فلا ينكرها إلا جاحد.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 307.

<sup>2</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 180.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ض ل)، ص 223.

<sup>4</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 180.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 307، 308.

أما الاستعارة فقد وردت في مواضع عدّة؛ وذلك لأنها الأداة المفضلة في القرآن للتعبير عن معانيه.

### المبحث الثالث: الكناية في سورة النمل

والكناية من الصور البيانية التي شاع استعمالها في كلام العرب، وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

ولكن قبل الخوض في بيان المواضع التي وردت فيها الكناية في السورة نقدّم بكلام مختصر عن مفهوم الكناية وبلاغتها.

فالكناية لغة؛ أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، يقال: كنيته بكذا إذا تركت التصريح به، وهي من كنيته الشيء أكنيه، إذا ستر بغيره، وقيل: كنانة بنونين لأنها من "الكن" وهو الستر، وتعريف الكناية مأخوذ من اشتقاقها، واشتقاقها من الستر، ويقال: كنيته الشيء إذا سترته، وإنما أجري هذا الاسم على هذا النوع من الكلام لأنه يستتر معنى ويظهر غيره، ولذلك سميت كناية<sup>1</sup>. ومنه الكنية؛ وذلك أن فيها سترًا للاسم، وإظهارًا لشيء آخر<sup>2</sup>.

إنّ معنى الكناية في اللغة تدور معانيها حول الستر والخفاء.

أما الكناية في اصطلاح البلاغيين فقد تعددت تعريفاتها<sup>3</sup>، ونذكر هنا تعريف عبد القاهر الجرجاني لها بقوله: " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به، ويجعله دليلاً عليه"<sup>4</sup>.

كما عُرفت كذلك بأنها؛ "لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ك ن ي)، ج 44، ص 3944.

<sup>2</sup> الطوي: الإكسير في علم التفسير، ص 155.

<sup>3</sup> ذُكرت عدة تعاريف للكناية، مع ذكر الشواهد من كلام العرب والقرآن الكريم، وأقسامها، يُنظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية (البيان والبديع)، ص 163-191.

<sup>4</sup> عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص 337.

فالتكلم عند استعماله للكناية فكأنه يخفي ويستتر المعنى الحقيقي، ويظهر لازم هذا المعنى، مع إمكانية إزادة المعنى الحقيقي، فالمعنى الاصطلاحي للكناية له علاقة بالمعنى اللغوي.

وينبّه عبد القاهر الجرجاني على أنّ القول بأن الكناية أبلغ من التصريح ليس معناه زيادة في المعنى ذاته، وإنما تزيد في إثباته وتأكيدده، وهذا معنى قوله: "ليس المعنى إذا قلنا: إنّ الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كتبت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد<sup>1</sup>"، وذلك أنّ الكناية "تعطي المعنى مصحوبا بالدليل والبرهان فيكون ذلك تثبيتا في الذهن وتأكيدا؛ لأنّ ذكر الشيء ومعده دليله وبرهانه أوقع في النفس وأعلق بالفؤاد من أن تتركه من غير برهان"<sup>2</sup>.

والكناية كسائر الصور تحسن إذا كانت غير متكلفّة؛ "فالكناية أبلغ في المقامات التي تستدعيها وتتطلبها، وما عدا ذلك فلا، إذ الكناية كسائر الأساليب البلاغية التي لا تشرف لذاتها، وإنما تحسّن وتبلغ الغاية على حسب تطلّب المقام لها، فالبلاغة دائما في مراعاة الكلام لمقتضى الحال، بأيّ أسلوب كان"<sup>3</sup>.

إنّ قولنا: إن الكناية يجب أن لا تكون مُتَكَلِّفَة، بل تأتي حسب ما يقتضيه المقام، فهذا ما تميّز به كنايات القرآن الكريم، حيث "إنّك إذا تأملت الأسلوب الكنائي في القرآن، -وكنت من أرباب الفصاحة والبيان-، أدركت أنّه فوق طاقة بني الإنسان، وأنّه فيه من روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقلّ به بيان، ولا يدركه إلّا من تذوّق حلاوة القرآن، وأنّه ينطوي تحته لطائف وأسرار، لا يصل إلى مكنونها إلّا من منح ذوقا رقيقا، يدرك ما احتجب خلف الأستار، وأن فيه من السّحر الحلال ما يبهر المهرة من صنّاع الكلام، ومن هنا تظهر عظمة الأسلوب الكنائي في القرآن، ويتّضح جماله الخلاب، وحسنه الفتان، وتأثيره الذي لا يدانيه تأثير"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: المصدر نفسه، ص71.

<sup>2</sup> التعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1(1998م)، ص 44.

<sup>3</sup> عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص 98.

<sup>4</sup> محمود السيد شيخون: الأسلوب الكنائي (نشأته- تطوره- بلاغته)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط1(1398هـ، 1978م)، ص 101.

وفي هذا المبحث نقوم بإبراز مواضع الكناية في السورة؛ وذلك من خلال دراسة الكنايات التي وردت في قصتي موسى وصالح عليهما السلام (المطلب الأول)، وكذلك الكنايات الواردة في قصة سليمان عليه السلام (المطلب الثاني)، وأخيرا الكنايات التي جاءت في أدلة التوحيد والبعث (المطلب الثالث).

### المطلب الأول: مواضع الكناية في قصتي موسى وصالح عليهما السلام

ونتطرق في هذا المطلب إلى مواضع الكنايات في قصة موسى عليه السلام (الفرع الأول)، وتنبه بدراسة الكناية التي جاءت في قصة صالح عليه السلام (الفرع الثاني)، مبيّنة ما تتميز به هذه الكنايات.

#### الفرع الأول: مواضع الكناية في قصة موسى عليه السلام

وهي كناية عن اصطفاء وتشريف موسى عليه السلام بالرسالة، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 9، 10].

لقد رأى موسى عليه السلام النار، فلما ذهب إليها ناداه الله تعالى، وفي هذا النداء "نزه الله ذاته وأعلن ربوبيته للعالمين، وكشف لعبده أنّ الذي يناديه هو الله العزيز الحكيم"<sup>1</sup>، ثم أمره أن يلقى عصاه، فلما انقلبت إلى حية ضخمة؛ سريعة الاهتزاز والتحرك خاف موسى عليه السلام وهرب، فخاطبه الله سبحانه وتعالى، وقال: ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾.

وليس في نهي الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام عن الخوف حظاً لمنزله بين الرسل، وإنما هو جارٍ على طريقة: مثلك لا يينخل، والمراد النهي عن الخوف الذي حصل له من انقلاب العصا حية وعن كل خوف يخافه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: 77]<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2629.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص228.



وكل ما تقدّم ممّا حصل مع موسى عليه السلام من مشاهدته للنّار، وتكليم الله سبحانه وتعالى له، ومناداته باسمه، وكذلك تعريف الله سبحانه لموسى باسمه الأعظم، كل هذا "كناية عن كونه سيصير رسولا، وأنّ الله يؤيّده وينصره على كلّ قوي، وليعلم أنّ ما شاهد من النّار وما تلقاه من الوحي وما يشاهده من قلب العصا حيّة ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى، فتلك ثلاث كنايات"<sup>1</sup>.

وجاء قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ كتعليل للنهي عن الخوف، ولقد دلّت هذه العبارة بطريقة وأسلوب غير مباشر على أنّ الله سبحانه وتعالى قد اصطفى موسى عليه السلام بالنبوة وحمل الرسالة<sup>2</sup>، وهذه كناية أخرى كما قال ابن عاشور: "وهذا كناية عن تشريفه بمرتبة الرسالة إذ علّل بأنّ المرسلين لا يخافون لدى الله تعالى"<sup>3</sup>.

فنجد أنّ هذه الكنايات جاءت في مقدّمة قصة موسى عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى لم يأمر موسى عليه السلام بعد بحمل الرسالة إلى فرعون وقومه، فكانت بمثابة التمهيد لموسى عليه السلام.

#### الفرع الثاني: مواضع الكناية في قصة صالح عليه السلام

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ

فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: 45].

وينتقل القرآن من قصة سليمان عليه السلام إلى قصة صالح عليه السلام، فقد بعثه الله سبحانه وتعالى إلى ثمود لإنقاذهم من الشرك، فأمن به فريق، وكذب آخر، فكانوا يختصمون.

وجيء بحرف (الفاء) الدالّ على الترتيب مع التعقيب، بمعنى أنّ صالح عليه السلام قد أدى رسالة ربّه، وبلغ الأمانة على وفق ما هو مطلوب منه<sup>4</sup>، فإذا بهم انقسموا إلى فريقين، وقد يكون المحيء بحرف (الفاء) للدلالة على أنّ انقسامهم وخصامهم كان مباشرة بعد إعلان صالح عليه السلام لدعوته؛ لذلك كانت "المفاجأة التي دلّت عليها "إذا" الفجائية"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 227.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج 9، ص 42، 43.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 228.

<sup>4</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج 9، ص 105.

<sup>5</sup> حبكة الميداني: المصدر السابق، مج 9، ص 105.



إنّ الإتيان بحرف المفاجأة (إذا) "كناية عن كون انقسامهم غير مرضيٍّ فكأنّه غير مترقّب؛ ولذلك لم يقع التعرّضُ لإنكار كون أكثرهم كافرين إشارةً إلى أن مجرد بقاء الكفر فيهم كافٍ في قبح فعلهم، وحالهم هذا مساو لحال قريش تجاه الرسالة المحمّدية"<sup>1</sup>.

كما جاء الفعل "يختصمون" منسوب إلى واو الجماعة، ولم يقل: يختصمان؛ لأنّه عائد على (فريقان)؛ إما للدلالة على أنّ هذا التخاصم واقع بين أفراد الفريقين، أي أن التخاصم إفرادي<sup>2</sup>. وإمّا أنّه يدلّ على أنّ الفريقين يشتملان على عدد كثير من الأفراد، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: 9]، ولم يقل: اقتتلنا<sup>3</sup>.

المطلب الثاني: مواضع الكناية في قصة سليمان عليه السلام

لقد وردت الكناية في قصة سليمان عليه السلام في عدة مواضع، وفي هذا المطلب نتناولها بالدراسة والتحليل للوصول إلى بيان سرّ استعمالها.

الفرع الأول: الكناية عن تفضيل داود وسليمان عليهما السلام بفضائل غير العلم

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ

كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

وبعد ذكر قصص موسى عليه السلام، انتقل إلى الكلام على قصّة داود وسليمان عليهما السلام.

ودلّت هذه الآية على أنّ الله تعالى قد أعطى كلّاً من داود وسليمان عليهما السلام طائفة عظيمة من العلم؛ كتعليم داود صنعة الدروع ولبوس الحرب، وعلم سليمان منطق الطير والدّواب وتسبيح الجبال ونحو ذلك ممّا فضّلهما الله سبحانه وتعالى به، فشكرا الله سبحانه وتعالى على هذه النعم، وحمداه على تلك المنح والهبات، كفضل النبوة والكتاب، وتسخير الشياطين والجن<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 271.

<sup>2</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر السابق، مج 9، ص 105.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 271.

<sup>4</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 127.

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾، التفضيل هو "الإعطاء الزائد على النظراء أو أشباههم، مما يُحمد من ماديات ومعنويات"<sup>1</sup>، وفي هذه العبارة كناية عن تفضيلهما بفضائل غير العلم، والدليل على ذلك قولهما: "على كثير من عباده المؤمنين"؛ والمؤمنون منهم أهل العلم وغيرهم. وكذلك عطف قولهما بحرف (الواو) بدل (الفاء) في (وقالا)؛ لأنه ليس حمدا مجرد الشكر على إيتاء العلم<sup>2</sup>.

وأما في قوله تعالى: ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دون قوله: جميع المؤمنين، فقد نبّه إلى ذلك ابن عاشور بقوله: "وجعلا تفضيلهما على كثير من المؤمنين دون جميع المؤمنين؛ إما لأنهما أرادا بالعباد المؤمنين كل من ثبت له هذا الوصف من الماضين وفيهم موسى وهارون، وكثير من الأفضل والمساوي، وإما لأنهما اقتصدا في العبارة إذ لم يحيطا بمن ناله التفضيل، وإما لأنهما أرادا بالعباد أهل عصرهما فعبرا بـ "كثير من عباده" تواضعا لله"<sup>3</sup>.

وقد نبّه حبنكة الميداني إلى أن في قوله تعالى: ﴿مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ "إشارة إلى أنهما لا ينظران إلى غير المؤمنين، مهما آتاهم الله من عطايا دنيوية، كالفرعنة والأكاسرة، ونحوهم من ملوك الدنيا، فما هما فيه من إيمان ونبوة أجل وأعظم من كل ما لدى ملوك أهل الدنيا من أموال وسلطان في الأرض، ولا يليق بالمؤمن أن يفاضل بين إيمانه وما آتاه الله من خير يجعله سعيدا في آخرته، وبين كل ما في الدنيا مما جعله الله زينة لها ولو اجتمعت لشخص واحد"<sup>4</sup>.

ولقد استدلل العلماء بهذه الآية على أنّ العلم من أشرف النعم وأرفعها رتبة، وأنه من الواجب على المسلم أن يحمد الله ويشكره على هذه النعمة، فنجد الزنخشري أثناء تفسيره لهذه الآية يقول: "وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيها فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ

<sup>1</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص 55.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 233.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 233.

<sup>4</sup> حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 55، 56.

أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿[المجادلة:11]﴾، وما سماهم رسول الله ﷺ «ورثة الأنبياء»<sup>1</sup> إلا لمदानاتهم لهم في الشرف والمنزلة، لأنهم القوام بما بعثوا من أجله، وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم، منها: أن يحمدا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم. وفيها التذكير بالتواضع، وأن يعتقد العالم أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم<sup>2</sup>.

إن الكناية في هذه الآية عبرت باختصار على كل النعم التي أتاها الله سبحانه وتعالى لداود وسليمان عليهما السلام.

### الفرع الثاني: الكناية عن التسبب في الحطم

وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسْكِنِكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿[النمل:18]﴾.

بعد أن جمع لسليمان ﷺ جنده من الجن والإنس والطير وسار به، فلما وصل إلى واد النمل رأت النملة جيش سليمان ﷺ مقبلا عليهم، فنادت النمل محذرة لهم من أن يحطمهم سليمان ﷺ وجنوده وهو لا يشعرون.

ومعنى "الحطم"؛ الكسر، ولقد جاءت هذه الجملة تكريرا للتحذير؛ فقد حذرت النملة في المرة الأولى بني جنسها بقولها: "ادخلوا مساكنكم"، وكررت التحذير بالنهي في هذه الجملة؛ "لأنَّ الْمُحَذَّرَ من شيء مفرع يأتي بجمل متعددة للتحذير من فرط المخافة"<sup>3</sup>.

وهذا النهي في الحقيقة هو كناية عن التسبب في الحطم بإهمال الحذر من جيش سليمان ﷺ، كَمَا يُقَالُ: لَا أَعْرِفُكَ تَفْعَلُ كَذَا، أَيْ لَا تَفْعَلُهُ فَأَعْرِفُكَ بِفِعْلِهِ، وجاء هذا النهي مؤكدا بنون

<sup>1</sup> وهذا الحديث رواه أبو الدرداء ﷺ ونص الحديث: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، ...، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ». أخرجه كل من: أحمد بن حنبل: المسند، ج36، ص45. وابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث: 223. يُنظر: ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط، س ط)، ص39. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث: 3641. وصححه الألباني. يُنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط، س ط)، ص403.

<sup>2</sup> الزخشري: الكشاف، ج4، ص435، 436، 437.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص240.

التوكيد<sup>1</sup>.

وورود اسم سليمان عليه السلام في كلام النملة، يجوز أنّها علمت أنه هو بفضل علم خلقه الله فيها، فعلمت النملة باسمه على سبيل المعجزة وخرق العادة، ويجوز أنّ ذلك كان حكاية بالمعنى لا باللفظ، أي أن النملة حذرت من حطم ذلك المحاذي لواديهما، وحكيت دلالتها بالمعنى<sup>2</sup>.

ولقد وسمت النملة سليمان عليه السلام وجنده بالصلاح والرافة وذلك بقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي أنهم إن أهلكوهم فعن غير قصد منهم، "وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل لكل مخلوق لا فساد منه أجراه الله على نملة ليعلم شرف العدل ولا يحتقر مواضعه، وأنّ وليّ الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء، وظهرت آثاره فيها حتى كأنه معلوم عند ما لا إدراك له"<sup>3</sup>.

الفرع الثالث: مواضع الكناية في قصة بلقيس

أولاً- الكناية عن عظمة ملك بلقيس

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا

عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: 23].

بدأ الهدهد في سرد التّبأ اليقين الذي جاء به سليمان عليه السلام، وتفصيله بعد إجماله، فكان خبره هذا هو عثوره على مملكة سبأ التي تحكمها امرأة؛ هذه المرأة أوتيت من كل شيء يملكه الملوك؛ من الذخائر والقصور والخدم، والعبيد، والجنود، وغير ذلك.

وقد جاء الفعل "أوتيت" مبني للمجهول؛ " إذ لا يتعلّق بتعيين أسباب ما نالته بل المقصود ما نالته على أنّ الوسائل والأسباب شتى، فمنه ما كان إرثاً من الملوك الذين سلفوها، ومنه ما كان كسباً من كسبها واقتنائها، ومنه ما وهبها الله من عقل وحكمة، وما منح بلادها من خصب ووفرة مياه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص240.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص240.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص240، 241.

<sup>4</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص249.

وجاءت عبارة ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾؛ "كناية عن عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع"<sup>1</sup>. فهذه العبارة دلّت دلالة غير مباشرة على عظمة مملكة سبأ، ولخصت كل أسباب القوة التي توقّرت لديها.

ثانياً- الكناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: 25].

وفي هذه الآية إنكار على قوم بلقيس الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل القويم، فسجدوا للشمس من دون الله سبحانه وتعالى؛ الذي يخرج كل شيء مخبوء في السماوات كإنزال المطر، والمخبوء في الأرض كإخراج النبات. والخبء معناه المستور والمخفي، وهو مصدر أطلق على اسم المفعول للمبالغة في الخفاء، وإخراجه معناه إبرازه للناس وإظهاره<sup>2</sup>.

وفي قوله: ﴿ يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ "كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض"<sup>3</sup>.

ثالثاً- الكناية عن المشاورة

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: 32].

بعد أن ألقى الهدهد الكتاب إلى بلقيس، قرأته على قومها، وسمعوا ما احتواه الكتاب، ثم سألتهم بلقيس عن رأيهم اتجاه دعوة سليمان عليه السلام، وأخبرتهم بأنّها لن تتخذ القرار إلا بعد مشاورتها لهم.

ولقد جاءت صيغة ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً ﴾ مؤذنة بأنّ ذلك كان دأبها وعادتها مع قومها،

<sup>1</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 5، ج 19، ص 2638.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 251.

<sup>3</sup> سيد قطب: المصدر نفسه، مج 5، ج 19، ص 2639.

فقد كانت عاقلة حكيمة مستشيرة، غير مستبدة برأيها<sup>1</sup>.

ولفظ "تشهدون" من الفعل (شهد)، و"الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة"<sup>2</sup>.

وعبارة ﴿ حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴾ معناها "حتى تكونوا حاضري مجلسي، وتقدموا ما لديكم من آراء، بشأن الأمر الذي أمضي فيه قرارا يتعلّق بشؤون الدولة"<sup>3</sup>، فهذه العبارة كناية عن المشاورة؛ لأنّ المشاورة يلزمها الحضور غالباً<sup>4</sup>.

كما تدلّ هذه العبارة على "حسن سياستها ورشادها وحكمتها، فإنها استعطفتهم ليعينوها على اتخاذ الرأي الأفضل والأخلص و الأصوب، فأجابوها بإظهار الاستعداد للقتال والحرب والدفاع عن المملكة"<sup>5</sup>.

### المطلب الثالث: مواضع الكناية في الآيات الدالّة على التوحيد

ومن المواضيع التي تناولتها سورة النمل؛ الأدلّة والبراهين على وحدانية الله تعالى، واستحقاقه للعبودية وحده، وفي هذا المطلب نتناول الكنايات التي وردت في هذا الموضوع.

#### الفرع الأول: الكناية عنخلق البحرين

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا

رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ... ﴾ [النمل: 61].

وفي هذه الآية استدلال على وحدانيته تعالى وتفردّه بالخلق، فهو الذي خلق الأرض وجعلها للناس قرارا لا تميد بهم، وجعل خلالها الأنهار، والجبال الثّوابت، وجعل بين البحرين برزخا وحاجزا بين الماء العذب والمالح حتى لا يفسد أحدهما صاحبه، فمن سبّوى الله سبحانه وتعالى خلق وفعل هذه الأشياء فجعلتموه شريكا بعبادتكم إياه، ولكنّ أكثر المشركين لا يدركون ولا يعلمون قدر

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 258.

<sup>2</sup> الراغب: المفردات، مادة (ش ه د)، ص 201.

<sup>3</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص84.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص258.

<sup>5</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص 293.

عظمة الله، ولا يعلمون مقدار الضر الذي سيلحقهم بسبب إشراكهم، ولا مقدار النفع في إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة<sup>1</sup>.

وجاءت عبارة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ كناية عن خلق البحرين؛ "لأنّ الحاجز بينهما يقتضي خلقهما وخلق الملوحة والعدوبة فيهما"<sup>2</sup>.

وهذا الحاجز من بديع صنع الله، فهو حاجز معنوي لا يُرى بالعين المجردة، فهو حاصل من دفع كلا المائين أحدهما للآخر عن الاختلاط به؛ وهذا راجع لتفاوت الثقل النسبي بسبب اختلاف الأجزاء التي يتركب منها الماء العذب والمالح، فهذا الحاجز ناتج من طبيعتهما وليس في وضع جسم آخر ليفصل بينهما<sup>3</sup>، وفي هذا كذلك كناية عن عظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى.

الفرع الثاني: الكناية عن عدم التذكّر

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

وتكملة للأدلة على وحدانيته ﷻ، فهاهو في هذه الآية يورد دليلا آخر وهو إجابة المضطر الذي أحوجته الحاجة للجوء إلى الله ﷻ، وكشف ودفع السوء عن الإنسان، وجعل الإنسان خليفة في الأرض يتصرف فيها كما يشاء، هذه الأشياء التي يتفرد بها الله سبحانه وتعالى، وليس باستطاعة الشركاء الذين تدعون أن يفعلوا هذا، ولكن لا تتذكرون آلاءه ونعمه إلا تذكرا قليلا<sup>4</sup>.

ولفظ "قليلا" كناية عن المعدوم؛ "لأنّ التذكر المقصود معدوم منهم، والكناية بالقليل عن المعدوم مستعملة في كلامهم، وهذه الكناية تلميح وتعريض، أي: إن كنتم تذكرون فإن تذكركم قليل"<sup>5</sup>.

وفي نهاية هذا الفصل نورد ملخصا لما تناولناه:

حيث جاء الحديث في هذا الفصل البيان في السورة، وهو في اللغة يدور حول معنى الكشف والظهور، فبعلم البيان نتمكّن من إيراد المعنى الواحد الذي نريد إيصاله وإفهامه للمتلقّي بطرق

<sup>1</sup> الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج18، ص102.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص288.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص288.

<sup>4</sup> يُنظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج2، ص773.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص290.



مختلفة، وذلك حسب مقتضى حال المتلقي، فعلى المتكلم فقط اختيار الطريقة المناسبة لإلقاء كلامه حتى يفهمه السامعون.

ومن الطرق البيانية التي يستعملها المتكلم؛ التشبيه، ومعناه في اللغة التمثيل، فالذي يستعمل التشبيه من أجل إيصال المعنى يعتمد إلى أمر قريب من المتلقي، بينه وبين الشيء الذي يريد أن يوصله علاقة وصلة فيشبهه به، وهذا من أجل تقريب المعنى للمستمع.

والتشبيه فن أصيل عند العرب، حيث أداروه في معظم كلامهم لما له من تأثير بالغ على النفوس.

وجاءت تشبيهات القرآن في منتهى البلاغة، وغير مُتكَفِّة، مُحمَّلة بمقاصد عظيمة شأنها في ذلك شأن القرآن كله.

إلا أن التشبيه قد ورد في السورة في مواضع قليلة؛ فلم يرد إلا في ثلاثة مواضع فقط. الموضوع الأول حين شبه اهتزاز عصي موسى عليه السلام بالحية الصغيرة، السريعة الحركة؛ فالقرآن شبَّهها بصورة مألوفة لدى العرب ليقرب لهم المعنى.

أما الموضوع الثاني فورد في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، عندما شبَّه العرش المنكر بعرشها عند سؤالها، وهذا من أجل اختبار عقلها - كما قال المفسرون -، وقد كانت إجابتها تدل على رجاحة عقلها، وذلك عندما أجابته بالتشبيه كذلك.

والموضع الأخير جاء في تشبيه مرور الجبال بمرور السحاب الذي لا نحس بمروره إلا بعد أن ينتقل من موضع إلى آخر، فكذلك الجبال التي نراها جامدة، لا ترح مكانها، فهي في الحقيقة تسير ولكن لا نحس بها، وهذه صورة تقريبية للأفهام كذلك.

وينتقل بنا الحديث إلى طريقة أخرى نصوّر بها المعاني وهي المجاز، وهو في اللغة يعني الانتقال من موضع إلى آخر، وأما في اصطلاح البلاغيين هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة بينه وبين المعنى الذي نريد، مع وجود قرينة تصرف عن اللفظ معناه الحقيقي.

ومن أنواع المجاز الواردة في السورة :

المجاز العقلي، ويقع في الإسناد وذلك في موضعين:

الأول: في إسناد فعل التزيين إلى الله سبحانه وتعالى، الذي اعتبره الرنخشري مجازاً، واعتبره

ابن عاشور إسناداً حقيقياً.

والآخر: في إسناد فعل الإبصار للآيات التي جاء بها موسى عليه السلام فرعون وقومه؛ فقد أسند فعل الإبصار للآيات وهو في الحقيقة للناظرين إليها.

والنوع الثاني من المجاز الوارد في السورة الاستعارة والتي تعني في اللغة المداولة لشيء بين اثنين، وتكون في الألفاظ كذلك، حيث نسمي الشيء باسم غيره وذلك لوجود علاقة بينهما وهي المشابهة.

وقد وردت الاستعارة في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وهذا ما نلاحظه في سورة النمل؛ حيث استعار القرآن الكريم عدة ألفاظ للدلالة على المعاني، مثل: استعارة لفظ الإحاطة الذي جاء في كلام الهدهد؛ للدلالة على العلم بذلك الخير والنبأ من جميع جهاته واستيعابه بجميع تفاصيله. كما جاء لفظ السبيل مستعار للدين؛ لأنه الطريق الصحيح الذي يوصل إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

كما وردت ثلاث استعارات لوصف حال المشركين مع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الألفاظ هي: الموتى، والصمم، والعمى، وقد كانت هذه الاستعارات بحق تصوير لحال المشركين النفسية بصور محسوسة.

وآخر الطرق التي تناولناها في بحثنا هذا؛ الكناية، والتي تدل في اللغة على الستر والخفاء، وأما في اصطلاح البلاغيين؛ هي إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه الحقيقي، مع وجود قرينة لا تمنع من إرادة معناه الأصلي، وفي هذا إخفاء وستر للمعنى الذي يريد المتكلم إيصاله للمتلقى. ولقد وردت الكناية في القرآن الكريم في مواضع عديدة، ونذكر بعض ما وقع منها في سورة النمل.

فمن الكنايات الواردة في السورة؛ الكناية عن اصطفاء موسى عليه السلام بالنبوة والرسالة، وكان ذلك في مقدمة قصته مع فرعون وقومه، وكانت هذه الكناية بمثابة التمهيد لموسى عليه السلام. كذلك الكناية عن عظمة ملك بلقيس، وذلك في قوله تعالى: "وأوتيت من كل شيء". وهكذا فإن السورة قد حفلت بعدة طرق للبيان والإفهام؛ كالتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية، وهذا من أجل إيصال المعنى بصورة محسوسة، وإقناع الكافرين بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام، فالسورة مكية، ومن أهم مقاصدها ترسيخ عقيدة التوحيد.

# الفصل الرابع

البديع في سورة النمل

## الفصل الرابع: البديع في سورة النمل

سأطرق في هذا الفصل إلى البديع من محسنات معنوية ولفظية، حيث ستكون دراسة المحسنات المعنوية من خلال دراسة المطابقة، والمقابلة، والمشاكلية، وكذلك الالتفات في آيات سورة النمل (مبحث أول)، كما سأتناول المحسنات اللفظية الواردة في سورة النمل من سجع وجناس (المبحث الثاني). وقبل ذلك أشير إلى مفهوم البديع لغة واصطلاحاً، وأهميته وجمالياته في القرآن الكريم.

فلفظ البديع في اللغة يدور حول معنى الإنشاء، والابتداء، والاختراع، والمُحدث العجيب<sup>1</sup>.  
والبديع: اسم من أسماء الله الحسنى<sup>2</sup>.

ويفرّق الراغب بين الإبداع المنسوب إلى الخلق، والإبداع المنسوب إلى الخالق **وَعَبَّكَ** بقوله: "الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء .. وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلا لله، والبديع يقال للمبدع نحو قوله تعالى: ﴿ **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [البقرة: 117]"<sup>3</sup>.

وهذه المعاني تنتهي إلى أمرين اثنين:

- الجِدَّة التي يدل عليها إنشاء الشيء ابتداءً وعلى غير مثال سابق.

- البراعة والغرابة التي يدل عليها العجيب<sup>4</sup>.

وأما البديع في اصطلاح البلاغيين فقد عرّفه الخطيب القزويني بقوله: "هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"<sup>5</sup>، "بخلوها عن التعقيد المعنوي"<sup>6</sup>.  
ويكون هذا التحسين والتزيين "بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ب د ع)، ج 3، ص 229. والفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (ب د ع)، ص 702. والزبيدي: تاج العروس، مادة (بدع)، ج 20، ص 307.

<sup>2</sup> يُنظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 2، ص 231.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ب د ع)، ص 34.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن أبي الأصبغ، أبو محمد زكي الدين: بديع القرآن، تحقيق: حفي محمد شرف، دار نهضة مصر، مصر، د(ط، س ط)، ج 1، ص 8.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: التلخيص في علوم البلاغة، ص 347.

<sup>6</sup> عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البديع، ص 494.

أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه، لاشتراك اللفظ بينهما، وأمثال ذلك<sup>1</sup>. كما يكون البديع في غاية الحسن إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب<sup>2</sup>، وهذا كسائر علوم البلاغة؛ تكون في غاية البلاغة والحسن إذا اقتضاها المقام، ولم تأت لمجرد تزيين وتنميق الكلام. ويعود الفضل في تأسيس هذا العلم وتحديد مباحثه، والتي كانت قبله مختلطة بمباحث علمي المعاني والبيان إلى عبد الله بن المعتز<sup>3</sup> (ت 296هـ)<sup>4</sup>.

وقد ورد البديع في القرآن الكريم حسب ما يقتضيه المقام، ويناسب النظم؛ حيث: "يتسق ذكر البديع في القرآن الكريم مع غيره من الأساليب التي جاءت في أرفع درجات البلاغة، لذلك نجد أن ما جاء في القرآن منه -أي من البديع- كان أولاً في غاية الحسن، مطبوعاً ليس فيه أثر للصنعة أو الكلفة.. كما جاء كذلك غير منفصل عما يقتضيه النظم، ويتطلبه المقام، أي بدائع القرآن لم تأت منفصلة عن روعة النظم التي عرفناها في علم المعاني، كما لا يأتي منفصلاً عن جمال الصورة التي عرفناها في علم البيان"<sup>5</sup>.

وقد قسم العلماء علم البديع إلى قسمين باعتبار الجهة التي جاء منها الحسن؛ فإذا كان الحسن من جهة اللفظ سموه المحسن اللفظي، وإذا كان من جهة المعنى سموه المحسن المعنوي.

### المبحث الأول: المحسنات المعنوية في سورة النمل

وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويكون تحسين اللفظ تابعاً له، وليس مقصوداً لذاته<sup>6</sup>.

ومن المحسنات المعنوية التي وردت في سورة النمل؛ المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة، والالتفات.

### المطلب الأول: المطابقة في سورة النمل

<sup>1</sup> ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ضبط وشرح: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط(2012م)، 506.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 267.

<sup>3</sup> هو عبد الله بن المعتز بالله محمد الهاشمي، العباسي، البغدادي (247-296هـ)، الأديب، والشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، أولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، من تصانيفه: البديع، طبقات الشعراء، فصول التماثيل، وغيرها. يُنظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 14، ص 42. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 4، ص 1519. والزركلي: الأعلام، ج 4، ص 118.

<sup>4</sup> يُنظر: عبد العزيز عتيق: المصدر السابق، ص 493.

<sup>5</sup> فضل حسن عباس: علم البيان والبديع، ص 311.

<sup>6</sup> يُنظر: عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط(1419هـ، 1999م)، ص 23.

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة وجدنا أن أصل المطابقة هو الجمع على حدّ واحد، فيقال: "طابقت بين الشيئين: جعلتهما على حدو واحد وألزقتهما"<sup>1</sup>.  
وأما في الاصطلاح فالمطابقة هي: الجمع بين المتضادين؛ أي: معنيين متقابلين في الجملة<sup>2</sup>، ويسميه البلاغيون كذلك: الطباق، والتكافؤ، والتضاد<sup>3</sup>.  
وتكمن بلاغة المطابقة وسرها في تداعي المعاني واستثارة الأذهان فما أن يقرأ أو ينطق بأحد المتضادين إلا وقد بدأ العمل الذهني في ذاكرة القارئ أو المتلقي لاستجلاب المتضاد الثاني استجلابه لفظاً ومعنى<sup>4</sup>.

وعلى هذا كلما ظهرت المطابقة أو المقابلة في الكلام بدعوة من المعنى لا تطفلاً عليه، كانت أنجح في أداء دورها المنوط بها في تحسين المعنى<sup>5</sup>.

الفرع الأول: المطابقة في قصتي موسى وسليمان عليهما السلام

أولاً- المطابقة في قصة موسى عليه السلام

1- الطباق بين ﴿وَلَىٰ مُدْبِرًا﴾، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾

يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ ﴿النمل: 10﴾.

وفي هذه الآية أمر من الله ﷻ لموسى عليه السلام بإلقاء العصي، ولكن بعد إلقائها انقلبت حية، وعندما رآها موسى عليه السلام خاف منها وهرب، كيف لا والحق تبارك وتعالى نقلها إلى جنس آخر وهو الحيوانية، وهذه قفزة كبيرة تدعو إلى الدهشة بل والخوف، خاصة وهي ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، أي: تتحرك حركة سريعة هنا وهناك<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج3، ص37.

<sup>2</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص270.

<sup>3</sup> يُنظر: أحمد مطلوب: المصدر نفسه، ص269.

<sup>4</sup> يُنظر: يونس عبد مرزوك: مقال بعنوان: التقابل اللفظي في القرآن الكريم-دراسة دلالية-، ص3. المقال منشور في موقع جامع

الكتب المصورة، الأبحاث والرسائل العلمية، أبحاث قرآنية محكمة، تحت رقم: 15918. الموقع: kt-b.com/?p=2971

<sup>5</sup> يُنظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البدیع، ص508، 509.

<sup>6</sup> يُنظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج17، ص10745.

ويشير أبو السعود إلى أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ "فصيحة تفصيح عن جملة قد خُذفت شقَّةً بظهورها، ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى: ﴿ط﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ﴾ [يوسف: 31]، بعد قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ عَلَيْهِنَّ﴾، كأنه قيل: فألقاها فانقلب تحيةً تسعفاً بصرها فلما أبصرها متحركةً بسرعة واضطراب" <sup>1</sup>.  
 فعندما رأى موسى ﷺ عصاه تهتز كأنها جانّ رجع إلى الخلف، وللتأكيد على شدة توليه ورجوعه إلى الخلف جاء بقوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، أي: ولّى تولياً قويا لا تردد فيه من شدة الخوف <sup>2</sup>.  
 فهذه الآية تُصور لنا حالة الذعر والخوف التي تملكّت موسى ﷺ، وكيف "أدركت موسى ﷺ طبيعته الانفعالية، وأخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال، وجرى بعيداً عن الحياة دون أن يفكر في الرجوع، وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة الشديدة الانفعال" <sup>3</sup>.

ولهذا ناداه ربه ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾، أي: أقبل ولا تخف لأنك بحضرتي، ومن كان فيها فهو آمن ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ <sup>4</sup>.

ففي هذه الآية طباق بين فعلينيين ويُصور حالة موسى ﷺ وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾، و ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

فالطرف الثاني للطباق "ولم يعقب" لتأكيد شدة توليه، أي: ولّى تولياً قويا لا تردد فيه، وكان ذلك التولي منه لتغلب القوة الواهمة التي في جبلة الإنسان على قوة العقل الباعثة على التأمل <sup>5</sup>.

## 2- الطباق بين (حسناً وسوءاً)

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسْتًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: 11].

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 274.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 227.

<sup>3</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 5، ج 19، ص 2629.

<sup>4</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج 2، ج 19، ص 306.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 227.



جاءت هذه الآية بعد نداء الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام وطمأنته، والإعلان له عن طبيعة التكليف الذي سيلقاه وذلك في قوله: ﴿يُمُوسَى لَا يَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾، فموسى عليه السلام قد كلفه الله بحمل الرسالة، والرسول لا يخافون في حضرة ربهم وهم يتلقون التكليف<sup>1</sup>. ثم يأتي الاستثناء في هذه الآية؛ لبيان أن الذي ظلم ثم تاب فإنه يخاف أن يؤاخذ الله على ذنوبه، ويعاقبه عليها، لذلك ذيل الله سبحانه وتعالى كلامه بقوله: ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إن القصد من هذا الاستثناء

"تَسْكِينُ خَاطِرِ مُوسَى وَسَوِّبِشِيرُهُمَا نَالِ اللَّهِ عَفْرَهُمَا كَانْفَرَطَفِيهِ، وَأَنَّهُقَبِلَتْوَبَتَّهُمَمًا فَاهْيَوْمًا لِاعْتِدَاءِ: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴿[القصص:15، 16]، فَأُفْرِغْ هَذَا التَّطْمِينِ لِمُوسَى سَفِيحًا لِبِالْعُمُومِ تَعْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ"<sup>2</sup>.

لقد احتوت هذه الآية على الطباق بين الاسمين (حسنا وسوء)، والحسن: "مصدر حسن، أي: جمل فلا قبح فيه، والمراد الجيء بعمل فيه حسن، وتتفاضل درجات الحسن. من بعد سوء: أي: من بعد عمل فيه سوء، السوء: كل ما هو قبيح، وتتفاوت درجات القبح"<sup>3</sup>. إن الجيء بضدين في هذه الآية قد عبر لنا عن حقيقة التوبة، وهي الإقلاع عن عمل السوء، والتوجه إلى الله بالعمل الحسن، فتبدل تلك السيئات بالحسنات.

### 3- الطباق بين (أدخل و تخرج)

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَيَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي سَعِءٍ أَيْتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل:12].

وهذه آية ثانية بعد آية انقلاب العصا إلى ثعبان؛ حيث أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بإدخال يده في جيب قميصه فتخرج بيضاء من غير سوء، وكل هذا من أجل أن يطمئن قلبه بالتأييد عند لقاء فرعون<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: سيد قطب: المصدر السابق، مج5، ج19، ص2629.

<sup>2</sup> بن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص228.

<sup>3</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص44.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص230.

جاء طرفا الطباق بالصيغة الفعلية، وبمجرد قراءة فعل الأمر "أدخل" يبدأ الذهن في التساؤل عن سبب هذا الأمر، فيأتي الفعل "تخرج" ليبين المعجزة الأخرى لموسى عليه السلام، فجاء هذا الطباق ليبين هذه المعجزة.

ثانياً-المطابقة في قصة سليمان عليه السلام

ننتقل الآن إلى قصة سليمان عليه السلام.

### 1- الطباق بين (أحطت ولم تحط)

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:22].

وهذه الآية جاءت بعد أن تفقد سليمان عليه السلام جنوده، وتنبه إلى غياب الهدهد بدون إذن، فتوعده بالعذاب والذبح إذا لم يأت به بحجة بيّنة، ولقد كانت مدة غياب الهدهد قصيرة وبعدها رجع، وبلغه تهديد سليمان عليه السلام، عندها جاء إليه ليبرر غيابه.

والفاء في قوله: "فقال" عاطفة على قوله: "فمكث"، وهي تفيد التعقيب، والتعقيب في هذه الآية حقيقي كما قال ابن عاشور؛ لأنه بمجرد وصوله صدر القول منه<sup>1</sup>.

ولما جاء الهدهد بادر سليمان عليه السلام بقوله: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ

سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾، وهذا ينم على ذكاء وفطنة الهدهد، فهو يعرف شدة وحزم سليمان عليه السلام، فبدأ حديثه بمفاجأته لضمان إصغائه؛ فأبى ملك لا يستمع وينصت وينتبه وأحد رعاياه يقول له هذا الكلام، وبعد أن ضمن استماع الملك شرع في تفصيل النبأ اليقين الذي جاء به<sup>2</sup>.

إنّ خوف الهدهد من العقاب منحه الجرأة والشجاعة لتحدي سليمان عليه السلام بأنه أحاط بما لم يحط به، وهذا جلب انتباهه، ومنحه الوقت الكافي للاستماع إليه قبل مباشرة العقاب.

والملاحظ في هذه الآية ورود طباق بين "أحطت" و "لم تحط"، ويسمونه طباق السلب<sup>3</sup>، حيث جاء طرف الطباق الأول مثبت والثاني منفي ب "لم".

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص245.

<sup>2</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2638.

<sup>3</sup> وطباق السلب: هو ما كان فيه أحد طرفي المطابقة مثبتاً والآخر منفيًا. يُنظر: عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن،

والإحاطة في اللغة من (حوط) ومنه الحائط، وهو الجدار الذي يحوط بالمكان، وتستعمل الإحاطة بمعنيين؛ أحدهما في الأجسام، نحو: أحطت بالمكان، والثاني في العلم<sup>1</sup>؛ "بمعنى العلم بالشيء علماً شاملاً كل نواحيه وجوانبه، فيقال: أحاط بالشيء أو بالأمر علماً، أي: أدركه على وجه الإحاطة"<sup>2</sup>.

إن قول الهدهد: "لم تحط" قد زاد من أهمية الخبر لدى سليمان عليه السلام مما لو اكتفى بقوله: "أحطت"، فبذلك الضد استجلب سمع سليمان عليه السلام، وأعطى قيمة للخبر الذي جاء به من سبأ.

2- الطباق بين (يخفون ويعلنون)

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25].

شرح الهدهد في سرد أخبار مملكة سبأ على سليمان عليه السلام، بأنها مملكة تحكمها امرأة، وهذه المرأة قد توفرت لديها أسباب القوة؛ فقد أوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم، ولكن هذه الملكة وقومها لا يسجدون لله وَجَلَّ وَجْهَهُ واهب هذه النعم، وإنما يسجدون للشمس، "وهنا يعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير"<sup>3</sup>.

وفي "ألا" قراءتان؛ بالتشديد والتخفيف، فبالتشديد على اعتبار أنها "مكونة من أن، لا، وعند إدغامهما ثقل بالنون لا ما فتصير:

وزنئلهما الشيطان أعمالهم، لماذا؟ ألا يسجدوا، فهنا حرف جر محذوف كما تقول:

عجبئنا نيقدمعلينا فلان، أو عجبئنا نيقدمعلينا فلان. وفي قراءة أخرى: (ألا) للحث والخص<sup>4</sup>.

ويكون المراد من هذه الآية \_ حسب القراءة الأولى \_ أن الشيطان صدهم عن عبادة الله، الذي يخرج أسرار ومكنونات السماوات والأرض من مطر ونبات، كما يعلم ما يخفي الناس وما يعلنون.

<sup>1</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (ح و ط)، ص 104.

<sup>2</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 73.

<sup>3</sup> سيد قطب: المصدر السابق، مج 5، ج 19، ص 2638.

<sup>4</sup> الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10773.

وفي هذه الآية طباق جمع بين متضادين وهما: "يخفون" و "يعلنون"، وقد جاء لفظ "يعلنون"؛ "التوسيع دائرة العلم، أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهي"<sup>1</sup>، "وهو طباق يسوي بين الظاهر والباطن، فعلم الله سبحانه وتعالى مطلق وليس محدودا، وأنه ما كان ينبغي أن تغيب هذه الحقيقة على من تأمل قدرة الله سبحانه وتعالى"<sup>2</sup>.

### 3- الطباق بين (أصدقت و الكاذبين)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النمل: 27].

وهذا قول سليمان عليه السلام للهدهد لما جاءه بتلك الأنباء، وهذه الجملة استئنافية، وقعت جوابا عن سؤال نشأ بعد حكاية كلام الهدهد، وهو ماذا فعل سليمان عليه السلام بعد سماعه لذلك الكلام، فقيل: "قال سننظر .."، أي: سنعرف أصدقت في الأخبار التي جئت بها أم كذبت، "والنظر محلُّ العين، لكنها يُعرف بالصدق والكذب بالعين؟ لا، فالكلمة انتقلت من النظر بالعين إلى العلم بالحجة، فهيمعنعن علم، ونقول: هذا الأمر فيه نظريعي: يحتاج إلى دراسة وتمحيص"<sup>3</sup>.

كما يشير أبو السعود إلى أن مقتضى الظاهر أن يقال: أم كذبت، والعدول إلى هذا النظم الكريم؛ للإيدان بأنكذبته في هذا الأنباء يجعله من الراسخين في الكذب<sup>4</sup>، خاصة مع إقحام فعل "كنت"؛ لأن "كنت من الكاذبين" يفيد الرسوخ في الوصف<sup>5</sup>.

ويرجع شكُّ سليمان عليه السلام في كلام الهدهد، ووصفه بذلك النظم إلى ثلاثة أسباب كما بيَّنه المفسرون:

**الأول:** إنَّ وصف الهدهد لمملكة سبأ وملكتها بلقيس بتلك الأوصاف العظيمة جعله يشكُّ في ذلك؛ لأنه كان يظن أن مملكته هي أعظم مملكة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص282.

<sup>2</sup> دخيل الله بن محمد الصحفي: سورة هود عليه السلام (دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة، فرع البلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية (1413هـ، 1993م)، ص 281.

<sup>3</sup> الشعراوي: المصدر السابق، مج17، ص10774.

<sup>4</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر نفسه، ج6، ص282.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص252.

<sup>6</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ج19، ص310.

الثاني: إنَّ سرد تلك الأقاويل الملققة، وبذلك الترتيب الأنيق الذي يستميل قلوب السامعين نحو قبولها، وأمام نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن كانت له قدم راسخة في الكذب<sup>1</sup>.  
والثالث: لقد توعد سليمان عليه السلام الهدهد بالعذاب إذا لم يأت به بسبب وجيه لغيابه، وهذا ادعى لكذب الهدهد ليتخلص من العقاب. كما أن في هذا الكلام إيذان بالتوبيخ والتهديد لتأديبه على فعلته، وحرصه كذلك على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الذي أرسله معه سليمان عليه السلام إلى بلقيس وقومها<sup>2</sup>.

لقد جاء الطباق في هذه الآية بين قوله: "صدقت"، وقوله: "الكاذبين"، والملاحظ على طرفي هذا الطباق هو محيي الطرف الأول بصيغة الفعل، والثاني بصيغة اسم الفاعل. ولقد أفاد هذا الطباق بمتضاديه شك سليمان عليه السلام في كلام الهدهد، وتوبيخه على غيابه غير المبرر.

#### 4- الطباق بين (أعزة وأذلة)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:34].

بعد أن بعث سليمان عليه السلام بالكتاب إلى بلقيس وقومها مع الهدهد، حيث حذرهما من أن تحاول الترفع على الخضوع إليه والطاعة له كما هي عادة الملوك، وأمرها بالخضوع والانقياد والاستسلام له.

قرأت بلقيس الكتاب، ثم سألت قومها إبداء رأيهم في عملها اتجاه دعوة سليمان<sup>3</sup>، فأجابوها بأنهم أصحاب قوة جسدية وعددية، وأولوا شجاعة وبأس وثبات في الحروب، ثم فوضوا إليها الأمر، بما يشعر بإظهار طاعتهم لها<sup>4</sup>.

وبعد أن فوضوا الأمر إليها أخبرتهم بأن عادة الملوك إذا استولوا على بلدة عنوة وقهرها فإنهم يخربوها، ويهينوا أشرافها ويدلونهم بالقتل والأسر والتشريد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص282.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص252.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص257.

<sup>4</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص293.

<sup>5</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: المصدر السابق، مج2، ج19، ص311، 312.

ولقد جاء الطباق في هذه الآية بضديه: "أعزة" و "أذلة" ليعطي صورة واضحة على ما يفعله الملوك بالممالك التي يدخلونها قهرا، وما تفعله الدول المستعمرة بالشعوب التي تحتلها، وكأنها تصف حالتهم بعد أن يدخل عليهم سليمان عليه السلام، وتصف ما لهم ومستقبلهم.

### 5- الطباق بين (الشكر والكفر)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 40].

طلب سليمان عليه السلام من ملئه أن يأتوه بعرش بلقيس قبل وصولها، وعندما رأى العرش حاضرا مستقرا عنده في لمح البصر اعترف بأن هذا النصر والتمكين هو فضل من الله سبحانه وتعالى لينتخبه أيشكر أم يكفر<sup>1</sup>، ولذلك لم يشغل سليمان عليه السلام بعد إحضار العرش بالابتهاج بسلطانه، ولا بمقدرة رجاله، وإنما شكر الله تعالى على ما منحه من معجزات، وجنود مسخرين بالعلم والقوة، فتلك المزايا والأفضال كلها راجعة إلى تفضيل الله عز وجل له<sup>2</sup>.

والشكر في اللغة: "تصوّر النعمة وإظهارها، قيل وهو مقلوب عن الكشر أي الكشف، ويضادّه الكفر وهو نسيان النعمة وسترها"<sup>3</sup>.

فسليمان عليه السلام قد اعترف بنعم الله عز وجل وأظهرها، ولم يكفرها ويسترها، ويدعي أنّ الذي حصل معه هو بفضل ماله من سلطان.

بل ويضرب عليه السلام حكمة خلقية دينية وهي: أنّ نفع الشكر يعود على الشاكر نفسه، وأما كفر الكافر فلن يضر الله شيئا، بل هو سبحانه وتعالى غني عن شكر الشاكرين، كريم في إمهاله ورزقه في هذه الدنيا حتى على الذين كفروا نعمته<sup>4</sup>.

ويشير ابن عاشور إلى أن اللام في قوله: "لنفسه" هي لام الأجل، أي: لأجل نفسه، وليست اللام التي يُعدى بها فعل الشكر في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَشْكُرُوا لِي ﴾ [البقرة: 152]<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج19، ص303.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص265.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ش ك ر)، ص199.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص265.



وجاء النظم القرآني في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، دون أن يقول: فإنه غني كريم، وذلك بالعدول عن الإضمار إلى الإظهار؛ من أجل "تأكيد الاعتراف بتمحّض الفضل المستفاد من قوله: فضل ربي" <sup>2</sup>.

ولقد وردت المطابقة في هذه الآية مرتين؛ وذلك بالجمع بين الشكر والكفر، حيث ورد في الأولى الفعلان مسندين إلى ضمير المتكلم، وفي الثانية مسندين إلى ضمير الغائب. وجاء هذا الطباق ليصور لنا حال الإنسان اتجاه نعم ربه وأفضاله؛ فهناك الشاكر وهناك الكافر، وأن نفع الشكر يعود على الشاكر وليس على الله سبحانه وتعالى، فهو غني كريم.

**6- طباق السلبين (تهتدي ولا يهتدون)**

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرُؤًا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 41].

وهذا القول صدر من سليمان عليه السلام بعدما أحضر له عرش بلقيس، وراه ثابتاً أمامه، فأمر أهل المقدرة من ملئه بأن يغيّروا في حالة العرش؛ لينظر أتهتدي بلقيس إلى معرفته أم لا. وهذا التنكير يكون بتغيير المعالم والهئية التي تميّز العرش؛ وكان هذا اختبار من سليمان عليه السلام لذكائها وفطنتها في أثناء مفاجأتها بعرشها <sup>3</sup>.

ولقد جاء التعبير بـ ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ بدل: لا تهتدي أبلغ في انتفاء الاهتداء <sup>4</sup>.

ولفظ الاهتداء في هذه الآية قد يكون بمعنى الاهتداء إلى معرفة العرش، أو إلى الإيمان بالله ورسوله؛ وذلك عند رؤية هذه المعجزة، وهي إحضار العرش من مسافة طويلة في مدة قصيرة، وقد خلفته وراءها مغلقة عليه الأبواب وتحت الحراسة <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 265.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 266.

<sup>3</sup> يُنظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 5، ج 19، ص 2642.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 266.

<sup>5</sup> ويستبعد هذا الرأي أبو السعود بقوله: "ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك ممّا لا دخل فيه للتنكير". أبو

السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 287، 288.



والمطابقة في هذه الآية بين الضدين: "تتهدي" و "لا يهتدون"، وهذا من طباق السلب؛ فالطرف الأول مثبت والثاني منفي، وجاء هذا الطباق ليبين لنا ذكاء الملكة بلقيس وفطنتها، وذلك حسب الرد الذي سيصدر منها عند رؤيتها العرش.

### 7- الطباق بين (مسلمين وكافرين)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشِي قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ، وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [النمل: 43].

لَمَّا خضعت بلقيس لطلب سليمان عليه السلام وجاءت إليه سألها هل يشبه هذا العرش الذي تراه عرشها الذي تركته في مملكتها، فقالت له: ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾، أي: يشبهه. عندئذ ذكر سليمان عليه السلام وملؤه فضل تقدمهم وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام على بلقيس التي صدّها عن الإسلام عبادتها للشمس؛ لأنها نشأت بين ظهراي الكفرة<sup>1</sup>.

وذكر فعل الكون في قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ للدلالة على تمكنهم من الإسلام منذ القدم، وأما في إقحام فعل الكون في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ للدلالة على تمكنها من عبادة الشمس؛ وذلك التمكن كان بسبب انحدارها من سلالة الكافرين، فالكفر منطبق في نفسها بالوراثة، فأحاط بها وتغلغل في نفسها فكيف يخلص إليها الإيمان والهدى؟<sup>2</sup>.

ونلاحظ في هذه الآية اعتذارا جميلا عن تأخر إسلام بلقيس؛ وذلك بسبب تأثرها بالبيئة والعقيدة السائدة في مملكتها، فقد منعتها عبادة الشمس عن عبادة الله الواحد الأحد<sup>3</sup>.

والطباق في الآيتين بين الضدين "مسلمين" و "كافرين"؛ جاء ليبين أن الأفضلية في الحقيقة تكون في الإيمان بالله والعلم به؛ فرغم أن بلقيس لها ما لها من عظمة الملك، إلا أن كونها من قوم كافرين جعلها متأخرة عن سليمان عليه السلام؛ الذي أوتي العلم وكان من المسلمين.

### الفرع الثاني: المطابقة في قصتي صالح ولوط عليهما السلام

<sup>1</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 457.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 266، 267.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19، ص 308.

أولاً- المطابقة في قصة صالح عليه السلام

### 1- الطباق بين (السيئة والحسنة)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: 46].

وينتقل القرآن الكريم إلى عرض قصة صالح عليه السلام مع قومه، ولكنه عرض إلى الأحداث الأخيرة، بعد مسيرة طويلة من دعوة صالح عليه السلام، وإنذارهم بعقاب مهلك لهم إهلاكاً جماعياً فيه إبادة لكفارهم؛ إلا أن الإمهال الطويل لهم - وهذا من سنة الله حتى يقطع كل أعذارهم - جعلهم يظنون أن صالحاً لا يملك من ربه تحقيق ما ينذرهم به<sup>1</sup>.

ومعنى الاستعجال هو "طلب تعجيل الأمر الموعود به قبل أوانه، أو طلب تحقيق الشيء قبل الوقت الذي قضت سنة الله الحكيمة بتحقيقه فيه"<sup>2</sup>.

والسيئة هي "كل ما يُعْمَ الإنسان من أمور الدارين، ومن الأحوال النفسية والبدئية والخارجية: من فوات مال، وفقد حميم،...، والسّيئة: الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة"<sup>3</sup>.

وأما الحسنة فهي "كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله"<sup>4</sup>.

فلفظ "السيئة" في الآية كما قال المفسرون معناها: العقوبة السيئة، فهذا ما استعجله قوم ثمود بعد أن بلغوا حداً كبيراً من المكابرة والعتوّ والعداوة لرسولهم صالح عليه السلام وذلك حين قالوا:

﴿ فَأَيْنَمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: 70].

وأما لفظ الحسنة في هذه الآية فمعناه التوبة<sup>5</sup>؛ ذلك أن قوم صالح استبعدوا حصول العقوبة،

فإن وقعت تابوا حينئذ واستغفروا، وإن لم تقع بقوا على ما هم عليه، ثم حضّهم صالح عليه السلام على ما

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص106.

<sup>2</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص107.

<sup>3</sup> الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج3، ص288.

<sup>4</sup> الفيروزآبادي: المصدر نفسه، ج2، ص464.

<sup>5</sup> وقيل: المراد بلفظ السيئة: الحالة السيئة في معاملتهم إياه بتكذيبهم إياه، وأما الحسنة فالمراد منها ضد ذلك، أي تصديقهم لما جاء

به، ولكن أكثر المفسرين على الرأي الأول. يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص272.

فيه من درء السيئة عنهم، وهو التوبة إلى الله واستغفاره مما بدر منهم من الكفر لعل الله يرحمهم<sup>1</sup> بقبول التوبة إذ لا مكان لقبولها عند نزول العقاب عليهم<sup>2</sup>.

والطباق في هذه الآية بين لفظي "السيئة" و"الحسنة"، وهو طباق بين اسمين عن طريق الإيجاب؛ لأن المعنيين المتضادين مثبتان معاً، وقد أبرز هذا الطباق بضديه خطأ قوم ثمود وجهلهم في استعجال العقوبة وتأخير التوبة.

وأما في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَأْمُنُونَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 89، 90].

فالتباق في هذه الآية لبيّن الفرق بين فاعل الخير وفاعل الشر، وجزاء كل واحد منهما في الآخرة، كما يبين سعة فضل الله سبحانه وتعالى وعدله، فمن جاء بالحسنة فله خير منها كما يأمن من الفزع يوم القيامة وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى، أما من جاء بالسيئة فجزاؤه النار، ولا يجزى إلا بما عمل وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى.

## 2- الطباق بين (يفسدون ويصلحون)

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: 48].

والكلام في هذه الآية عن مدينة الحجر، حيث كان فيها تسعة رجال يفسدون فيها ولا يصلحون، "فكانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح، وهم الذين تواطؤوا على عقر الناقة وعلى قتل صالح ومن آمن به"<sup>3</sup>.

ولما كانت عبارة ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا تنفي أنهم قد يصلحون أحياناً، جاءت عبارة ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ لتدلّ على أنهم تمحضوا للفساد، ولم يكونوا من الذين خلطوا إفساداً بإصلاح<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص459.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص290.

<sup>3</sup> وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج19، ص319.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص274. وحنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج9، ص111.

والطباق في هذه الآية بين الضدين "يفسدون" و "يصلحون" أفاد المبالغة في الإفسادالذي كان يقوم به هؤلاء الرهط، والمبالغة في نفي الصلاح والإصلاح عنهم.

ثانياً-المطابقة في قصة لوط عليه السلام

وهو طباق بين لفظي (الرجال والنساء)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ [النمل: 54، 55].

وتنتقل بنا السورة إلى قصة أخرى وهي قصة لوط عليه السلام مع قومه، حيث أنكر عليهم فعل الفاحشة وهم يعلمون أنها فاحشة، أو أنهم كانوا يفعلونها في ناديهم علنا، لا يتستر بعضهم من بعض مجانة<sup>1</sup>.

ويطلق لفظ الفاحشة على "كل قبيح تجاوز حد ما يُحتمل من ممارسات شنيعة في معاصي الناس، وتجمع على فواحش، وجاء في القرآن تخصيص هذه المادة اللغوية بكبائر الذنوب المتعلقة بشهوات الفروج، في معظم النصوص صراحة، والمراد هنا بالفاحشة في هذا النص إتيان الذكور شهوة من دون النساء في أديبارهم"<sup>2</sup>.

والاستفهام في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ استفهام إنكاري، وربما كان التوبيخ بمثل هذا اللفظ أبلغ<sup>3</sup>.

وجيء بلفظ ﴿شَهْوَةً﴾ في الآية للدلالة على قبحه، وكذلك للتنبية على أن الحكمة في

إتيان النساء طلب النسل لا قضاء الوطر<sup>4</sup>.

وأما أصل الجهل فمأخوذ من قول العرب: جهلت القدر تجهل جهلا، أي: اشتد غليانها. كما يطلق لفظ الجهل على الجفاء والتسافه، وعدم العلم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: النسفي، عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1415هـ، 1995م)، مج2، ص243.

<sup>2</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص118، 119.

<sup>3</sup> يُنظر: الرازي: مفاتيح الغيب، مج12، ج24، ص205.

<sup>4</sup> يُنظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج2، ص772.

وكل هذه المعاني يحتملها لفظ الجهل في هذه الآية؛ فعلى معنى عدم العلم يكون معنى الآية: لا تعلمون عاقبة ما أنتم عليه، أو تفعلون فعل السفهاء الجحّان، أو تفعلون فعل من لا يعلم أنها معصية عظيمة مع العلم بذلك وهذا أعظم<sup>2</sup>.

وأما احتمال لفظ الجهل للمعنيين الأولين فيدلّ "على أنهم يضيفون إلى ممارساتهم قبيحتهم الشاذة غليانا غضبيا ضد من ينكر عليهم، ويضيفون أيضا جفاء وتسافها وشتائم يوجهونها له، أو يوجهونها لمن يحبون أن يمارسوا فاحشتهم، وهو يأبى لأنه لم يعتدها وليس من أهلها، فيغتصبونه اغتصابا جماعيا، فهم بهذا يجهلون بتكرار آنا فآنا، وتتفاقم الجهالات الصادات عنهم شدة وضعفا"<sup>3</sup>.

ولقد أفاد الطباقي في هذه الآية بين الضدين "الرجال" و"النساء"، بثنائيته الضدية تقبيح وتشنيع فعلتهم، حيث أن هذا الفعل يقع على النساء وليس على الرجال، وهذا الفعل تأباه الفطرة السليمة.

### الفرع الثالث: المطابقة في آيات المناظرة الجدلية للمشركين

أولا- الطباقي بين (يبدأ ويعيد)

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَكَأُوْبْرَهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: 64].

وهذا استدلال آخر على وحدانيته تعالى موجه للمشركين الذين ينكرون البعث، فاستدلّ هنا ببداية الخلق على إمكانية إعادته.

ومسألة الخلق لا يستطيعون إنكارها، فقد صرح الله سبحانه وتعالى في غير موضع بإقرارهم

بأن الذي خلق الخلق الأول من العدم هو الله سبحانه وتعالى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ<sup>ط</sup>﴾ [الزخرف: 87]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص119.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج7، ص83.

<sup>3</sup> حبكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص119.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴿[لقمان: 25]؛ لأنهم لا يستطيعون إنكارها، وإن أنكروا طُلب منهم أن يعينوا هذا الخالق، وأن يرينا شيئاً جديداً من خلقه<sup>1</sup>.

إن التسليم بأنّ الله تعالى هو الذي بدأ الخلق يلجئهم إلى فهم إمكانية إعادة الخلق التي أحوالها<sup>2</sup>؛ لأنّ "القادر على بدء الخلق المشاهد بتكرار، لا بد أن يكون قادراً على إعادة ما كان قد خلق بعد إفناؤه له، والبرهان العقلي في هذا كافٍ لإثبات هذه الحقيقة، فجاء في السؤال التعليمي قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ توطئة لما سيأتي من إقناع، حول نبأ الآخرة الذي يجحده الذين كفروا لمجرد الاستبعاد والاستغراب<sup>3</sup>.

والطباق في هذه الآية بين "يبدأ" و "يعيد" -بعد الإفناء-، وهو طباق إيجاب؛ لأن كلا الطرفين مثبت، وقد دلّ هذا الطباق على منتهى القدرة لله ﷻ، فله القدرة على خلق هذا الكون بما فيه، وقادر على إفناؤه ثم إعادته من جديد.

ثانياً- الطباق بين (السماء والأرض)

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [النمل: 64].

وتتابع الأدلة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ولكن هذه المرة استدلالاً بالرزق، فهو الخالق وهو الرازق، وهذا الرزق يأتي "بأسباب سماوية وأرضية قد رتبها على ترتيب بديع تفتضيه الحكمة التي عليها بُني أمر التكوين"<sup>4</sup>.

وقد أُعيد الاستفهام بعد العطف في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ "لأنّ الرزق مُقَارَنٌ لبدء الخلق فلو عُطف على إعادة الخلق لَتَوَهَّمْنَا أنه يرزق الخلق بعد الإعادة فيحسبوا أن رزقهم في الدنيا من نعم آلهتهم"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10827.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 292.

<sup>3</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 143.

<sup>4</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 296.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 292.

والطباق في هذه الآية بين الضدين "السماء" و "الأرض"، طباق إيجاب؛ لأن الطرفين مشبتان، وهو يدل على تمام قدرته وَعَلَمَ؛ فهو قادر على أن ينزل الرزق من السماء كما يخرجها من الأرض.

وقد ورد هذا الطباق في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:66]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل:75].

والطباق في الآيتين جاء كذلك ليثبت علم الله اللامتناهي، فلا يوجد أحد في السماوات والأرض يعلم الغيب إلا الله، وما من خافية فيهما إلا وهي مسطورة عنده في اللوح المحفوظ.<sup>1</sup>

ثالثا- الطباق بين (تُكَنّ ويعلمون)

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل:74].  
والكنّ في اللغة معناه الستر والحفاء، فيقال: كُنَّ الشيءَ يَكُنُّهُ كَنًّا وَكُنُونًا وَأَكْنَهُ وَكُنْنَهُ: سَتَرَهُ.<sup>2</sup>

ففي هذه الآية يجبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه يعلم ما يستره الناس في صدورهم وما يقولونه علناً، ومن جملتهم الكافرون في عهد الرسول ﷺ الذين أنكروا البعث واستبعدوه، وجعلوا خبر البعث من أساطير الأولين، وأن تأخير العذاب عنهم ليس لحفاء حالهم ولكن له وقت مُقَدَّر حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إن الناظر في الآيات التي تحتوي على الطباق الكوني (السماوات والأرض) وذلك في القرآن كله يلاحظ تقدم لفظ "السماوات" على لفظ "الأرض"؛ ولعل السبب في ذلك راجع إلى "سعتها وعظمتها وما فيها من كواكبها، وشمسها وقمرها، وبروجها وعلوها، واستغنائها عن عمد تفلها، أو علاقة ترفعها، إلى غير ذلك من عجائبها، التي الأرض وما فيها كقطرة في سعتها، ولهذا أمر سبحانه أن يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة، ويتأمل استواءها، واتساقها، وبراءتها من الخلل والفتور، فالآية فيها أعظم من الأرض".  
عبد الفتاح لاشين: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1402هـ، 1982م)، ص109.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ك ن ن)، ج44، ص3942.

<sup>3</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص299.



وفي هذه الآية كذلك إشارة إلى أنّ الكافرين في عهد رسول الله ﷺ كانوا "يكونون أشياء للنبي ﷺ وللمؤمنين، منها: أنهم يتربصون بهم الدوائر، وأنهم تُخامر نفوسهم خواطرٌ إخراجة وإخراج المؤمنين"<sup>1</sup>.

ويشير الشعراوي<sup>2</sup> إلى فائدة إضافة "وما يعلنون" بقوله: "ولكأن تقول في هذه الآية: إذا كان الله تعالى يعلم ما تُكن صدورهم وما تخفيه، فمن باباً وليس يعلم ما يعلنون، فلماذا قال بعدها: ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: 74]؟

نقول: لأنما في الصدور غيبٌ لله غيب، وقد يقول قائل: مادام أن الله غيب فلا يعلم إلا الغيب. فردّ عليها بأن الله تعالى يعلم الغيب ويعلم العن<sup>3</sup>، وهذه الإضافة يتبين كذلك "استقصاء ما يعلمه الله من أمور الناس وأحوالهم، ولدفع توهم أن الله يعلم ما تكنه صدور الناس ولا يعبأ بما يعلنون"<sup>4</sup>. إنَّ الطباق في هذه الآية بين "تكن" و "يعلنون" قد قدّم لنا وصف لمنتهى علم الله تعالى، وإحاطته بعلم كل شيء؛ الظاهر منه والباطن.

رابعا- الطباق بين: (العمي ومسلمون)

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [النمل: 81].

جاءت هذه الآية في سياق أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بالتوكل عليه، والثقة بصدق وعده في نصره؛ لأنه على الحق، وهم على الباطل، حيث أخبره في هذه الآية بأنه غير قادر على هدايتهم وصرفهم عن الضلال الذي هم فيه، إنما يسمع دعوته من آمن بالآيات من المسلمين.

ولفظ "الهدى" في اللغة بمعنى الرشاد وهو ضد الضلال، ويقال: "الهدى ضد الضلال وهو الرشاد، وهداه للطريق وإلى الطريق هدايةً وهداه يهديه هدايةً إذا دلّه على الطريق. وهدّيته الطريق والبيت هداية أي عرفته"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 301.

<sup>2</sup> هو محمد متولي الشعراوي (ت 1419هـ، 1998م)، مصري، كان عالماً، ووزيراً للأوقاف بمصر، يُعدّ من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث، ألف العديد من الكتب، نذكر منها: تفسير القرآن الكريم المسمى (خواطر الشعراوي)، الآيات الكونية ودلالاتها على وجود الله تعالى، الإسلام والفكر المعاصر. يُنظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

<sup>3</sup> الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10841.

<sup>4</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 168.

وقوله: "العمي" فيقصد به المشركين؛ شُبِّهوا بالعمي لإعراضهم عن الحقّ، وهذا بعد أن شبههم في الآية التي قبلها بالموتى وبالصمّ على طريق الاستعارة؛ وهذا إطنابا في تشنيع حالهم الموصوفة كما هو معروف عند البلغاء في تكرير التشبيه<sup>2</sup>.

وأما لفظ الضلال فمعناه: "العدول عن الطريق المستقيم وبيضاده الهداية، .. ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا، يسيرا كان أو كثيرا"<sup>3</sup>.

أي أن الله سبحانه وتعالى يخبر رسوله الكريم بأنه لا يستطيع إرشاد المشركين الضائعين في متاهات الشر والباطل؛ بسبب إعراضهم الإرادي عن الحق، وعن الآيات الدالة عليه<sup>4</sup> إلى طريق الهداية والرشاد، وإنما يُسمع من لديه استعداد لقبول الحقّ، فهو يصدق بالآيات التي جاءته وبالأدلة والبراهين التي وصلته، أولئك هم الذين يسمعون ما تقول ويتدبرونه، ويعملون به، فأولئك هم المسلمون<sup>5</sup>.

وهذا طباق معنوي ظاهر؛ طرفه الأول "العمي"، وهو لا يشكل طرف طباق مباشر مع لفظ "مسلمون"، إلا أن لفظ "العمي" مستعار، وهو تشبيه للمشركين الذين ضلوا الطريق الصحيح، فالطباق في هذه الآية بيّن لنا كيفية تلقي الدعوة من الرسول ﷺ بين مصدق متبع لطريق الهدى، ومكذب ضل طريقه كالأعمى.

#### خامسا- الطباق بين (اهتدى وضلّ)

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ فَمِنْ أهدَىٰ فإِنَّمَا يَهتدىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: 92].

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (ه د ي)، ج 51، ص 4639.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 307.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ض ل)، ص 223.

<sup>4</sup> يُنظر: حنكة الميداني: المصدر السابق، مج 9، ص 180.

<sup>5</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 18، ص 119.

أمر الرسول ﷺ في هذه الآية بتلاوة القرآن والمواظبة على ذلك وتدبره وفهم ما جاء فيه، وقد يكون معنى الآية تلاوته على الناس وتكرير الدعوة والتنبيه على كفايته في هدايتهم من غير حاجة إلى معجزة أخرى<sup>1</sup>.

وجاء الفعل "أتلو" بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار، أي أن الرسول ﷺ أمر بالمواظبة على تلاوته وتكراره.

وبعد تلاوة القرآن وسماعه فمن اهتدى باتباع ما جاء فيه من توحيد لله ونفي الأنداد عنه فممنفعة ذلك تعود إليه، وأما من ضل عن الطريق ولم يتبع ما جاء فيه فإن الرسول ﷺ منذر ومبلغ فقط<sup>2</sup>.

وإقحام فعل "فقل" من أجل التأكيد على أن دور الرسول ﷺ هو تبليغ الإنذار، فلا يطمعوا في أن يلح عليهم قبول دعوته<sup>3</sup>.

ويُفهم من عبارة "فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ" على أن ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ فإنما يضل جانبا على نفسه، وجالبا الضرر والعذاب لها، دون أن يشاركه أحد في عذابه، إلا من ضلّ مثل ضلاله باختياره الحر<sup>4</sup>.

ورد الطباق في هذه الآية بثنائيتها الفعلية "اهتدى" و "ضل"؛ فالهداية معناها الرشاد ومعرفة الطريق الصحيح، وأما الضلال فهو العدول عن الطريق الصحيح، فالطباق قد بيّن القول الفصل اتجاه الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ.

### المطلب الثاني: المقابلة في سورة النمل

والمقابلة في اللغة من مادة (ق ب ل)، وهو "أصل واحد صحيح تدلّ كلمته كلها على مواجهة الشيء بالشيء ويتفرع بعد ذلك"<sup>5</sup>، فالمقابلة معناها المواجهة<sup>1</sup>، وقابله بمعنى واجهه، وتقابلا

<sup>1</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص306.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص480.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص327.

<sup>4</sup> حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص207.

<sup>5</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ق ب ل)، ج4، ص51.

تواجهها<sup>2</sup>، وتقول: "لقيته قبلا وقبلا وقبلا: مواجهة وعيانا"<sup>3</sup>، كما تأتي بمعنى المعارضة، فنقول: "وقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه"<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه التعاريف نجد أن معنى (قابل) في اللغة لا يخرج عن معنى المواجهة بالإضافة إلى المعارضة.

وأما تعريف المقابلة في الاصطلاح فيعرفها القزويني في كتابه "التلخيص" بقوله: "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر؛ ثم بما يقابل ذلك على الترتيب"<sup>5</sup>.

وهناك من البلاغيين من يجعلها فناً مستقلاً، ومنهم من يجعلها من الطباق، يقول ابن رشيق القيرواني<sup>6</sup>: "وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة"<sup>7</sup>.

الفرع الأول: المقابلة بين "هُدًى وَبُشْرَى... و"إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..."

<sup>1</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ق ب ل)، ج 39، ص 3519.

<sup>2</sup> يُنظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص 1046.

<sup>3</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 (1419هـ، 1998م)، ج 2، ص 49.

<sup>4</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (ق ب ل)، ج 39، ص 3519.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص 352.

<sup>6</sup> هو أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (390هـ-463هـ)، ولد بالمسيلة (بالمغرب)، وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب والشعر، ثم رحل إلى القيروان سنة 406هـ، واشتهر فيها، من مؤلفاته: العمدة في صناعة الشعر ونقده، قراضة الذهب، وتاريخ القيروان، وديوان شعره، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 2، ص 861. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 2، ص 85. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 325. والزركلي: الأعلام، ج 2، ص 191.

<sup>7</sup> ابن رشيق، أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط 5 (1401هـ، 1981م)، ج 2، ص 15.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ [النمل: 2، 3، 4، 5].

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنّ آيات القرآن الكريم تبين طريق الحق وسبيل السلام لمن آمن بها، وتبشرهم بالفوز العظيم في المعاد، وهي هدى وبشارة لمن أقام الصلاة، وأدى الزكاة، وأيقن بأنّ اليوم الآخر حقّ وسيبعثون فيه ويحاسبون على أعمالهم، فلذلك يجتهدون في طاعة الله رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه<sup>1</sup>.

وقوله: "يوقنون" معناه أنهم يعلمون بوقوعها علماً لا يخالطه ولا يعتريه شك<sup>2</sup>.

وإذا كان هذا حال الذين يؤمنون بالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وبما جاء فيه، فما هو

حال الذين لا يؤمنون بالكتاب ولا بالآخرة؟

إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة مستمرون في ضلالهم؛ "ذلك بأنّ الله يعلم خبث طواياهم فحرمهم التوفيق، ولم يصرف إليهم عناية تنشلهم من كيد الشيطان لحكمة علمها الله من حال ما جبلت عليه"<sup>3</sup>، فتعلقوا بالدنيا، وخضعوا لأهوائهم وشهواتهم وسائر رغبات نفوسهم<sup>4</sup>، فهم يعمهون.

والعمه هو التردّد في الأمر، وهو من التحيّر<sup>5</sup>، أي أنهم يسيرون في هذه الدنيا على غير هدى، مستمرين في شقائهم وتعاستهم، لا ينالون السعادة التي ينشدونها بسبب انطماس بصيرتهم<sup>6</sup>.

ومع هذا الضلال والتردّد فإنهم في الآخرة الأكثر خسارة من كل خاسر، فهم من الخالدين في النار، وجاء التعبير القرآني بصيغة التفضيل "الأخسرون" للدلالة على أنّ من يعصي من المؤمنين يكون من الخاسرين، لكنهم لا يكونون من الأخسرين يوم الدين؛ لأنهم غير خالدين في النار، بل

<sup>1</sup> يُنظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج18، ص6.

<sup>2</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص31.

<sup>3</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص220.

<sup>4</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص32.

<sup>5</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (ع م ه)، ص262.

<sup>6</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص33.

لهم نجاة بعد أن ينالوا ما يستحقونه من العذاب، ولا يبقى في العذاب إلا من كفر فهم الأחסرين من كل الخاسرين<sup>1</sup>.

وبهذا نلاحظ كيف أنّ القرآن الكريم "يعرض الشيء ومقابله لتُجري نحن مقارنة بين المتقابلات"<sup>2</sup>، ففي هذه الآيات مقابلة بين المؤمنين والكافرين، بين الذين يؤمنون بالكتاب والذين هم به كافرون، بين المؤمنين باليوم الآخر والمكذبين به، وجزاء كل فريق.

حيث وصف الله سبحانه وتعالى آيات القرآن الكريم بأنها هادية للذين آمنوا وعملوا بها فهم على الطريق الصحيح والمستقيم، بينما وصف الكافرين بأنهم مترددون، ومتحيرون، يمشون على غير هدى.

وأخبر الله سبحانه وتعالى بأنّ المؤمنين يوقنون بالبعث واليوم الآخر، وبأنّ الكافرين يكذبون ويشككون في وقوعه.

بشّر الله سبحانه وتعالى عباده الذين آمنوا بما جاء في كتابه من الآيات، وتوعّد الكافرين بعذاب أليم، وفي الآخرة هم الأחסرون.

الفرع الثاني: المقابلة بين "الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ ... " و"مَا تُخْفُونَ ... "

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25].

والكلام في هذه الآية عن قوم بلقيس الذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله، فالآية تبين قدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه اللامتناهي، فهو وحده القادر على إظهار كل ما هو مخبوء ومستور في السماوات والأرض، ويعلم ما يخفي الناس في صدورهم وما يعلنون.

فالآية دلّت على وصف الله سبحانه وتعالى بمنتهى القدرة والعلم؛ فوصفه بالقدرة يدلّ عليه

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وأما وصفه بالعلم فتضمنه قوله تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: المصدر السابق، مج 9، ص 34.

<sup>2</sup> الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10735.

وأطلق لفظ "الخبء" وهو مصدر على اسم المفعول، أي: المحبوء للمبالغة في الخفاء، وإخراجه للناس يعني إبرازه وإعطاؤه لهم ممّا هو معلوم أو غير معلوم لهم من المطر وإخراج النبات وإعطاء الأرزاق<sup>1</sup>.

ويشير الزمخشري<sup>2</sup> وأبو السعود<sup>3</sup> إلى أنّ هذه الآية من كلام الهدد<sup>4</sup>؛ لأنّه خصّ الله سبحانه وتعالى بإخراج الخبء من بين سائر أوصافه الموجبة للسجود له "لما أنه أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض"<sup>5</sup>.

ونجد في هذه الآية مقابلة "للخبء في السماوات والأرض بالخبء في أطواء النفس، ما ظهر منها وما بطن"<sup>6</sup>، حيث جاء عطف قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على قوله: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ "للإشارة إلى أنّه تعالى يخرج ما في العالم الإنسانيّ من الحفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الحفايا"<sup>7</sup>.  
وبهذا التعبير جاءت المقابلة لتبرز وتصف لنا منتهى القدرة والربوبية والعلم لله الواحد الذي يستحق السجود.

الفرع الثالث: المقابلة بين "أنهراً" و "رؤسى"

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رُؤْسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 61].

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 251.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج 4، ص 449.

<sup>3</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 282.

<sup>4</sup> أمّا ابن عاشور فيرجح أن هذه الآية "كلام آخر من القرآن دُيِّل به الكلام الملقى إلى سليمان، فالواو للاعتراض بين الكلام الملقى لسليمان وبين جواب سليمان، والمقصود التعريض بالمشركين". ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 250.

<sup>5</sup> أبو السعود: المصدر نفسه، ج 6، ص 282.

<sup>6</sup> سيد قطب: في ظلال القرآن، مج 5، ج 19، ص 2639.

<sup>7</sup> أبو السعود: المصدر نفسه، ج 6، ص 282.



وهذا دليل آخر من الأدلة التي تدلّ على تفرد سبحانه وتعالى بالخلق والتقدير، وتفرد بالعبادة؛ لأنّه سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعلها مستقرا للإنسان والدواب، وشقّ فيها أنهارا ينتفعون منها بالشرب وسقي الأنعام والمزارع، كما جعل فيها الجبال الثوابت حتى لا تميد بهم. ورغم تفرد سبحانه وتعالى بالخلق والإيجاد إلا أن المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله سبحانه وتعالى، ولا يعلمون عاقبة شركهم ولا نفع إفراده بالعبودية، وإخلاصهم للعبادة له<sup>1</sup>. وهنا في الآية مقابلة كونية؛ حيث قابل القرآن الكريم بين الجبال الثابتة بالأنهار الجارية، "والتقابل التصويري ملحوظ في التعبير القرآني وهذا واحد منه، لذلك يذكر الرواسي بعد الأنهار"<sup>2</sup>، وفي هذه المقابلة دلالة على منتهى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى؛ حيث خلق الثابت والمتحرك، وجعل لكل منهما دوره في هذا الكون.

### المطلب الثالث: المشاكلة في سورة النمل

يُرْجِع ابن فارس<sup>3</sup> أصل (شكل) إلى أصل واحد وهو المماثلة، هَذَا شَكْلُهُذَا، أَي مِثْلُهُ<sup>4</sup>، "وَالشَّكْلُ، بِالْفَتْحِ: الشُّبُهَةُ وَالْمِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْكَالٌ وَشُكُولٌ"<sup>5</sup>، والمشاكلة: الموافقة والتشاكل مثله<sup>6</sup>. والمشاكلة في اصطلاح البلاغيين هي: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته"<sup>7</sup> تحقيقا أو أو تقديرا<sup>8</sup>، وهذا لا يمكن "إلا إذا تكرّر اللفظ وأريد به في المرة الأولى أصل معناه، وفي الأخرى غير غير ذلك"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج20، ص8، 9.

<sup>2</sup> سيد قطب: المصدر السابق، مج5، ج20، ص2657.

<sup>3</sup> هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي (329هـ-395هـ)، المالكي، اللغوي، والمحدث، كان إماما في علوم شتى، وخصوصا اللغة فإنه أتقنها، من مصنفاته: مقاييس اللغة، الصحاح، جامع التأويل في تفسير القرآن، ذم الخطأ في الشعر، وأوجز السير لخير البشر، وغيرها. يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج1، ص410. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج1، ص118. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص103. والزركلي: الأعلام، ج1، ص193.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ش ك ل)، ج3، ص204.

<sup>5</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش ك ل)، ج26، ص2310.

<sup>6</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (ش ك ل)، ج26، ص2310.

<sup>7</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، ص533.

<sup>8</sup> القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص360.

<sup>9</sup> باسم محمد إبراهيم: بلاغة المشاكلة في القرآن الكريم، مقال منشور في مجلة الفتح، العدد الثاني والثلاثون، سنة 2008، كلية التربية، جامعة ديالى، العراق، ص2.

وبلاغة المشاكلة تكمن في " جمال العبارة، وسمو في البلاغة، فالناظر يتوهم أن المعنى الثاني هو عين الأول، فإذا أدام النظر، وحقق الفكر، علم أنه غيره، فيكون ذلك سببا لاستقراره في الذهن، ورسوخه في الفهم، فيكون أدعى للثبوت وعدم التفلّت"<sup>1</sup>، وقد استعملها العرب في كلامهم بغية المبالغة في إثبات حجة أو الإتيان ببيّنة<sup>2</sup>.

واستعملها القرآن الكريم بنوعيتها - اللفظية والعقلية - في عدة مواضع، ولكن كان للمشاكلة اللفظية الحظ الأوفر، ولقد وظفها القرآن الكريم خبير توظيف فأضفت مبالغة وبيانا حسنا، ولا شك في ذلك فالبيان الإلهي معجز بلفظه ومعناه ونظمه<sup>3</sup>.

وفيما يلي مواضع المشاكلة في سورة النمل.

الفرع الأول: المشاكلة في قصة سليمان عليه السلام

أولا - المشاكلة في ﴿لِيَأْتِيَنَّ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأَذِّبَنَّهٗ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ

مُبِينٍ﴾ [النمل: 21].

وهذا من قول سليمان بعد أن تفقّد الهدهد فلم يجده، فتوعّده بالعذاب أو القتل أو الإتيان بحجة وعذر يدرأ عنه العذاب.

وأكد سليمان عليه السلام عزمه على عقاب الهدهد بتأكيد الجملتين: "لأعذّبته... " و"لأذّبّته... " بلام القسم ونون التوكيد، وأكد الجملة الثالثة "ليأتيني.." مشاكلة للجملتين اللتين قبلها وتغليبا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عبد الفتاح لاشين: البديع في أساليب القرآن، ص 81.

<sup>2</sup> يُنظر: باسم محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص 3.

<sup>3</sup> يُنظر: باسم محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص 6.

<sup>4</sup> وهذا القول أورده ابن عاشور أثناء تفسيره لهذه الآية ولم يرتضه، وقال بأن التأكيد في هذه الجملة "لإفادة تحقيق أنه لا منجى له من العقاب إلا أن يأتي بحجة تبرر تغييره؛ لأنّ سياق تلك الجملة يفيد أن مضمونها عدل العقوبة؛ فلما كان العقاب مؤكدا محققا فقد اقتضى تأكيد المُخْرِج منه لئلا يبرئه منه إلا تحقق الإتيان بحجة ظاهرة لئلا تُتَوَهَّم هَوَادَةٌ في الإدلاء بالحجة فكان تأكيد العدل كتأكيد معادله". ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 244.

ثانياً- المشاكلة في ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 42].

لما جاءت بلقيس إلى سليمان عليه السلام سئلت عن عرشها إذا كان يشبه العرش الذي أمامها، فأجابت بأنه يشبهه، وهي في الحقيقة عرفته، ولكن شبهته عليهم كما شبهوا عليها، وأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلامهم<sup>1</sup>.

الفرع الثاني: المشاكلة في قصة صالح عليه السلام

أولاً- المشاكلة في ﴿ طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَطِئِرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ قَالَ طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

تُفْتَنُونَ ﴾ [النمل: 47].

وهذا من قول الفريق المنكر من قوم صالح عليه السلام لما أنكر عليهم استعجال العذاب بدل التوبة؛ حيث قالوا له بأنهم تشاءموا منه ومن الذين اتبعوه بعدما أصابهم من القحط، فأجابهم صالح عليه السلام بأن "الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله بسبب كفركم"<sup>2</sup>، وأتبع قوله هذا بقوله: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾، أي: تُمتحنون " بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تقلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابلوه به"<sup>3</sup>.

ولقد خاطبهم صالح عليه السلام بنفس تعبيرهم في قوله: ﴿ طَّيَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ مشاكلة لقولهم، ومخاطبتهم بما يفهمون؛ لإصلاح اعتقاهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: أحمد الصاوي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، المطبعة الأزهرية، مصر، ط1 (1345هـ، 1926م)، ج 3، ص155.

<sup>2</sup> الشوكاني: فتح القدير، مج4، ج19، ص173.

<sup>3</sup> السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج20، ص606.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص273.

ثانياً - المشاكلة في ﴿ وَمَكْرًا مَكْرًا ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: 50].

تكلّمت الآيات السابقة عن الرجال التسعة الذين كان عملهم الإفساد في الأرض فقط، ومن بين إفسادهم وتآمرهم وإقسامهم لبعض على قتل صالح عليه السلام وأهله ليلاً، واتفقوا على إخفاء هذا الأمر وكتمانه، وعينوا ليلة لتنفيذ ما مكرّوه، كما اتفقوا على إنكار مشاهدتهم لمهلكه. ولكن الله سبحانه وتعالى " مكر مكرًا آخر بهم في الخفاء، دون أي شعور منهم، إذ قضى بإهلاك الأتقياء وإهلاك جميع كفار ثمود قبل الموعد الذي قرر الأتقياء قتل صالح وأهله فيه، غيلة وبياتا، وأنفذ الله تعالى تدييره، وأنزل بالأتقياء وبسائر كفار قومهم، وسائل تعذيبهم وإهلاكهم، وتدمير مساكنهم عليهم" <sup>1</sup> وهم لا يعلمون بذلك التدمير. والمكر لا يمكن إسناده إلى الله سبحانه وتعالى إلا بطريق المشاكلة؛ لأنّ المكر في الأصل حيلة يُجلب بها غيره إلى مضرة <sup>2</sup>.

#### المطلب الرابع: الالتفات في سورة النمل

ومن الأساليب العريقة في اللغة العربية، والتي وردت في سورة النمل؛ أسلوب الالتفات.

ولكن قبل الخوض في ذكر مواضع الالتفات في السورة يجدر بنا إيراد تعريف لهذا الأسلوب، وأسراره البلاغية، بعد ذلك نتطرق إلى أغراضه وأسراره البلاغية في السورة.

والالتفات في اللغة من مادة (ل ف ت) بفتح الفاء، "واللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللّيّ وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، منه لفتُ الشيء لويته" <sup>3</sup>.

وأما معناها في لسان العرب فهو كالأتي: "لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً؛ والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه، ويقال: لفتُ فلاناً عن رأيه،

<sup>1</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج9، ص114.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج3، ص256.

<sup>3</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ل ف ت)، ج5، ص258.

أي: صرفته عنه ومنه الالتفات<sup>1</sup>، "واللفت: الصِّرف"<sup>2</sup>.

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن المادة اللغوية أو المعجمية للالتفات تدور حول معاني: التحوّل، والانصراف، أو الانحراف عن الجهة المستقيمة.

وبعد معرفتنا لمعاني الالتفات في اللغة، نحاول أن نعرف معناه في اصطلاح البلاغيين.

والالتفات في الاصطلاح هو: "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر"<sup>3</sup>.

وقد ذكره الزمخشري في الكشف أثناء تفسيره لآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ...﴾ من سورة الفاتحة، حيث قال: "فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى بالالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم"<sup>4</sup>.

فالملاحظ على إشارة الزمخشري إلى الالتفات أنها اقتصر على العدول عن لفظ الغيبة إلى الخطاب أو العكس.

أما كلام ابن الأثير عن الالتفات فقد كان مطولاً، حيث عرفه، وضرب له الأمثلة من القرآن الكريم والشعر، وحقيقة الالتفات عنده "مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك"<sup>5</sup>.

لقد اعتمد ابن الأثير في تعريفه للالتفات على معناه اللغوي، وتوسع فيه ليشمل الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع والعكس، أو غير ذلك.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (لفت)، ج45، ص4051.

<sup>2</sup> الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مادة (ل ف ت)، ج5، ص78.

<sup>3</sup> ابن المعتز، أبو العباس عبد الله: البديع، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1(1410هـ، 1990م)، ص152.

<sup>4</sup> الزمخشري: الكشف، ج1، ص118، 119.

<sup>5</sup> ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص167، 168.

أما الطيبي<sup>1</sup> فقد أفاد من تنبيه ابن الأثير على أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته، فجاء تعريفه دقيقاً في كتابه "التبيان في البيان"، حيث عرّفه بقوله: "هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث، أعني الحكاية والخطاب، والغيبة إلى الأخرى لمفهوم واحد رعاية لنكته"<sup>2</sup>. فقد زاد في تعريفه أن الالتفات يكون لرعاية نكته أو فائدة<sup>3</sup>.

وبالمقارنة بين المعنى اللغوي للالتفات ومعناه الاصطلاحي نجد أن المعنى الاصطلاحي يركز ويعتمد على المعنى اللغوي؛ فالالتفات في البلاغة هو التحول من المخاطب إلى الغائب وغير ذلك، أو من الفعل الماضي إلى المضارع وغير ذلك.

وللالتفات فوائد ذكرها البلاغيون عند حديثهم عنه، ومن هؤلاء الزمخشري الذي يُرجع سبب استعمال العرب لهذا الأسلوب إلى ما فيه من فائدة إيقاظ وتنشيط السامع بسبب التحوّلات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، هذا بصفة عامة، بالإضافة إلى اختصاص كل موقع بفوائد، حيث قال في هذا الصدد: "وتلك على عادة افتنائهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعُه بفوائد"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت743هـ)، الإمام المشهور، العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، من تصانيفه: شرح الكشاف، التبيان في المعاني والبيان، شرح المشكاة، وغيرها. يُنظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج2، ص68. والسيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص522. والأدنه وي: طبقات المفسرين، ص277. والزركلي: الأعلام، ج2، ص256.

<sup>2</sup> الطيبي، الحسين بن محمد: التبيان في البيان، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط1 (1411هـ، 1991م)، ص187.

<sup>3</sup> للاستزادة يُنظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط(1418هـ، 1998م)، ص ص 11-26. وأحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج1، صص 294-303. وعبد العزيز عتيق: علم المعاني- البيان- البديع، ص ص 560-564.

<sup>4</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج1، ص120.

ولقد استدرك ابن الأثير على الزمخشري في المغزى والفائدة من الالتفات (من الغيبة إلى الخطاب أو العكس)، حيث قال: "والذي عندي في ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته. وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تُحدِّد بحدّ، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها، يُقاس عليها غيرها، فإننا قد رأينا الانتقالاً من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب؛ ثم رأينا ذلك بعينه -وهو ضد الأول- قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة،

فالمتكلم لا يُخرج كلامه على طريقة الالتفات إلا لأغراض يقصدها؛ غرض عام وهو نظرية نشاط السامع وجلب انتباهه للإصغاء إليه كما قال الزمخشري، وأغراض أخرى تختص بمواقع الالتفات، أي: أن لكل التفتات غرض يختص به في موقعه، وفائدة مرجوة منه، كما قال الزمخشري وابن الأثير.

ويُعدّ أسلوب الالتفات من أكثر الأساليب البلاغية وروداً، وأوسعها انتشاراً في القرآن الكريم، وقد ورد هذا الأسلوب في سورة النمل في صور مختلفة نوردتها فيما يلي:

### الفرع الأول: التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل

من صور الالتفات الموجودة في سورة النمل؛ التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل، أي: التعبير عن فعل لم يقع بعد بفعل مضى، وكأنه وقع وانتهى. ولهذا الصورة فوائدها؛ وهي أن هذا التعبير يكون أبلغ وأؤكد في تحقيق وقوع الفعل؛ فالإتيان بالفعل الماضي يوحي بأن الفعل قد كان ووجد، وهذا ما جاء في كلام ابن الأثير حيث يقول: "وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر عن المستقبل الذي لم يوجد بعد، كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد. وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها"<sup>1</sup>.

وإنما مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضوع الذي ترد فيه". ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 169، 170.

ويؤكد كلامه عن الغرض المتوخى من الالتفات في موضع آخر من كتابه "المثل السائر" بقوله: "اعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دقائقها. ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقاً". ابن الأثير: المصدر نفسه، ج2، ص 180.

ويعلق حسن طبل في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" عن استدراك ابن الأثير على الزمخشري بقوله: "والحق أن ابن الأثير قد تجاوز حد الإنصاف في نقده للزمخشري في هذا الصدد؛ إذ إن ظاهرة الالتفات هي إحدى الظواهر الأسلوبية التي لا مشاحة في إثارتها للمتلقي ولتف انتباهه بما في بنيتها اللغوية الخاصة من خروج -غير متوقع - عن مألوفه، هذا فضلاً عن أن الزمخشري لم يقصر قيمة الالتفات -كما يبدو من نقد ابن الأثير له- عن مجرد إثارتها للمتلقي، بل لقد أشار كما رأينا إلى فائدته أو وظيفته في هذا المقام لا تعدو أن تكون تفصيلاً لعبارة الزمخشري السابقة "وقد تختص مواقعه بفوائد". حسن طبل: المصدر السابق، ص 27.

<sup>1</sup> ابن الأثير: المصدر نفسه، ج2، ص 185.



ثم يذكر ابن الأثير الفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي<sup>1</sup>؛ و"أن الغرض بذلك -الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي- تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرض بهذا -الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل- هو الدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يوجد"<sup>2</sup>.

ومما جاء في سورة النمل من هذه الصورة:

أولاً- التعبير بالفعل الماضي "فرع"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل: 87].

وفي هذه الآية ذكر الله ﷻ العلامة الثانية لقيام الساعة وهي النفخ في الصور، بعد ذكر العلامة الأولى وهي خروج الدابة للكلام والحديث.

وقد عبر الله ﷻ في هذه الآية عن النفخ في الصور بالفعل المضارع "ينفخ" وهو مقتضى الظاهر؛ لأن القيامة لم تقم بعد، فلما صار الكلام إلى الفرع بعد النفخ في الصور عدل عن الفعل المضارع إلى الماضي فقال: "ففرع".

والفرع هو "انقباض ونفاذ يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع"<sup>3</sup>. والفرع في هذه الآية؛ هو الخوف الذي يعتري الكل يوم القيامة من جراء مشاهدة الأحداث الخارقة والعظيمة في الأنفس والآفاق<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فالتعبير بالفعل المستقبل عن الحادث الذي مضى وانقضى يكون أبلغ من الإخبار عنه بالفعل الماضي، وفائدته؛ توضيح الحال التي يقع فيها، واستحضار الصورة وكأنها تحدث أمام المتلقي. يُنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص 181.

<sup>2</sup> ابن الأثير: المصدر السابق، ج2، ص 185.

<sup>3</sup> الراغب: المفردات، مادة (ف ز ع)، ص 286.

<sup>4</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص 303.

والتعبير عنه بالفعل الماضي للإشعار بتحقيقه وثبوته ووقوعه، وأنه كائن لا محالة<sup>1</sup>؛ "لأن الماضي يستلزم التحقق، فصيغة الماضي كناية عن التحقق، وقرينة الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله "يُنْفَخ"<sup>2</sup>.

ثانياً- التعبير بالفعل الماضي "رَدَف"

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿ [النمل: 71، 72].

يحكي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إنكار الكفار لعذاب الله، واستبعادهم لذلك، واستهزائهم وسخريتهم من النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بقولهم: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>3</sup>، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يجيبهم فقال: ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾.

وأشار الزمخشري أثناء تفسيره لهذه الآية إلى أن عسى ولعل وسوف لا تفيد الظن؛ بل على العكس فهي تفيد تأكيد وتحقيق الأمر، حيث قال: "وعسى ولعل وسوف -في وعد الملوك ووعيدهم- يدلّ على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده، وإنما يعنون بذلك: إظهار وقارهم، وأنهم لا يعجلون بالانتقام؛ لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم، وأن الرزمة إلى الأغراض كافية من جهتهم؛ فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده"<sup>4</sup>.

ولفظ (ردف) في اللغة "أصل واحد مطّرد يدلّ على اتّباع الشيء، فالترادف: التتابع"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 476. وأبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص303. والرازي: مفاتيح الغيب، مع 12، ج24، ص 221. وابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص 185.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 316.

<sup>3</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 24.

<sup>4</sup> الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص 470.

<sup>5</sup> ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ردف)، ج2، ص 503.

وأما في الآية - كما جاءت في كتب التفسير - فقد جاءت بمعنى: تبعكم، ولحقكم، واقترب منكم<sup>1</sup>. واللفظان (تبعكم، ولحقكم) هما من المعاني اللغوية لمادة (ردف)، وإنما ضُمَّن معنى (اقترب)؛ لأن الفعل (ردف) غُدِّي باللام هنا مع أنه صالح للتعدية بنفسه<sup>2</sup>.

وإيثار ما عليه النظم الكريم في قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ على أن يقال: عسى أن يردفكم؛ فلكونه أدلّ على تحقق الوعد<sup>3</sup>.

تضمنت هذه الآية تأكيدين على صدق وتحقق الوعد؛ أحدهما: المحييء بـ (عسى) التي تدلّ على الجزم بوقوع الوعد. والآخر: العدول عن الفعل المضارع (يردفكم) إلى الفعل الماضي (ردف) لكونه أبلغ، وأدلّ، وأؤكد في تحقق الفعل، فالفعل (ردف) دلّ على أنّ العذاب قد كان ووجد.

#### الفرع الثاني: الالتفات بين الضمائر

وما يُعدّ من الالتفات؛ التحوّل بين أنواع الضمائر الثلاثة (التكلم، الخطاب، والغيبة)، وأودّ فيما يلي الوقوف إزاء هذا التحوّل بين أنواع الضمائر؛ من أجل استلهاهم بعض ما يفيض به البيان القرآني من أسرار ونكت.

#### أولاً - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

ومن الالتفات بالرجوع والعدول عن الغيبة إلى الخطاب:

#### 1- العدول في ﴿مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: 25].

<sup>1</sup> يُنظر: الرازي: المصدر السابق، مج 12، ج 24، ص 215، ووهبة الزحيلي: المصدر السابق، ج 20، ص 24.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 300.

<sup>3</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 298.

ولقد جاءت هذه الآية في سياق حديث الهدهد مع سليمان عليه السلام عن قوم بلقيس، وإخباره بأنهم كانوا يسجدون للشمس من دون الله.

وأُسند في هذه الآية الفعل "يسجدوا" إلى ضمير الغيبة، ثم عدل عنه في آخر الآية إلى ضمير

المخاطب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾<sup>1</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ معطوف على ﴿يُخْرِجُ الْخَبَّ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ وهذا للإشارة إلى أن الله عز وجل قادر على إخراج وإظهار ما يخفيه الإنسان في باطنه كقدرته على إخراج ما في السماوات والأرض من الخبايا والخفايا، وبالتالي المحاسبة والجزاء عليها<sup>2</sup>، وللاشارة إلى أن السرّ والعلن، والباطن والظاهر سواء بالنسبة لعلم الله تعالى.

وتقدم "ما تخفون" على "ما تعلنون" لمناسبته لما قبله من الخبء، وأما تقدم وصفه تعالى

بإخراج الخبء من السماوات فلأنه أشدّ ملائمة للمقام<sup>3</sup>.

فالعُدول عن ضمير الغيبة إلى الخطاب التفتت على اعتبار من قال أن الكلام في هذه الآية

موجه لقوم بلقيس<sup>4</sup>، ويكون هذا الالتفات من أجل التنبيه على تمام وكمال قدرته وعلمه سبحانه وتعالى.

<sup>1</sup> وهذا في قراءة الكِسائي وحفص عن عاصم، والشنبوذيوالجحدري وعيسى بن عمر، وتدلّ هذه القراءة على أنّها من كلام الله. وقراءة الباقيين: "ما يخفون وما يعلنون" بالياء على الغيبة، جريا على نسق الآية، وتدلّ هذه القراءة على أن هذا من كلام الهدهد. يُنظر: عبد اللطيف الخطيب: معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ط1 (1422هـ، 2002م)، ج6، ص509.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: المصدر السابق، ج6، ص282.

<sup>3</sup> يُنظر: الألوسي: روح المعاني، ج19، ص192.

<sup>4</sup> لأنّ هناك احتمال أن يكون الكلام موجه إلى الناس عامة، أو لقوم سليمان عليه السلام خاصة. ينظر: الألوسي: المصدر نفسه، ج19، ص192.

## 2- الالتفات في ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: 90].

بعد أن تكلم الله تعالى في الآية السابقة عن الذي جاء بالحسنة؛ مؤمنا بالله وعاملا للصالحات، وبيّن أن جزاء الجنة، انتقل في هذه الآية للحديث عن الذي جاء بالسيئة؛ من إشراك بالله، وارتكاب للمعاصي، وبيّن أن جزاءه النار وبئس المصير<sup>1</sup>.

فعند حديثه عن جزاء المسيئين قال: ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ بضمير الغائب، ولكن لما انتقل إلى الاستفهام عن هذا الجزاء وأنه بسبب أعمالهم قال: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ تحوّل من الغيبة إلى الخطاب.

قال ابن عاشور أثناء تفسيره لهذه الآية: "ومقتضى الظاهر أن يقال: هل يجزون إلا ما كانوا يعملون، فكانت هذه الجملة كالتلخيص لما تقدم؛ وهو الجزاء على حسب عقائدهم وأعمالهم، وما العقيدة إلا عمل القلب، فلذلك وُجّه الخطاب إليهم بالمواجهة"<sup>2</sup>. إذن فالعدول هنا من الغيبة إلى الخطاب كان لمواجهتهم.

## ثانياً- الالتفات من الغيبة إلى التكلم

ومما جاء في سورة النمل من الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِرَبِّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴾ [النمل: 60].

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 20، ص 43.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 323.

وهذا برهان آخر على وحدانيته تعالى؛ فهو الذي خلق وأبدع السماوات وما فيها، والأرض وما فوقها وما تحتيها، وأنزل المطر من السحاب فأخرج به الحقائق والبساتين ذات المنظر البهيج؛ هذا كله ليس بمقدور الإنسان واستطاعته أن يخلقه ولا حتى آلهتهم التي يعبدونها، فكيف يجعلون له عديلا ومثيلا وهو المنفرد بخلق وتكوين كل شيء<sup>1</sup>.

والناظر في هذه الآية يجد التفاتين، أحدهما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ...﴾، ثم قال: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾، والالتفات الثاني سنتطرق إليه عند حديثنا عن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

ففي الالتفات الأول نرى كيف جرى الأسلوب على طريقة الغيبة عند الكلام عن خلق السماوات والأرض وإنزال المطر، ثم تحوّل إلى طريق التكلم عند كلامه عن إنبات الحقائق.

وفي هذا الصدد يذكر المفسرون لطيفتين لهذا الالتفات والتحوّل وهما:

**الأولى:** لتأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته سبحانه وتعالى، فإنبات الحقائق والبساتين المختلفة في أصنافها وألوانها وأشكالها مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يستطيعه ولا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى<sup>2</sup>.

**الثانية:** الإخبار والتنصيص في هذه الآية على أنّ المقصود إسنادُ الإنبات إليه، وحتى لا ينصرف ضمير الغائب إلى لفظ "الماء"؛ لأنّ التذكير بالمُنبت الحقيقي الذي خلق الأسباب أليق بمقام التوبيخ على عدم رعايتهم نعمه<sup>3</sup>.

وهكذا نجد أنّ تحوّل التعبير من الغيبة إلى التكلم في هذه الآية كان له هدفه؛ وهو التأكيد على اختصاص الله سبحانه وتعالى بإنبات الحقائق، حتى لا يُتوهم أنّ الماء هو المنبت؛ اغترارا بالسبب.

<sup>1</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ج20، ص317.

<sup>2</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص464.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص286.

## ثالثا- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

ونورد هنا الآيات التي ورد فيها التعبير بالخطاب ثم التحول عنه إلى الغيبة .

## 1- الالتفات في ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَايِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60].

ونذكر الآن الالتفات الثاني الوارد في هذه الآية، فلقد بدأت الآية الكريمة بمخاطبة المخاطبين، وذلك في قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ و ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾، ثم صرف الكلام إلى الإخبار عنهم بضمير الغيبة وذلك في قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

ولفظ "يعدلون" من مادة (عدل)، وهذه المادة في اللغة لها أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج<sup>1</sup>.

كما يرد في اللغة بمعنى حاد، وبمعنى تسوية الشيء بالشيء وهذا ما جاء في كلام حبنكة الميداني بقوله: "فيقال لغة: عدل يعدل عن الصراط، أي: حاد عنه وخرج عن حدوده"، ويقال لغة: عدل الشيء بالشيء، أي: سواه به، وجعله مثله، وهذا قد يكون ادعاءً كاذباً، أو اعتقاداً باطلاً<sup>2</sup>.

فيكون معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ حادوا عن الحق إلى الباطل، ويفترون على الله فيجعلون له شريكا معادلا له في صفات ربوبيته أو بعضها، وندا له في ألوهيته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ع د ل)، ج 4، ص 246.

<sup>2</sup> حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، مج 9، ص 131.

<sup>3</sup> يُنظر: حبنكة الميداني: المصدر نفسه، مج 9، ص 131.



وجاء الإخبار عنهم بالفعل المضارع "يعدلون" لإفادة أنهم مستمرّون على شركهم؛ فالفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار. وأما الإخبار عنهم بلفظ "القوم" فهو إيماء إلى تمكّن صفة العدول عن الحق منهم، حتى كأنها أصبحت من مقومات قوميتهم<sup>1</sup>.

وفي خطابهم نكتة وهي التعريض بأنهم ما شكروا نعمة الله<sup>2</sup>. وأما التعبير عن طريق ضمير الغيبة بعد الخطاب؛ فلأنه أبلغ في تخطئة رأيهم<sup>3</sup>، وتوبيخهم على الإشراف<sup>4</sup>.

## 2- الالتفات في ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: 62].

في هذه الآية برهان آخر على ربوبيته تعالى؛ وهو سماعه لدعاء المكروبين، والمضطرين، وأصحاب الحاجات إذا دعوه، فيستجيب لدعائهم، ويزيل السوء عنهم<sup>5</sup>.

بل هو الخلاق العظيم؛ الذي يخلق الأجيال؛ جيلا بعد جيل؛ ليكونوا خلفاء في الأرض، وينتفعون بخيراتهم<sup>6</sup>، ولكن رغم هذا فإن المشركين لا يتذكرون هذه النعم.

وقرأ الجمهور "تذكرون" جريا على مقتضى الظاهر، والنكتة في ذلك هي توجيه الخطاب إلى المشركين مكافحة لهم. أما روح عن أبي عمرو وهشام عن ابن عامر فقراء بياء الغيبة "يدكرون" بالالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وهذا التحول كان لغرض الإعراض عنهم؛ لأنهم استحقوا الإعراض بعد تذكركم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 287.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 285.

<sup>3</sup> يُنظر: الزخشري: الكشاف، ج4، ص 464.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 287.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 289.

<sup>6</sup> يُنظر: جينكة الميداني: المصدر السابق، مج9، ص 137.

<sup>7</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص 290.

رابعاً- الالتفات من التكلم إلى الغيبة

وهذا في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي ... ﴾ [النمل: 83، 84].

يذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حشره لزمرة من كل أمة؛ الذين كذبوا بالقرآن العظيم، والآيات الدالة على الحق إلى موضع الحساب، حتى إذا حضروا الموقف سألمهم الله تعالى عن تكذيبهم بالآيات التي أنزلها على رسوله، والآيات الدالة على وحدانيته، وعن إعراضهم عنها بغير علم<sup>1</sup>.

وعند الكلام عن الحشر أسند الفعل إلى ضمير المتكلم "نحشر"، فلما صار الكلام إلى مساءلتهم عن التكذيب عدل به إلى ضمير الغيبة فأسند فعل القول إليه -ضمير الغيبة- وهذا لغرض توبيخهم على تكذيبهم، وتربية المهابة لديهم<sup>2</sup>.

الفرع الثالث: الالتفات من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية

وفي هذا النوع من الالتفات يُبدأ الكلام بالجملة الفعلية ثم يتحول إلى التعبير بالجملة الاسمية لأغراض ولطائف سنورد بعضها مما جاء في سورة النمل وقد جاء في موضعين:

أولاً- الالتفات في ﴿ الْكَذِبِينَ ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ [النمل: 27].

وهذا قول سليمان عليه السلام للهدهد بعد أن جاءه بتلك الأخبار المهمة مما رآه في مملكة سبأ، فواجب عليه -سليمان عليه السلام- الثبوت من كلام الهدهد أصدق أم كذب ليقرأ عن نفسه العذاب الذي توعد به سليمان عليه السلام.

ولكن سليمان عليه السلام بدأ بتصديقه وليس بتكذيبه، وهذا حتى يتم التأكد من الأخبار التي جاء بها عن بلقيس وقومها؛ لذلك قال: "سننظر" من النظر الذي هو التأمل، وفي هذا الكلام تعليم

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 38.

<sup>2</sup> يُنظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص302.

لنا لافتراض الصدق وحسن الظن بإخواننا المسلمين، وعدم مبادرتهم بالتكذيب؛ لأن الأصل في المسلم الصدق وعدم الكذب<sup>1</sup>.

وقد جاء التعبير في هذه الآية بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ مع أنّ مقتضى الظاهر أن يقول: (أم كذبت)، والسرّ في صرف التعبير من الجملة الفعلية إلى الاسمية فهو "الإيدان بتوضيح تهمة بالكذب ليتخلص من العقاب، وإيدان بالتوبيخ والتهديد وإدخال الروع عليه بأنّ كذبه أرجح عند الملك؛ ليكون الهدهد مغلباً الخوف على الرجاء، وذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته، وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يُبلغ الكتاب الذي أرسله معه"<sup>2</sup>.

بينما أرجع أبو السعود الغرض من إثارة ما عليه النظم الكريم "الإيدان بأن كذبه في هذه المادة يستلزمه انتظامه في سلك الموسومين بالكذب، الراسخين فيه، فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيبٍ أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداقٌ أصلاً لا سيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك"<sup>3</sup>. ومثل هذا الكلام قاله المراغي<sup>4</sup>.

ففي التعبير عن الصدق بالجملة الفعلية، ثم العدول عنها إلى الجملة الاسمية في التعبير عن الكذب؛ استثمار لما بين الجملتين من فارق في الدلالة على تأصل كلا الوصفين على الهدهد.

### ثانياً- الالتفات في ﴿بِهَدْيٍ﴾

ومما ينخرط في هذا النوع من الالتفات قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ

الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ، وَمَا أَنْتَ بِهَدْيٍ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلٰلَتِهِمْ ...﴾ [النمل: 80، 81].

<sup>1</sup> يُنظر: فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ص 314.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 252.

<sup>3</sup> أبو السعود: المصدر السابق، ج 6، ص 282.

<sup>4</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 134.

فبعد أن أمر الله ﷻ الرسول ﷺ بالتوكل على الله، وتفويض أمره إليه، وتبليغ الرسالة؛ لكونه على الحق الواضح المبين، أخبره في هاتين الآيتين بأن لا أمل ولا مطعم في هؤلاء الكفار؛ لأنهم كالموتى والصم لا أمل في إسماعهم ولا في استجابتهم لدعوة الحق<sup>1</sup>.

ثم أكد سبحانه وتعالى ما سبق بقوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ... ﴾. فبعد أن شبه الكفار بالموتى والصم، انتقل في هذه الآية إلى تشبيههم بالعمي؛ لأن على أبصارهم غشاوة تمنعهم من رؤية الحق والنور الذي جاء به النبي ﷺ.

ولكن التعبير القرآني جاء مختلفا في الكلام عن هذه الأوصاف، فجاء بالجمل الفعلية في نفي الإسماع للموتى والصم فقال: ﴿ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ ﴾ و ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ ﴾، ثم عدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية عند الحديث عن هداية العمي فقال: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ ﴾، ولا شك أن لهذا التحول غرض وفائدة.

فأبو السعود أرجع الغرض المبالغة في نفي الهداية، حيث قال في تفسيره: "وإيراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية"<sup>2</sup>.

أما ابن عاشور فجعل الغرض من هذا الالتفات الدلالة على ثبات النفي حيث قال: "وعدل في هذه الجملة عن صيغة النفيين السابقين في قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ الواقعين على مسندين فعليين، إلى تسليط النفي هنا على جملة اسمية للدلالة على ثبات النفي. وأكد ذلك الثبات بالباء المزيدة لتأكيد النفي. ووجه إثارة هذه الجملة بهاذين التحقيقين هو أنه لما أفضى الكلام إلى نفي اهتدائهم، وكان اهتداؤهم غاية مطمح الرسول ﷺ كان المقام مشعرا ببقية من طمعه في اهتدائهم حرصا عليهم فأكد له ما يقلع طمعه"<sup>3</sup>.

وبعد كل ما سبق فقد تبين أن الغرض من هذا الالتفات في هاتين الآيتين، والرجوع بالكلام من الجملة الفعلية إلى الاسمية هو المبالغة في نفي الهداية وبالتالي التأكيد على ثبات النفي.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص 30.

<sup>2</sup> أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج6، ص300.

<sup>3</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 308.

وفي آخر هذا المطلب الخاص بالالتفات نخلص إلى أن الغرض العام للالتفات هو تنبيه السامع للإصغاء، وأن لكل التفات غرض يختص به في موقعه مثلما جاء في المواضع السالفة الذكر.

### المبحث الثاني: المحسنات اللفظية في سورة النمل

وهي التي يكون التحسين فيها راجعا إلى اللفظ أولا وبالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانيا وبالعرض<sup>1</sup>. سأتناول في هذا المبحث السجع (المطلب الأول) والجناس (المطلب الثاني).

#### المطلب الأول: السجع في سورة النمل

ومادة (سجع) في اللغة تعني: اسْتَوَى وَاسْتَقَامَ وَأَشْبَهَ بَعْضُهُ بَعْضًا، ومنه السجع وهو: الْكَلَامُ الْمَقْفِيُّ، فيقال: سجع بمعنى: تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَهُ فَوَاصِلٌ كَفَوَاصِلِ الشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ وَزْنٍ، وصاحبه سَجَاعَةٌ وَهُوَ مِنَ الْاسْتَوَاءِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِاسْتِبَاهِ كَأَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ تُشْبِهُ صَاحِبَتَهَا<sup>2</sup>.

كما يطلق هذا اللفظ على صوت الحمام إذا كان على جهة واحدة، فسجع الحمامة: مُوَالَاةٌ صَوَّتَهَا عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ<sup>3</sup>.

إن معاني (السجع) في اللغة تدور حول: الاستواء والاستقامة والتشابه.

وأما السجع في اصطلاح البلاغيين فهو: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"<sup>4</sup>، وهذا ما عناه السكاكي حين قال: "الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر"<sup>5</sup>.

وينبئه العلماء إلى أن السجع<sup>6</sup> لا يكون محمودا إلا إذا سلم من التكلف، ويكون اللفظ فيه تابعا للمعنى<sup>7</sup>؛ حيث "ترسل المعاني على سجيتهما، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت

<sup>1</sup> يُنظر: عبد الفتاح لاشين: البدیع فی ضوء أساليب القرآن، ص 23.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (سجع)، ج 22، ص 1944.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر نفسه، مادة (سجع)، ج 22، ص 1944.

<sup>4</sup> الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 402.

<sup>5</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، 542.

<sup>6</sup> اختلف العلماء في وقوع السجع في القرآن الكريم؛ فمنهم من منعه كالباقلائي والرماني وقالوا بتسميته فواصل، ومنهم من أجازه كابن الأثير، ولكل أدلته. ينظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص 244، 245. وأحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج 2، ص 144-146. والباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د(ط، س ط)، ص 74-77.

<sup>7</sup> منهم ابن الأثير الذي يقول: "... فإن صُنِّي الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوبا آخر وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ، فإنه يجيء عند ذلك كظاهر موه على باطن مشوه، ويكون مثله كغم من ذهب على نصل من خشب". ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، 213.

وما تريد لم تكنس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها"<sup>1</sup>، " فأما أن تُحمل المعاني، ويُهتَمَّ بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال، فليس من البلاغة في فتيل أو تقير"<sup>2</sup>.

وأما السجع في القرآن الكريم فيتميّز بـ" شدة ارتباط الفاصلة بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحدارا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها، وبحيث لو حُذفت لاختل معنى الكلام، ولو سُكِّت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بما انسياقا مع الطبع، والذوق السليم"<sup>3</sup>.

وقد كان للفاصلة القرآنية دورها الموسيقي؛ حيث انتهت أكثر فواصل القرآن الكريم بحرفي النون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها كما يقول الراجعي<sup>4</sup>، ويسبق هذين الحرفين حروف المدّ واللين؛ والحكمة من ذلك "وجودُ التمكن من التطريب بذلك"<sup>5</sup>.

ولقد جاءت فواصل سورة النمل أغلبها بالسجع المطرّف<sup>6</sup>؛ فسورة النمل انتهت أغلب فواصلها بحرفي الواو والنون، وحرفي الياء والنون، كما ورد السجع المتوازي<sup>7</sup> في موضعين، وذلك في

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:46]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل:47]، وفي قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:52]، وقوله: ﴿وَكَانُوا يُنْفِقُونَ﴾ [النمل:53]، كما ورد في السورة فواصل بحرف الميم في تسعة مواضع، والذي يُعدّ من السجع المطرّف بأحرف متقاربة.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص14.

<sup>2</sup> وهو كلام للزمخشري نقله الزركشي في كتابه. يُنظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص72.

<sup>3</sup> عبد الفتاح لاشين: المصدر السابق، 146.

<sup>4</sup> يُنظر: محمد الحسنوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2 (1421هـ، 2000م)، ص63.

<sup>5</sup> الزركشي: المصدر نفسه، ج1، ص68.

<sup>6</sup> هو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويًا، وذلك بأن يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيا وبشرط وبشرط أن يكون رويها روي القافية، نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:14، 13]. يُنظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البديع، صص 635\_637.

<sup>7</sup> وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ

مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية:14، 13]. يُنظر: عبد العزيز عتيق: المصدر نفسه، صص 635\_637.



ومن الملاحظ وجود فاصلة في السورة بحرف الدال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأُولُوا بِأْسِ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: 33]، وحرف الراء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل: 44]؛ وهاتان الآيتان هما من المختلف فيهما عند أئمة العَدَّة، حيث اعتبر المكيون والمدنيون "شديد" رأس آية، واعتبر الشاميون والبصريون والمكيون والمدنيون "قوارير" رأس آية، بينما لم يعتبرهما الكوفيون. وفيما يلي نذكر بعض الفواصل من آيات سورة النمل، وعلاقتها بالآية التي وردت فيها.

#### الفرع الأول: فواصل منتهية بحرف النون

أولاً- في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: 10].

لما أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يلقي عصاه، وبعدها ألقاها أبصرها تتحرك بسرعة كأنها حية خاف وولى عنها، فخاطبه ربه سبحانه وتعالى وأمره بأن لا يخف، ثم أعقب قوله بـ ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾؛ فهذه الفاصلة لم تأت مراعاة للفواصل التي قبلها بدون مراعاة معنى الآية التي جاءت فيها؛ وإنما كانت بمثابة "تعليل للنهي عن الخوف وتحقيق لما يتضمنه نهي عن الخوف من انتفاء موجهه، وهذا كناية عن تشريفه بمرتبة الرسالة إذ غُلِّلَ بأن المرسلين لا يخافون لدى الله تعالى"<sup>1</sup>.

ثانياً- في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: 34].

وهذا كلام بلقيس بعد قراءتها للرسالة التي بعثها سليمان عليه السلام أمرا فيها بالاستسلام وعدم التكبر والاستعلاء، وهي تخبر قومها بعادة الملوك عند دخولهم الأرض عنوة، فعادتهم التخريب والأسر وغيرها.

ثم جاءت الفاصلة: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ استدلالاً على المستقبل بما وقع في الماضي على طريقة الاستصحاب، وكانت هذه الفاصلة كالنتيجة للدليل الذي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 228.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج 19، ص 260.



ثالثا- في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90، 89].  
تتحدث الآية عن الآخرة والجزاء فيها؛ فالذين قدّموا الحسنات في حياتهم ينالهم ثواب عظيم خير من الحسنات التي جاؤوا بها، وهم في الآخرة في مأمن من الفزع. وأمّا الذي قدم السيئات فيلقى في نار جهنم على وجهه<sup>1</sup>، وهذا هو الجزاء العادل<sup>2</sup>.

وجاءت الفاصلة ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمثابة التذييل للزواجر المتقدمة<sup>3</sup>.

رابعا- في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 91].

هذا كلام خير الخلق ﷺ، يخبر فيه بأنه أمر بعبادة رب مكة؛ هذه البلدة التي حرّم الله على عباده أن يسفكوا فيها دما حراما، أو يظلموا فيها أحدا، وقد خصها بالذكر دون سائر البلدان؛ لأنّ أول بيت للعبادة وضع فيها، وفي هذا الذكر لمكة تأنيب لهم على ما يفعلون؛ لأنهم تركوا عبادة رب مكة الذي له كل شيء، ملكا وتصرفا، لا يشاركه في ذلك أحد، ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على عبادتها، كما أمر بأن يكون من الموحدين المنقادين لأمره، المحبتين له في الطاعة<sup>4</sup>.

إنّ جملة: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ -وهي فاصلة الآية-؛ جاءت للتنويه بهذه الأمة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى جعل الرسول ﷺ من آحاديها، وهذا هو السرّ في العدول على أن يقول: أن أكون مسلما<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ذكر لفظ "وجوههم" دون سائر الجسد؛ "لأنّها أول ما يذوق لذع النار من أجسادهم وظاهر أنّ سائر أجسادهم تتبع وجوههم". حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج9، ص 201. وقال الشعراوي: "لأنه أشرفها وأكرمها عند صاحبها، والوجه موضع العزة والشموخ، فالحق تبارك وتعالى يريد لهم الذلّة والمهانة، وفي موضع آخر يُبيّن أن كل الأعضاء ستكفّ في النار، فيقول

تعالى: ﴿فَكُبِّجُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوِنَ﴾ [الشعراء: 94] "الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج17، ص10861، 10862.

<sup>2</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج9، صص 200-202.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 323.

<sup>4</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج20، ص26، 27.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 326.

خامسا- في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: 93].

أمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بأن يقول: الحمد لله على ما آتاه من فضل وشرف النبوة، وما أكرمه من رفيع المنزلة والمقام، وأن الله سيظهر آياته الباهرة التي تدل على عظيم قدرته وسلطانه في الأنفس والآفاق فتعرفونها، وما الله بَعَجَلٌ غافل عن الأعمال التي يقوم بها العباد، بل هو على كل شيء شهيد<sup>1</sup>.

وأفاد قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ "زيادة إنذار بأن أعمالهم تستوجب ما سيرونه من الآيات، والمراد ما يعملونه في جانب تلقي دعوة رسوله محمد ﷺ وقرآنه؛ لأن نفي الغفلة عن الله مستعمل في التعريض بأنه منهم بالمرصاد لا يغادر لهم من عملهم شيئا"<sup>2</sup>.

الفرع الثاني: فواصل منتهية بحرف الميم

أولاً- في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: 6].

ومعنى هذه الآية أن هذا القرآن الذي ينزل عليك يا محمد ويلقى إليك فإنما ينزل من عند حكيم عليم.

والحكيم في اللغة إصابة الحق بالعلم والعقل، أو هي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم<sup>3</sup>، والحكيم يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها، وهو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول<sup>4</sup>.

والحكيم في حق الله تعالى "هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه..؛ فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع شيئا سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده: في شرعه، وفي قدره وحزائه"<sup>5</sup>.

وأما العليم في اللغة فمن العلم نقيض الجهل<sup>1</sup>، وهو إدراك الشيء بحقيقته<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج2، ج20، ص325.

<sup>2</sup> ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص328.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (ح ك م)، ج2، ص91. والراغب: المفردات، مادة (ح ك م)، ص98. وابن الأثير،

محمد الدين أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان، د (ط،س)، ج1، ص419.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، ج1، ص419.

<sup>5</sup> السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص945.

واسم العليم في حق الله تعالى فهو: العالم المحيطُ علمُه بجميع الأشياء؛ ظاهرها، وباطنها، دقيقها، وجليلها، على أتمّ الإمكان، وفعل من أبنية المبالغة<sup>3</sup>.  
وقد ختمت الآية الكريمة بهذين الوصفين الشريفين تمهيدا لما سيعطف على هذه الآية من الأقايص<sup>4</sup>؛ "لأنّ ما في القرآن دليل على حكمة وعلم من أوحى به، وأنّ ما يُذكر هنا من القصص وما يستخلص منها من المغازي والأمثال والموعظة من آثار حكمة وعلم حكيم عليم، وكذلك ما في ذلك من تثبيت فؤاد الرسول ﷺ"<sup>5</sup>.

### ثانيا- في قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل:9].

وهذا النداء من الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى ﷺ يخبره فيه بأنّ الذي يخاطبه ويناجيه هو الله العزيز الحكيم.

وأصل لفظ "العزيز" في اللغة يدلّ على شدة وقوة وما ضاهاهما من غلبة وقهر، ويقال: عزّ الشيء حتى يكاد لا يوجد، وهذا وإن كان صحيحا فهو بلفظ آخر أحسن، فيقال: هذا الذي لا يكاد يُقدّر عليه<sup>6</sup>.

وأما في حق الله تعالى فهو: الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليفة وخضعت لعظمته<sup>7</sup>.  
وختم الآية الكريمة بهذين الوصفين كان بمثابة التمهيد لما سيظهره على يده من المعجزة؛ فهو القوي القادر على فعل كل شيء كقلب العصا حيّة<sup>8</sup>، وأنّ هذه المعجزة لم يجرها على يديه عبثا وإنما لحكمة يعلمها الله تعالى.

### ثالثا- في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسُنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل:11].

<sup>1</sup> يُنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 292.

<sup>2</sup> يُنظر: الراغب: المصدر السابق، مادة (ع ل م)، ص 258.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 292.

<sup>4</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 431.

<sup>5</sup> ابن عاشور: المصدر السابق، ج19، ص 223.

<sup>6</sup> يُنظر: ابن فارس: المصدر السابق، مادة (ع ز)، ج4، ص 38.

<sup>7</sup> يُنظر: السعدي: المصدر نفسه، ص 946.

<sup>8</sup> يُنظر: الزمخشري: المصدر السابق، ج4، ص 433.

وهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿...يُمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ

﴿النمل:10﴾، حيث نهي الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام عن الخوف، فإتّما يخاف من العقاب الذي ظلم بمخالفة لأمر أو نهي؛ ولكن من بدّل عمله السيء بالعمل الحسن، وتاب، فإنّ الله يغفر له سيئاته ويرحمه<sup>1</sup>.

ولفظ "الغفور" في اللغة يدلّ على التغطية والستر<sup>2</sup>، والغفور والغفار من ابنية المبالغة<sup>3</sup>. والغفور من أسماء الله الحسنى ومعناه: الساتر لذنوب عباده وغيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم<sup>4</sup>.

أما لفظ "رحم" فمعناه في اللغة الرقة والتعطّف والرأفة<sup>5</sup>، "وإذا وُصف بها الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد عن الرقة، وعلى هذا زوي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف"<sup>6</sup>.

وجاءت هذه الفاصلة لتدلّ "بأسلوب الكناية على أنّ الله جلّ جلاله يغفر له، إذا بدّل حسنا من بعد سوء"<sup>7</sup>.

رابعا- في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:40].

وهذا كلام سليمان عليه السلام عندما أحضر له عرش بلقيس في لمح البصر؛ حيث اعترف بأنّ هذا فضل من ربه، لا بتلائه، فينظر هل يشكر أم يكفر.

<sup>1</sup> يُنظر: حبكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبير، مج9، ص 43.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة (غ ف ر)، ج4، ص 385.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (غ ف ر)، ج36، ص 3273.

<sup>4</sup> يُنظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج3، ص 373.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن فارس: المصدر نفسه، مادة (ر ح م)، ج2، ص 498.

<sup>6</sup> الراغب: المفردات، مادة (ر ح م)، ص 145.

<sup>7</sup> حبكة الميداني: المصدر نفسه، مج9، ص 44.

ثُمَّ بَيَّنَّ الْكَلِمَةَ بِأَنَّ فَائِدَةَ وَنَفْعَ الشُّكْرِ عَائِدٌ عَلَى الشَّاكِرِ نَفْسَهُ، وَمَنْ كَفَرَ بِالنَّعْمِ وَلَمْ يَشْكُرْ رَبَّهُ عَلَيْهَا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ.

والغنى في اللغة ضد الفقر<sup>1</sup>، ويدلّ على الكفاية<sup>2</sup>، والغنى في حق الله تعالى يظهر من وجهين؛ الأول: غناه بما يملك، وفي هذا يقول السعدي: "هو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنى عاماً، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية"<sup>3</sup>، والثاني استغناؤه عن الخلق؛ مستغن عن نصرتهم وعن تأييدهم لملكه<sup>4</sup>، فهو لا يحتاج إلى أحد في شيء، والكل يحتاج إليه<sup>5</sup>.

والكرم في اللغة شرف في النفس أو في خُلق من الأخلاق، ويقال: كرم السحاب: أتى بالغيث<sup>6</sup>، والكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل<sup>7</sup>، وهو من صفات الله تعالى وأسمائه، ومعناه: الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق<sup>8</sup>.

فقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾؛ فالذي كفر بنعم الله ولم يشكرها فإن الله غني عن شكره، ولا يحتاج إليه، بل إن شكر الشاكرين يعود بالمنفعة عليهم وليس على الله سبحانه وتعالى، ورغم كفرانهم فإنه كريم؛ فلا يقطع عنهم نعمه وأرزاقه<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج4، ص 150.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن فارس: المصدر السابق، مادة (غنى)، ج4، ص 390.

<sup>3</sup> السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 948.

<sup>4</sup> يُنظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت، ط3(1412هـ، 1992م)، ص 92، 93.

<sup>5</sup> يُنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 390.

<sup>6</sup> يُنظر: ابن فارس: المصدر السابق، مادة (ك ر م)، ج5، ص 171، 172.

<sup>7</sup> يُنظر: ابن منظور: المصدر السابق، مادة (كرم)، ج43، ص 3861.

<sup>8</sup> يُنظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص 166.

<sup>9</sup> يُنظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص 456. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص 265.

خامسا- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [النمل:78].

بعد أن أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه في الآيتين السابقتين بأن القرآن المنزّل عليه سيخبر بني إسرائيل بالحقّ في كثير من الأمور التي اختلفوا فيها، كما أنّه هاد للمؤمنين إلى طريق الرشاد ورحمة لهم في الأحكام التشريعية التي جاء بها، أخبره في هذه الآية بأنه -الله سبحانه وتعالى- سيقضي بحكمته يوم القيامة بين المصيب والمخطئ بحكمه العادل، وهو العزيز القوي القادر على الانتقام من المبطلين، ومكافأة المحسنين، العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه<sup>1</sup>.

ولقد جاءت الفاصلة المتمثلة في الاسمين الجليلين بمثابة التذييل لما أخبر به في الآية<sup>2</sup>.

#### المطلب الثاني: الجناس في سورة النمل

والجناس في اللغة من الجنس وهو: الضرب من كلّ شيء، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس. ويُقال: هذا يُجانس هذا أي يشاكله<sup>3</sup>.

وأما في اصطلاح البلاغيين فالجناس: "هو تشابه الكلمتين في اللفظ"<sup>4</sup>، "مع الاختلاف في المعنى"<sup>5</sup>.

وهو قسمان: تام<sup>6</sup> وغير تام<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20، ص29.

<sup>2</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج19، ص304، 305.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (جنس)، ج8، ص700.

<sup>4</sup> السكاكي: مفتاح العلوم، ص539.

<sup>5</sup> عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط(1420هـ، 1999م)، ج4، ص69.

<sup>6</sup> والجناس التام هو: أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ولا يختلفان إلا من جهة المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ

السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...﴾ [الروم:55]، فالساعة الأولى: القيامة، والساعة الثانية: واحدة الساعات.

يُنظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية، ص224، 225. والجناس التام: ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها. يُنظر: عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، ص163.

ورغم ما للجناس من جمال موسيقي يطرب الأذن، إلا أنّ النقاد يرون عدم التكلف فيه، بل يكون مستحسناً إذا استدعاه المعنى، حيث يقول عبد القاهر الجرجاني: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعا حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه"<sup>2</sup>.

والجناس وقع في أربعة مواضع في سورة النمل، وكلها من الجناس غير التام.

### الفرع الأول: الجناس في ﴿مِنْ سَيِّئِينَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ

مِنْ سَيِّئِينَ يَفِينِ﴾ [النمل: 22].

وهذا من كلام الهدهد مع سليمان عليه السلام، وهو بمثابة الحجة التي جاء بها؛ حيث أخبره بأنه جاءه من مدينة سبأ ببحر عظيم، وهو خبر عن أهل هذه المدينة، وملكتهم ومالها من ملك عظيم. ولفظ "النبأ" معناه الخبر الذي له شأن، وبين "سبأ" و "نبأ" جناس غير تام، حيث كان الاختلاف بين اللفظين في نوع الحروف، فالأولى تبدأ بحرف (السين)، والثانية تبدأ بحرف (النون)، مع الاتفاق في عدد الحروف وحركاتها. وقد حسن موقعه في هذه الآية؛ حيث قال الزمخشري: "ولقد جاء هاهنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى؛ ألا ترى أنه لو وضع مكان نبأ ببحر، لكان المعنى صحيحاً، وهو كما جاء أصح، لما في النبأ، من الزيادة التي يطابقها وصف الحال"<sup>3</sup>.

إنّ الجناس في هذه الآية طلبه المعنى، فجاء التعبير جميل اللفظ، دقيق المعنى، ولو قال: ببحر لاختلّ اللفظ والمعنى معاً<sup>4</sup>.

والمواضع الثلاثة المتبقية التي سنتناولها هي من جناس الاشتقاق<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> والجناس غير التام هو: ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة. يُنظر: عبد الفتاح لاشين: المصدر نفسه، ص 164.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 11.

<sup>3</sup> الزمخشري: المصدر السابق، ج 4، ص 447.

<sup>4</sup> يُنظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي، مج 17، ص 10769.

<sup>5</sup> أن يجمع الاشتقاق اللفظين، بمعنى أن يجمعهما أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

أَلْفَيْمٍ...﴾ [الروم: 43]. فالأصل اللغوي لـ "أقم والقيم" واحد. يُنظر: عبد الفتاح لاشين: المصدر السابق، ص 165.



الفرع الثاني: الجناس في ﴿تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾<sup>ط</sup>

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39].

لما طلب سليمان عليه السلام من جنده إحضار العرش قبل أن تأتي بلقيس وقومها مسلمون؛ ليكون دليلاً على قدرة الله، وإثباتاً لنبوته، أجابه إلى ذلك عفريت من الجن وقال له: أنا أحضره لك قبل أن تقوم من مجلسك<sup>1</sup>.

وقول العفريت: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ يدل على أنه كان "يعلم فخامة هذا العرش وضخامته، وأنه شيء نفيس يستحق الاعتناء به، خاصة في عملية نقله؛ لذلك قال من ناحية كبره وضخامته «فأنا عليه قوي» قادر على حمله، ومن ناحية نفاسته وفخامته، فأنا عليه أمين لن أبدد منه شيئاً<sup>2</sup>.

ولفظ "القيام" مشتق من الفعل "قام"، وهو في اللغة نقيض الجلوس<sup>3</sup>، وقيل إن لفظ المقام في الآية بمعنى المقعد، ولكن الراغب فرّق بين المقام والمقعد؛ فالمكان الواحد يسمى مقاما إذا اعتبر بقيامه، ومقعدا إذا اعتبر بقعوده<sup>4</sup>.

فالتعبير القرآني جاء في منتهى الدقة؛ لأنّ المعبر والمهم هنا هو القيام.

الفرع الثالث: الجناس في ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

وهذا من كلام بلقيس بعدما وصلت إلى سليمان عليه السلام، ورأت ما رأت، فعلمت نبوته وتابت ورجعت عن كفرها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> يُنظر: مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج 19، ص 141.

<sup>2</sup> الشعراوي: المصدر نفسه، مج 17، ص 10784.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (قوم)، ج 42، ص 3781.

<sup>4</sup> يُنظر: الراغب: المفردات، مادة (ق و م)، ص 315.

<sup>5</sup> يُنظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 20، ص 606.

والإسلام هو الانقياد إلى الله تعالى<sup>1</sup>، وهذا القول مثل قول سحرة فرعون لما رأوا معجزة

موسى عليه السلام: ﴿أَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 70].

إن بلقيس لم تقل: أسلمت لسليمان، رغم أنها دانت له، واقتنعت بنبوته؛ لأن كبرياء الملك جعلها لا تخضع له، بل تعلن إسلامها لله مع سليمان؛ لأنه السبب في ذلك<sup>2</sup>.

وبين "أسلمت" و"سليمان" جناس اشتقاق، وحسن موقع "سليمان" في هذه الآية؛ لأنه كان السبب في إسلامها.

الفرع الرابع: الجناس في ﴿أَطِيرْنَا﴾ و﴿طَائِرُكُمْ﴾

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

تَفْتَنُونَ﴾ [النمل: 47].

وهذا حوار بين صالح عليه السلام وقومه ثمود، حيث تشاءموا من صالح عليه السلام ومن الذين آمنوا

معه، واعتبروا أنّ القحط والجذب الذي أصابهم كان بسببهم، فأخبرهم بأنّ ما أصابهم هو بسبب ذنوبهم التي اقترفوها، وأنّ ما نزل بهم هو اختبار من الله عز وجل لينظر هل يقلعون ويتوبون أم لا؟

وبين لفظ "اطيرنا" ولفظ "طائركم" جناس اشتقاق؛ ف"طائركم" مشتقة من الفعل "تطيّر" أو "اطيّر"، وقد قلنا في مطلب المشاكلة: إنّ صالح عليه السلام خاطبهم بنفس تعبيرهم مشاكلة لقولهم<sup>3</sup>.

إنّ دراستي لهذا الفصل سمحت لي بتناول الجمليات التي اشتملها البديع في سورة النمل، مع ورود المعاني على سجيته، وذلك من خلال تناول المحسنات المعنوية، واللفظية.

فبالنسبة للمحسنات المعنوية يكون التحسين فيها راجعا إلى المعنى، ويكون تحسين اللفظ

تابعاً له، وقد ورد منها في السورة: المطابقة، والمقابلة، والمشاكلة، والالتفات. أما ورودها فكان غير متكلف وهذا من تمام إعجاز القرآن الكريم.

أما المطابقة فتسمح بزيادة إيضاح المعنى من خلال تداعي المعاني واستشارة الأذهان وهذا عن

طريق الجمع بين لفظين متضادين، فكما يوضح الشيء بشبهه يوضح كذلك بضده، وهذا من

الأغراض البلاغية للمطابقة، حيث كان لها الأثر البالغ في الآيات التي وردت فيها، كما أضفى صورا

<sup>1</sup> يُنظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 19، ص 270.

<sup>2</sup> يُنظر: الشعراوي: المصدر السابق، مع 17، ص 10792.

<sup>3</sup> يُنظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ج 19، ص 273.

جمالية عليها. وقد احتوت سورة النمل على هذا المحسن في مواضع عديدة، حيث بلغت عشرين مطابقة.

وأما المقابلة فأثرها البلاغي في توضيح المعنى في إيجاز يبدو جليا من خلال الإتيان بمعانٍ متوافقة ثم تأتي بما يقابل تلك المعاني على الترتيب، وقد وردت في السورة في ثلاثة مواضع؛ فجاءت مقابلة بين المؤمنين والكافرين وأحوالهم في بداية السورة، وجاءت المقابلة الثانية بين المستور في السماوات والأرض بما هو مستور في أطواء النفس الإنسانية، وأما الثالثة فهي مقابلة بين الأنهار الجارية والجبال الثابتة الراسية. وقد أضفت المقابلة جمالا خاصا على هذه الآيات من حيث اللفظ والمعنى.

أما المشاكلة فوُجعت في السورة في أربعة مواضع، حيث تكررت الألفاظ ولكن المعاني كانت مختلفة، فأضفت جمال العبارة وسموها على الآيات الواردة فيها، والتفريق بين المعاني، مما يؤدي إلى ثباتها في الذهن، وتقوية المعنى في إيجاز.

أما الالتفات في سورة النمل فقد ورد في سورة النمل من خلال التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل لتأكيد وقوع الفعل وهذا لأهميته، كما ورد عن طريق الانتقال بين الضمائر، من خلال الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والذي يفيد المواجهة والجزم والتأكيد، وكذلك من خلال الالتفات من الغيبة إلى التكلم لتأكيد المعنى وإزالة التوهم، وأيضا من خلال الالتفات من الخطاب إلى الغيبة والذي يفيد التجدد والاستمرار بحيث كان أبلغ في تحطئة المشركين وتوبيخهم، ومن خلال الالتفات من التكلم إلى الغيبة لتوبيخ المكذبين لآيات الله وتربية المهابة لديهم، مما جعل البيان القرآني يفيض أسرارا بلاغية زادت جمالا في اللفظ والمعنى.

وأما المحسنات اللفظية فيكون فيها تحسين اللفظ مع تبعيته للمعنى، وقد تناولت من هذه المحسنات؛ السجع، والجناس.

فالسجع من حيث هو تواطؤ فواصل الكلام المنثور على حرف واحد، قد ورد في سورة النمل غير متكلف، بحيث جاءت فواصل آيات السورة منتهية بحرفي النون والميم، وهذا ما يؤثر في السامع، كما يؤدي إلى تقوية المعنى، كما أشرت إلى دلالة فواصل الآيات وعلاقتها بسياق الآيات، وكذلك دلالة أسماء الله الحسنى، وبينت مناسبة هذه الأسماء للسباق الذي وردت فيه.

وأما الجناس فيكون مستحسنًا إذا استدعاه المعنى ، وأحسنه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه. أما وروده في سورة النمل فهو في أربعة مواضع، وكلها جناس غير تام، وجاء غير متكلف، بحيث أضفى جمالا لفظيا وموسيقيا يطرب النفوس.

الجملة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية

# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي وفقني إلى إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وبعد: فهذه خاتمة هذا المشوار، ونهاية هذه الدراسة لآيات سورة النمل، والتي من خلالها حاولت أن أبرز ما في السورة الكريمة من جوانب بلاغية متعددة تكشف لنا ما في السورة من بديع النظم وعجائب البيان.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إن اصطفاء المفردات في سورة النمل لا يرجع إلى الذوق فحسب وإنما يتعداه إلى مراعاة الدقيق الذي يتناسب مع السياق الذي وردت فيه، فنلاحظ أن كل لفظ قد وضع في مكانه المناسب في بناء محكم و متماسك؛ بحيث لا يمكن أن يحل مكانه لفظ آخر، ولو حصل لأدى إلى اختلال المعنى، وانطلاقاً من ذلك فإنه ينتفي لدينا القول بالترادف.
- تأثير السياق والجو العام للسورة على اصطفاء الألفاظ؛ حيث جاءت اللفظة تدل دلالة دقيقة على المعنى في السياق الذي وردت فيه، وهذا ما نلاحظه من خلال تكرار القصة واختلاف الألفاظ المعبر بها، وهذا ما يتجلى في القصص القرآني؛ لذلك يُعد اصطفاء الألفاظ والحروف من أخص وجوه الإعجاز البلاغي.
- إن القرآن الكريم لا يكتفي بالمفردة فقط التي تؤدي المعنى الدقيق، بل إذا كانت تلك المفردة موهمة لمعنى آخر غير مراد في الآية، جاء بلفظة أخرى تقاربها في المعنى؛ لتؤكد المعنى الذي سبقت من أجله الآية.
- إن اختيار هيئة التعريف والتنكير في سورة النمل له دلالة البلاغية، ومعامله الجمالية؛ فالتعريف باسم الإشارة جاء من أجل بيان بُعد المنزلة والشرف والتعظيم. والتعريف بالاسم الموصول جاء لغرض الإيناس والتلطّف، كما جاء من أجل الذمّ. وتنوّع التعريف بـ (ال) بين الاستغراق والعهد. وللتعريف بالإضافة أغراض منها: التعظيم والتهكّم

والتفخيم والتشريف. أما التنكير فتنوعت أغراضه في السورة بين التفخيم والتعظيم والتقليل والتبعيض والتحقير والتعجب.

— وكما جاءت الألفاظ مناسبة للسياق الذي وردت فيه؛ فإنّ الأساليب والتراكيب كذلك جاءت حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ وذلك من خلال التقديم والتأخير، والتوكيد، والأساليب الإنشائية، والقصر، والإيجاز والإطناب.

— إنّ التقديم والتأخير في سورة النمل غاية في الإعجاز البياني، وفي استخدام الألفاظ الدالة على معانيها وفي محلّها، والتي تفيد كمال المعنى، والخضوع للسياق الذي ورد فيه هذا الأسلوب فاستقام التّظم، ممّا أدّى إلى تقوية المعنى، وشدّ انتباه السامع.

— إنّ أسلوب التوكيد الوارد في سورة النمل سواء أكان توكيدا بالأدوات؛ (إنّ)، (إنّ) واللام)، (اللام وقد)، (اللام ونون التوكيد الثقيلة)، أم كان توكيدا لفظيا أو معنويا، فغرضه من الناحية البلاغية تقوية المعنى وتمكينه في الآيات الوارد فيها، وكمال العناية بالمضمون.

— ورود الصورة البيانية في السورة بأقسامها؛ حيث ورد التشبيه في مواضع قليلة، أما الاستعارة والكناية فقد وردت بكثرة في السورة، وهذه الصور لم تكن مقصودة لذاتها؛ بل جاءت لأهداف عظيمة، ومقاصد جليّة.

— كما تأتي هذه الصور في المقام الذي يستدعيها ويتطلبها دون سواها، ولا يمكن إيصال المعنى إلى المتلقي إلا بها، فهذه الصور عناصر رئيسة في معاني تلك الآيات، وبناء تراكيبها، وهذا مكنم بلاغتها، وسرّ إعجازها.

— كما وردت في السورة الفنون البديعية بقسميها؛ المعنوية واللفظية، وهذه المحسنات لم تكن متكلفة، بل المعنى هو الذي تطلبها، فجاءت حسنة في موضعها.

— جاءت المطابقة في سورة النمل لأغراض بلاغية هي: الإيجاز، وإثارة التساؤل والتشويق، وشدّ الانتباه، والأهمية، تأكيد المعنى مع الإنكار، وإزالة الوهم.



- يتجلى الغرض البلاغي من المقابلة في سورة النمل في التفصيل ولكن بإيجاز، كما تبدو في التقابل التصويري في المقابلة الكونية.
- أما بالنسبة للمشكلة فقد وقعت في سورة النمل؛ حيث تكررت الألفاظ ولكن المعاني كانت مختلفة، والدلالة البلاغية للمشكلة في سورة النمل تظهر في جمال العبارة وسموها، وتحقيق المفارقة بين المعنيين، فيؤدي إلى استقرار ذلك ورسوخه في الذهن، وتقوية المعنى.
- أما أسلوب الالتفات في سورة النمل، فقد جاء بمختلف صورته، ولقد كان لكل صورة أغراض جاءت من أجلها؛ فالتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل جاء للإشعار بالتحقق والثبوت والوقوع، وأن الأمر كائن لا محالة. أما الالتفات بين الضمائر؛ فالتحوّل من الغيبة إلى الخطاب أفاد التنبيه والجزم والتأكيد، والمواجهة. بينما التحوّل من الغيبة إلى التكلّم جاء لتأكيد المعنى وإزالة التوهم، وتأكيد الاختصاص. وأما الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فيفيد التجديد والاستمرار في الفعل وهذا كان أبلغ في تخطئة رأي المشركين وتوبيخهم والإعراض عنهم. كما جاء العدول عن التكلّم إلى الغيبة بغرض توبيخ المكذّبين لآيات الله وزرع المهابة لديهم.
- الغرض البلاغي للسجع في سورة النمل يبدو من حيث الأثر الذي يتركه في السامع، وشدّ انتباهه، وتقوية المعنى، ويتجلى هذا في دلالة فواصل الآيات وعلاقتها بسياق الآيات، وكذلك دلالة أسماء الله الحسنى، والتي بينت مناسبتها للسياق الذي وردت فيه.
- كما بينت هذه الدراسة أنّ الفاصلة في سورة النمل لا تهتم باللفظ على حساب المعنى، بل جاءت مراعية لكليهما، في أسلوب بياني رفيع لا تكلف فيه، فجاءت ملخصة لمعنى الآية أو مؤكدة له. ومن الفواصل التي جاءت في سورة النمل أسماء الله الحسنى والتي كانت معانيها ودلالاتها مناسبة للسياق الذي وردت فيه.
- وأمّا الجناس فيكون عندما تتشابه كلمتين في اللفظ، مع الاختلاف في المعنى، ويكون مستحسنًا إذا استدعاه المعنى، وتبدو الدلالة البلاغية للجناس في السورة من حيث الجمال اللفظي في التعبير، ودقة المعنى.

### التوصيات:

وفي ختام هذه الدراسة أوصي طلبة العلم بأن تتجه همهم إلى الدراسات البلاغية للقرآن الكريم؛ لعلنا يوما ما نجد دراسة بلاغية متكاملة لكل سور القرآن الكريم، وتمكين القراء من الاطلاع على هذه الدرر والأسرار الكامنة في أسلوبه، واكتشاف سرّ إعجازه.

وهكذا هو الإعجاز البلاغي القرآني الذي يشعر معه كل متأمل بالنقص والضعف في إدراك ما فيه من أسرار ودرر، ولقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع، فإن وُفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى عليّ وتوفيقه لي، وإن كانت الأخرى فمن ضعفي وقلة حيلتي أمام هذا الكلام المعجز.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

# فهارس طائفة

جامعة الأمير عبد القادر  
العلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية
البقرة		
أ	23	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
أ	24	﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾
84	96	﴿ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ... ﴾
190	117	﴿ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾
55	249	﴿ ... قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ... ﴾
200	152	﴿ ... وَأَشْكُرُوا لِي... ﴾
84	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ... ﴾
آل عمران		
33	35	﴿ ... رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا... ﴾
الأنعام		
58	10	﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

57	11	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾
171	97	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... ﴾
الأعراف		
202	70	﴿ ... فَأَيْنَمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
59-58	80، 81، 82	﴿ وَلَوْ طَآءً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ، وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۗ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴾
156	107	﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾
156	117	﴿ ... فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾
يونس		
أ	38	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۗ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
هود		
138	46	﴿ قَالَ يَسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... ﴾
يوسف		
193	31	﴿ ... فَلَمَّا رَأَيْتَهُ ۗ أَكْبَرْتَهُ... ﴾

إبراهيم		
133	7	﴿...لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾
96	17	﴿...وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ...﴾
الحجر		
164	42	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾
النحل		
42	69	﴿...فَاسْأَلِكِ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا...﴾
104	91	﴿...وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾
الإسراء		
86	85	﴿...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
الكهف		
48	25	﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾
168	68	﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾
طه		
38	11	﴿فَلَمَّا أَنهَا...﴾
244	70	﴿...ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾
179	77	﴿...فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾

المؤمنون		
99	82	﴿ قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا . . . ﴾
98	83	﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَعَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾
النور		
77	35	﴿ . . . وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
الفرقان		
163	18	﴿ . . . وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ . .. ﴾
الشعراء		
23	2	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾
24	21	﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾
156	32	﴿ فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾
62	47 48	﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾
24	160 - 175	﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطِ الْمُرْسَلِينَ . . . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾



النمل		
-84-79-67-23 96	1	﴿ طَسَّ تَلَكَّ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴾
212	2	﴿ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
212-132-72	3	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾
-163-139-105 212	4	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿
212-68	5	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِضُونَ ﴾
237-110-85	6	﴿ وَإِنَّكَ لَنُلْقِي الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾
139-42-36-23	7	﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾
73-38-23	8	﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾
-137-73-23 238-178	9	﴿ يَمْوَسِي إِنَّهُ ءَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
-139-138-23 -192-178-155 239-235	10	﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾
239-193-23	11	﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
194-143-40-23	12	﴿ وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ﴿

		ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾
164-23	13	﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾
143-128-23	14	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥﴾
-86-75-61-43 180-112-93	15	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾
111-44	16	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
93	17	﴿وَحِشْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾
182-126-76-63	18	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ التَّمَلِّ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يُحِطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾
166-94-63-46	19	﴿فَنَبَسَمَ صَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾
124-46	20	﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢١﴾
216-113-95	21	﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

-195-167-47 242	22	﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يُقِينِ ﴾
183-106-87-51	23	﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾
168-164	24	﴿ وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾
-213-196-184 224	25	﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾
134-77	26	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾
230-197-140	27	﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾
140-53	28	﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾
140-106-78	29	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾
107	30	﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
127	31	﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَنُؤِي مُسْلِمِينَ ﴾
184-127	32	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ﴾
235-15	33	﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾

235-198-107	34	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَبةً أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾
102	35	﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾
118-101-87-60	36	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتَمِدُونَنِي بِمَالِي فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَانِيكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾
54	37	﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾
	38	﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾
243-108	39	﴿ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾
-133-109-88 -199-169-140 240	40	﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾
200-83	41	﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَنَهَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾
217-157	42	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾

201	43	﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾
-109-62-15 244-235	44	﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
179-113-99	45	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾
234-202	46	﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾
-234-217-101 244	47	﴿ قَالُوا أَطِيزْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَالَ طَئِيرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ ﴾
203-144-78	48	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾
	49	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾
218-170-114	50	﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
129-61	51	﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
234-97	52	﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ

		لَايَةَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿
234-97	53	﴿ وَأُنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿
204-119-59-24	54	﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتَاؤُنَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿
204-119-59-24	55	﴿ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَّجْهَلُونَ ﴿
59-58-24	56	﴿ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ ۗ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿
24	57	﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۗ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ ۗ قَدَرْنَا مِمَّنَ الْغَابِرِينَ ﴿
24	58	﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً ۖ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿
123-119	59	﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ءَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿
-123-120-100 228-226	60	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَابِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ءَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿
-185-120-100 214	61	﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ءَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿
-170-146-120 229-186	62	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿

		وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَهُ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
171-147-120	63	﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾
-129-120-80 206-205	64	﴿ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَهُ اللَّهُ قُلُّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
124	65	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾
207-171	66	﴿ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۗ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۖ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾
121-99-72-57	67	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا ۖ أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾
98-72-57	68	﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
130-57-56	69	﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾
	70	﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
223-125-79	71	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾



223	72	﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي سَتَعَجِلُونَ ﴾
	73	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾
207-96	74	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾
207-172-135	75	﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾
173-110	76	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾
110	77	﴿ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾
241	78	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾
	79	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾
231-173-115	80	﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ ﴾
231-208-174	81	﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
81-79	82	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾
230	83	﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ

		﴿ بُورِعُونَ ﴾
230-121	84	﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
	85	﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾
122-69	86	﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
222	87	﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴾
158-82	88	﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾
236-203	89	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾
-226-203-123 236	90	﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلَّا تُجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
-82-74-70-27 236-145	91	﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
210-28	92	﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾
-145-28-27 237-148	93	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايِنُهُ فَعَرِّفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا

		تَعْمَلُونَ ﴿
القصص		
28	3	﴿ نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
28	4	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ... ﴾
194	15، 16	﴿ ... هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ... ﴾
42-36	29	﴿ ... لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ... ﴾
137-38	30	﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسِسَ إِلَيْهِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
138	31	﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ... ﴾
27	58	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ ... ﴾
27	84	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
27	85	﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾

### العنكبوت

48	14	﴿... فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...﴾
لقمان		
206	25	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾
الأحزاب		
33	4	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي...﴾
سبأ		
114	31	﴿... لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾
الصفات		
138	104، 105	﴿وَنَدَبْتُهُ أَنْ يَتَّبِعِهِمْ ، قَدْ صَدَقْتَ الرَّيَّاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
ص		
164	82، 83	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمْ المُخْلِصِينَ﴾
الزمر		
42-41	21	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ...﴾
فصلت		
72	7، 6	﴿... وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾
الزخرف		
120	52	﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾

206	87	﴿ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ... ﴾
الحجرات		
180	9	﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... ﴾
126-125	12	﴿ ... وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا... ﴾
28	13	﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ... ﴾
القمر		
85	55	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴾
الرحمن		
131	56	﴿ فِيهِنَّ قَلْصِرَاتُ الْطَّرْفِ... ﴾
123	60	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾
131	72	﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾
المجادلة		
182-181-76	11	﴿ ... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ... ﴾
القيامة		
124	6	﴿ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
النازعات		
124	42	﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴾

البروج		
49	20	﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾

قريش		
74	3	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	الصحابي
75	«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ ...»	حذيفة بن اليمان
182	«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ...»	أبو الدرداء
7	«من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات ...»	أبي بن كعب
9	«وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ...»	عبد الله بن مسعود



## فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
11	أحمد بن الحسين بن علي، البيهقي
33	أحمد بن عبد الحلیم، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية
215	أحمد بن فارس، أبو الحسين الرازي
17	أحمد بن محمد، أبو إسحاق الثعلبي
35	أحمد بن محمد، أبو سليمان الخطابي
211	الحسن بن رشيق، أبو علي بالقيرواني
146	الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري
65	الحسين بن محمد، أبو القاسم الراغب الأصفهاني
220	الحسين بن محمد، بن عبد الله الطيبي
92	سليمان بن عبد القوي، الطوفي
153	سيد قطب بن إبراهيم
34	عبد الحق بن غالب، بن عطية
6	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي
69	عبد الرحمن حبنكة الميداني
92	عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني
191	عبد الله بن المعتز بالله محمد الهاشمي
66	عثمان بن جني أبو الفتح
16	عثمان بن سعيد، أبو عمرو الداني
55	علي بن إسماعيل، أبو الحسن ابن سيده
136	علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني

6	عليّ بن محمد، علم الدين السخاوي
34	عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ
6	محمد الطاهر ابن عاشور
11	محمد بن أيوب، أبو عبد الله بن ضريس
32	محمد بن عبد الرحمن، جلال الدين القزويني
3	محمد بن عبد الله بن بهادر، الزركشي
35	محمد بن عبد الله دراز
7	محمد بن عبد الله، أبو بكر ابن العربي
50	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود
76	محمد بن مصطفى المراغي
168	محمد بن يعقوب، أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي
208	محمد متولي الشعراوي
17	محمود بن أحمد، أبو محمد بدر الدين العيني
80	محمود بن عبد الله، شهاب الدين أبو الثناء الألوسي
52	محمود بن عمر، أبو القاسم الزمخشري
32	نصر الله بن أبي بكر، أبو الفتح ابن الأثير
70	وهبة بن مصطفى الزحيلي
71	يعيش بن علي، أبو البقاء موفق الدين بن يعيش
32	يُوسُف بن أبي بكر، أَبُو يَعْقُوب السكاكي

## فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

### أولاً: الكتب

1. ابن أبي الأصبع، أبو محمد زكي الدين: بديع القرآن، تحقيق: حفي محمد شرف، دار نهضة مصر، مصر، د(ط، س ط).
2. ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، دس ط.
3. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د (ط،س).
4. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1(1408هـ، 1987م).
5. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: كتاب الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المملكة العربية السعودية، ط1(1386هـ، 1966م).
6. ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم: البرهان في ترتيب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط(1410هـ، 1990م).
7. ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن: علوم الحديث (المقدمة)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1425هـ، 2004م).
8. ابن الضريس، أبو عبد الله محمد بن أيوب: فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، تحقيق: عروة بدير، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1(1408هـ، 1987م).
9. ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، د(ط، س ط).
10. ابن المعتز، أبو العباس عبد الله: البديع، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1(1410هـ، 1990م).

11. ابن جنبي، أبو الفتح عثمان: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ط1(1399هـ، 1979م).
12. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1(1414هـ، 1993م).
13. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، ضبط وشرح: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط(2012م).
14. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د، ط، س ط).
15. ابن رشيق، أبو علي الحسن: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط5(1401هـ، 1981م).
16. ابن سيده، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1(1377هـ، 1958م).
17. ابن عادل الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي: اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1419هـ، 1998م).
18. ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط(1984م).
19. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1(1423هـ، 2002م).
20. ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط(1399هـ، 1979م).
21. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن يحيى الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1417هـ، 1996م).
22. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد تقي الدين: طبقات الشافعية، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند، ط1(1399هـ، 1979م).

23. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين: فضائل القرآن، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط1(1416هـ).
24. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د، ط، س ط).
25. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د، ط، س).
26. ابن نايقا، عبد الله بن الحسين: كتاب الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: محمود حسن أبو ناجي الشيباني، مركز الصف الالكتروني (براج وخطيب)، جدة، السعودية، بيروت، لبنان، ط1(1407هـ، 1987م).
27. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2(1424هـ، 2004م).
28. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط(2005م).
29. ابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د، ط، س ط).
30. أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني: الكلبيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2(1419هـ، 1998م).
31. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د، ط، س ط).
32. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1413هـ، 1993م).
33. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د، ط، س ط).
34. أبو شهبة، محمد محمد: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، مصر، ط4(1408هـ).

35. أبو شهبة، محمد محمد: المدخل لدراسة القرآن، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3 (1407هـ، 1987م).
36. أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي: فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، د(ط، س ط).
37. أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر، مصر، د(ط، س ط).
38. أحمد الصاوي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، المطبعة الأزهرية، مصر، ط1 (1345هـ، 1926م).
39. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1421هـ، 2001م).
40. أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، ط (1403هـ، 1983م).
41. الأدنه وي، أحمد بن محمد: طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1 (1417هـ، 1997م).
42. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، د(ط، س ط).
43. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، ط1 (1400هـ).
44. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المثارة، جدة، ودار الرفاعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3 (1408هـ، 1988م).
45. برهان الدين البقاعي، أبو الحسن إبراهيم: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر د(ط، س ط).
46. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم: محمود عبد القادر الأرنؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 (2001م).

47. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ودار الريان للتراث، مصر، ط1(1408هـ، 1988م).
48. التفتزاني، سعد الدين مسعود بن عمر: المطول شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1(1425هـ، 2004م).
49. التفتزاني، سعد الدين مسعود بن عمر: شروح التلخيص (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط، س ط).
50. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1(1998م).
51. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: الإعجاز والإيجاز، المطبعة العمومية، مصر، ط1(1867م).
52. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1(1422هـ، 2002م).
53. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7(1418هـ، 1998م).
54. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، ط2(1385هـ، 1965م).
55. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر: أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، (ط، س ط).
56. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5(2004م).
57. الجرجاني، علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (ط، س ط).
58. الجرجاني، محمد بن علي: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، ط(1418هـ، 1997م).



59. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 (1990م).
60. حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: معارج التفكير ودقائق التدبير، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1 (1423هـ، 2002م).
61. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط(1418هـ، 1998م).
62. الخطابي، أبو سليمان أحمد: ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3 (1976م).
63. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، بيروت، ط3 (1412هـ، 1992م).
64. الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط، س ط).
65. الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله: التلخيص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1 (1904م).
66. خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15 (2002م).
67. الداني، أبو عمرو الأندلسي: البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط1 (1414هـ، 1994م).
68. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف و محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1405هـ، 1985م).
69. الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 (1401هـ، 1981م).
70. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط(1432هـ، 2010م).

71. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، د(س ط).
72. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط (1392هـ، 1972م).
73. الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1 (1415هـ، 1995م).
74. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د(ط،س ط).
75. الزمخشري، أبو القاسم محمود: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1419هـ، 1998م).
76. الزمخشري، أبو القاسم محمود: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 (1418هـ، 1998م).
77. الزمخشري، أبو القاسم محمود: المنصّل في صنعة الأعراب، تحقيق: خالد إسماعيل حستان، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2 (1430هـ، 2009م).
78. السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4 (1427هـ، 2006م).
79. السامرائي، فاضل صالح: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، ط3 (1423هـ، 2003م).
80. السبكي، تاج الدين أبو نصر: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط1 (1383هـ، 1964م).
81. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1 (1423هـ، 2002م).

82. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد: مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1420هـ، 2000م).
83. سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3(1408هـ، 1988م).
84. السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، د(ط، س ط).
85. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط16(1423هـ، 2002م).
86. سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط33(1425هـ، 2004م).
87. السيوطي، جلال الدين: أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، ط2(1398هـ، 1978م).
88. السيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: حامد بن أحمد الطاهر البسيوني، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، ط2(1430هـ، 2009م).
89. السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2(1399هـ، 1979م).
90. الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، دون معلومات الطبع.
91. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، د(ط، س ط).
92. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1(1427هـ، 2007م).
93. صباغ عبيد دراز: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1(1406هـ، 1986م).
94. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط10(1977م).

95. طاهر بن صالح أحمد الجزائري: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان، مطبعة المنار، مصر، ط1(1334هـ).
96. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط1(1422هـ، 2001م).
97. الطوفي، سليمان بن عبد القوي: الإكسير في علم التفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د(ط، س ط).
98. الطيبي، الحسين بن محمد: التبيان في البيان، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ط1(1411هـ، 1991م).
99. عاتق بن غيث البلادي: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، المملكة العربية السعودية، ط1(1402هـ، 1982م).
100. عاتق بن غيث البلادي: معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة، المملكة العربية السعودية، ط1(1400هـ، 1980م).
101. عائشة عبد الرحمن: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، د(س ط).
102. عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الرشيد، الجزائر، ط1(1430هـ، 2009م).
103. عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1(1405هـ، 1985م).
104. عبد العزيز عتيق: علم المعاني-البيان-البدیع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د(ط، س ط).
105. عبد الفتاح لاشين: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1(1402هـ، 1982م).
106. عبد الفتاح لاشين: البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1(1419هـ، 1999م).
107. عبد الكريم محمود يوسف: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم - غرضه، إعرابه، مطبعة الشام، دمشق، سوريا، ط1(1421هـ، 2000م).

108. عبد اللطيف الخطيب: معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ط1(1422هـ، 2002م).
109. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط(1420هـ، 1999م).
110. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: مجاز القرآن، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط1(1419هـ، 1999م).
111. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، ط1(1406هـ، 1986م).
112. علم الدين السخاوي، أبو الحسن علي بن محمد: جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط1(1408هـ، 1987م).
113. العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز، تحقيق: عبد الحمدي هندراوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1(1423هـ، 2002م).
114. علي أبو القاسم عون: بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1(2006م).
115. العيني، بدر الدين أبو محمد: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن، سورة النمل)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1421هـ، 2001م).
116. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دون معلومات الطبع.
117. فضل حسن عباس: البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط4(1417هـ، 1997م).
118. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط14(1426هـ، 2005م).
119. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8(1426هـ، 2005م).

120. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د(ط، س ط).
121. القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، ط1(1376هـ، 1957م).
122. الكرماني، محمود بن حمزة: أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، د(ط، س ط).
123. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د(ط، س ط).
124. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، لبنان، ط1(1403هـ، 1983م).
125. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4 (1425هـ، 2004م)، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
126. محمد أبو موسى: التصوير البياني - دراسة تحليلية لمسائل البيان -، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3(1413هـ، 1993م).
127. محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، ط2 (1421هـ، 2000م).
128. محمد بركات حمدي أبو علي: البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير، عمان، الأردن، ط1(1412هـ، 1992م).
129. محمد بن صالح العثيمين وآخرون: شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، ط1(1430هـ، 2009م).
130. محمد بن لطف الصباغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3(1410هـ، 1990م).
131. محمد حسن الشريف: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم (مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1417هـ، 1996م).

132. محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1(1411هـ، 1991م).
133. محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1(1420هـ، 1999م).
134. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، د(ط، س).
135. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دارالفكر العربي، القاهرة، مصر، د(ط، س) ط.
136. محمد نور الدين المنجد: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سوريا، ط1(1417هـ، 1997م).
137. محمود الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د(ط، س).
138. محمود السيد شيخون: الأسلوب الكنائسي (نشأته - تطوره - بلاغته)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط1(1398هـ، 1978م).
139. محمود موسى حمدان: أدوات التشبيه، دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط1(1413هـ، 1992م).
140. المرادي، الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1413هـ، 1992م).
141. المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1(1365هـ، 1946م).
142. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط(1419هـ، 1998م).
143. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مطبعة المدني، مصر، ط1(1421هـ، 2000م).



144. منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجميل، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ط3(1996م).
145. منيرة محمد ناصر الدوسري: أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1 (1526هـ).
146. النخّاس، أبو جعفر محمد بن أحمد: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، المكتبة العلامة، مصر، ط(1357هـ، 1938م).
147. النسفي، عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1415هـ، 1995م).
148. نور الدين عتر: علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط1(1414هـ، 1993م).
149. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وأحمد محمد صيرة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1415هـ، 1994م).
150. وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1(1411هـ، 1991م).
151. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1(1414هـ، 1993م).
152. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط(1397هـ، 1977م).

#### ثانيا: الرسائل الجامعية

1. خديجة محمد أحمد البتّاني: سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية، أطروحة مقدمة للحصول على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، السنة الدراسية (1422هـ، 2001م).

2. دخيل الله بن محمد الصحفي: سورة هود الْحَمْدُ لِلَّهِ (دراسة لخصائص نظمها وأسوارها البلاغية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة، فرع البلاغة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية (1413هـ، 1993م).

3. سعد بن عبد العزيز بن سعد الدريهم: سورة آل عمران دراسة بلاغية، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه، قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، السنة الجامعية (1421، 1422هـ).

4. عائشة عبيزة: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية: 2008، 2009م.

5. عبد الله بن مقبل بن ظافر القرني: المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

6. نوح عطا الله الصرايرة: التعريف والتنكير بين النحويين والبلاغيين، دراسة دلالية وظيفية (نماذج من السور المكية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، 2007.

7. يزيد غربي: الوحدة الموضوعية في سورة النمل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، السنة الجامعية: 2011-2012م.

### ثالثاً: المجلات والدوريات

1. أحمد حسن فرحات: مناسبات الآيات والسور، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 10.
2. باسم محمد إبراهيم: بلاغة المشاكلة في القرآن الكريم، مقال منشور في مجلة الفتح، العدد الثاني والثلاثون، سنة 2008، كلية التربية، جامعة ديالى، العراق.

3. عبد العزيز بن صالح العمار: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط1 (1428هـ، 2007م).
4. فايز صالح الخطيب: الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، 2001.

#### رابعاً: المواقع الإلكترونية

1. يونس عبد مرزوك: مقال بعنوان: التقابل اللفظي في القرآن الكريم -دراسة دلالية-، ص 3. المقال منشور في موقع جامع الكتب المصورة، الأبحاث والرسائل العلمية، أبحاث قرآنية محكمة، تحت رقم: 15918. الموقع: [kt-b.com/?p=2971](http://kt-b.com/?p=2971).
2. موقع أهل الحديث: [www.ahlhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-58103.html](http://www.ahlhdeeth.com/vb/archive/index.php/t-58103.html)
3. موقع مجالس الألوكة: [majles.alukah.net/t99417/](http://majles.alukah.net/t99417/)
4. موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: <https://ar.wikipedia.org/wiki>
5. الموقع الإلكتروني: [www.startimes.com/f.aspx?t=34271232](http://www.startimes.com/f.aspx?t=34271232)

## فهرس الموضوعات

أ-ز	مقدمة
1	الفصل التمهيدي: التعريف بسورة النمل
2	المبحث الأول: تسميتها ونزولها وعدد آياتها
2	المطلب الأول: تسميتها
4	الفرع الأول: الاسم التوقيفي
5	الفرع الثاني: الأسماء الاجتهادية
9	المطلب الثاني: نزولها
14	المطلب الثالث: عدد آياتها
17	المبحث الثاني: موضوعها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها
17	المطلب الأول: موضوعها
19	المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها وما بعدها
22	الفرع الأول: مناسبتها لما قبلها (سورة الشعراء)
25	الفرع الثاني: مناسبتها لما بعدها (سورة القصص)
30	الفصل الأول: خصائص المفردات في سورة النمل
32	المبحث الأول: المفردة من حيث مادتها في سورة النمل
36	المطلب الأول: دقة معاني المفردات في سورة النمل
36	الفرع الأول: المفردات الواردة في قصة موسى عليه السلام
43	الفرع الثاني: المفردات الواردة في قصة سليمان عليه السلام
55	المطلب الثاني: دقة حروف المعاني في سورة النمل
56	الفرع الأول: حروف العطف
62	الفرع الثاني: حروف الجرّ
64	المبحث الثاني: التعريف والتنكير في سورة النمل
65	المطلب الأول: التعريف في سورة النمل
67	الفرع الأول: التعريف باسم الإشارة

71	الفرع الثاني: التعريف بالاسم الموصول
75	الفرع الثالث: التعريف بـ "الـ"
79	الفرع الرابع: التعريف بالإضافة
83	المطلب الثاني: التكثير في سورة النمل
90	الفصل الثاني: خصائص التراكيب في سورة النمل
90	المبحث الأول: التقديم والتأخير في سورة النمل
93	المطلب الأول: التقديم والتأخير في العطف
93	الفرع الأول: تقديم و تأخير المفردات
97	الفرع الثاني: تقديم وتأخير الجمل
98	المطلب الثاني: التقديم والتأخير بين المفعول به وتوابعه
98	الفرع الأول: تقديم المفعول به على توابعه
99	الفرع الثاني: تقديم التوابع على المفعول به
101	المطلب الثالث: تقديم المسند إليه على المسند والمتعلقات على الفعل
101	الفرع الأول: تقديم المسند إليه على المسند
102	الفرع الثاني: تقديم المتعلقات على الفعل
103	المبحث الثاني: الأسلوب الخبري والإنشائي في سورة النمل
103	المطلب الأول: الأسلوب الخبري في سورة النمل
105	الفرع الأول: التوكيد بالأدوات
114	الفرع الثاني: التوكيد اللفظي والمعنوي
116	المطلب الثاني: الأسلوب الإنشائي في سورة النمل
117	الفرع الأول: أسلوب الاستفهام
125	الفرع الثاني: أسلوب النهي
127	الفرع الثالث: أسلوب الأمر
131	المبحث الثالث: أسلوب القصر في سورة النمل
132	المطلب الأول: القصر بضمير الفصل

133	المطلب الثاني: القصر بـ "إنما"
134	المطلب الثالث: القصر بالنفي والاستثناء
134	الفرع الأول: القصر بـ "لا" و "إلا"
135	الفرع الثاني: القصر بـ "ما" و "إلا"
135	المبحث الرابع: الإيجاز والإطناب في سورة النمل
136	المطلب الأول: الإيجاز في سورة النمل
137	الفرع الأول: الإيجاز بحذف الحرف
138	الفرع الثاني: الإيجاز بحذف كلمة
139	الفرع الثالث: الإيجاز بحذف جملة أو عدة جمل
141	المطلب الثاني: الإطناب في سورة النمل
143	الفرع الأول: الاحتراس
146	الفرع الثاني: التذييل
151	<b>الفصل الثالث: البيان في سورة النمل</b>
153	المبحث الأول: التشبيه في سورة النمل
154	المطلب الأول: مفهوم التشبيه
154	الفرع الأول: لغة
154	الفرع الثاني: اصطلاحاً
155	المطلب الثاني: مواضع التشبيه في سورة النمل
155	الفرع الأول: تشبيه العصا بالجنان
157	الفرع الثاني: تشبيه عرش بلقيس
158	الفرع الثالث: تشبيه مرور الجبال بمرور السحاب
160	المبحث الثاني: المجاز في سورة النمل
162	المطلب الأول: مواضع المجاز العقلي في سورة النمل
163	الفرع الأول: إسناد فعل التزيين إلى الله عز وجل
164	الفرع الثاني: إسناد فعل الإبصار إلى الآيات

165	المطلب الثاني: مواضع الاستعارة في سورة النمل
166	الفرع الأول: مواضع الاستعارة في قصة سليمان عليه السلام
170	الفرع الثاني: مواضع الاستعارة في قصة صالح عليه السلام
170	الفرع الثالث: مواضع الاستعارة في الآيات الدالة على التوحيد
176	المبحث الثالث: الكناية في سورة النمل
178	المطلب الأول: مواضع الكناية في قصتي موسى وصالح عليهما السلام
178	الفرع الأول: مواضع الكناية في قصة موسى عليه السلام
179	الفرع الثاني: مواضع الكناية في قصة صالح عليه السلام
180	المطلب الثاني: مواضع الكناية في قصة سليمان عليه السلام
180	الفرع الأول: الكناية عن تفضيل داود وسليمان عليهما السلام بفضائل العلم
182	الفرع الثاني: الكناية عن التسبب في الحطم
183	الفرع الثالث: مواضع الكناية في قصة بلقيس
185	المطلب الثالث: الكنايات الموجودة في أدلة التوحيد
185	الفرع الأول: الكناية عن خلق البحرين
186	الفرع الثاني: الكناية عن عدم التذكر
189	<b>الفصل الرابع: البديع في سورة النمل</b>
191	المبحث الأول: المحسنات المعنوية في سورة النمل
192	المطلب الأول: المطابقة في سورة النمل
192	الفرع الأول: المطابقة في قصتي موسى وسليمان عليهما السلام
202	الفرع الثاني: المطابقة في قصتي صالح ولوط عليهما السلام
205	الفرع الثالث: المطابقة في آيات المناظرة الجدلية للمشركين
211	المطلب الثاني: المقابلة في سورة النمل
212	الفرع الأول: المقابلة بين "هدى وبشرى... " و "إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة..."
213	الفرع الثاني: المقابلة بين "الخبء في السماوات..." و "ما يخفون..."
214	الفرع الثالث: المقابلة بين "أنهارا" و "رواسي"



215	المطلب الثالث: المشاكلة في سورة النمل
216	الفرع الأول: المشاكلة في قصة سليمان عليه السلام
217	الفرع الثاني: المشاكلة في قصة صالح عليه السلام
218	المطلب الرابع: الالتفات في سورة النمل
221	الفرع الأول: التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل
224	الفرع الثاني: الالتفات بين الضمائر
230	الفرع الثالث: الالتفات من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية
233	المبحث الثاني: المحسنات اللفظية في سورة النمل
233	المطلب الأول: السجع في سورة النمل
235	الفرع الأول: فواصل منتهية بحرف النون
237	الفرع الثاني: فواصل منتهية بحرف الميم
241	المطلب الثاني: الجناس في سورة النمل
242	الفرع الأول: الجناس في "سبأ نبأ"
243	الفرع الثاني: الجناس في "تقوم من مقامك"
244	الفرع الثالث: الجناس في "وأسلمت مع سليمان"
244	الفرع الرابع: الجناس في "اطيرنا ... طائرکم"
247	خاتمة
253	فهرس الآيات
271	فهرس الأحاديث
273	فهرس الأعلام
276	فهرس المصادر والمراجع
292	فهرس الموضوعات

## سورة النمل - دراسة بلاغية -

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: رابع دوب

من إعداد الطالبة: حياة موسى

### الملخص

اهتمّ العلماء قديماً وحديثاً بدراسة القرآن الكريم، والكشف عن أوجه الإعجاز فيه؛ من أجل أن تظهر معجزة القرآن الخالدة؛ واقتداءً بالعلماء، وبحثاً عن جماليات التعبير القرآني وأسراره البلاغية، ارتأيت أن أدرس إحدى سور القرآن الكريم من الناحية البلاغية وهي سورة النمل.

وبعد أن تطرقت إلى التعريف بسورة النمل، تناولت خصائص المفردات والتراكيب، حيث بيّنت أنّ اصطفااء المفردات يتناسب مع مدلول الآيات والسياق العام للسورة، كما أنّ التعريف والتكبير له دلالاته البلاغية، ومعاله الجمالية في هذه السورة.

أمّا الأساليب والتراكيب الواردة في هذه السورة فقد جاءت حسب ما يقتضيه الحال والمقام، وكان غرضها يصبّ في كمال العناية بالمضمون.

كما تناولت بالدراسة البيان والبديع في سورة النمل، حيث كان البيان ثرياً بتعدّد طرق الدلالة في الوضوح والإفهام. بينما تنوّعت جماليات البديع بقسميه؛ المحسنات المعنوية واللفظية، مع ورود المعاني على سجيّتها، كما كان لها الأثر من الناحية البلاغية في جمال الألفاظ وتقوية المعنى وكماله.

إنّ هذه الدراسة تكشف لنا النواحي البلاغية ذات الأثر في مدلول الآيات والسياق العامّ للسورة، ممّا جعل البيان القرآني يفيض أسراراً بلاغية زادتة جمالاً في اللفظ والمعنى، وفي منتهى الإعجاز.



## SOURATE An-Naml- Etude rhétorique

Par l'étudiante : Hayat MOUSSA

Sous la supervision du professeur : Dr. Rabah DOUB

### Résumé

Autrefois et jusqu'à ce jour, les savants se sont intéressés à l'étude du Saint Coran et de dévoiler les aspects des miracles scientifiques afin de faire apparaître l'éternel miracle du Coran, suivant la voie des savants, et cherchant l'esthétique des expressions coraniques et ses secrets rhétoriques, par conséquent, j'ai pris une sourate du Saint Coran pour étudier son côté rhétorique ; cette sourate s'intitule An-Naml.

Après que j'aie présenté la définition de sourate An-Naml, je me suis penchée sur les spécificités des termes et des structures où j'ai montré que le choix des mots correspond au sens des versets et le conteste général de la sourate. De plus, la définition et l'indéfinition ont leur propre sens rhétorique et leurs aspects esthétiques dans la sourate.

Concernant les styles et les structures trouvés dans la présente sourate, ils suivent le moment et le contexte dont le but est de compléter le contenu soigneusement.

Aussi, je me suis étalée sur la rhétorique de sourate An-Naml laquelle été richement répandue par la multitude des méthodes d'indication évidentes et compréhensives. Toutefois, l'esthétique rhétorique s'est présentée d'une manière variable par ses deux sections, à savoir ; la rhétorique morale et éloquente, avec des sens de qualité, affectant le côté rhétorique dans l'esthétique des termes et la consolidation du sens et son perfectionnement.

La présente étude nous dévoile les aspects rhétoriques influant sur le sens des versets et le contenu général de la sourate, faisant de la sémantique coranique engorgée de secrets rhétoriques enjolivant le sens et le terme, d'une manière complètement inimitable et miraculeuse.



## SURAT A-NAML - RHETORICAL STUDY

**By the student: HAYAT MOUSSA**

**Under the supervision of Professor: Dr. RABAHDOUN**

### Abstract

In ancient and modern times, scientists attached particular interest to studying Holy Quran and revealing its aspects of inimitability, to show the eternal miracle of Quran, following the example of scientists, and searching for beauty of Quran expressions and its rhetorical secrets, I considered studying one of its chapters from a rhetoric angle, the chapter is called Surat A-Naml.

After I discussed the definition of Surat A-Naml, I examined the specifications of words and structures, the study revealed that choice of words was in conformity with the meaning of verses and the main context of the soura, the definite and indefinite has its own rhetorical meaning and aspects of beauty in this soura.

As for the styles and structures found in this soura, they were suited to the moment and the context, and meant to carry about the content.

The study discussed the distinctness and rhetoric in sourat A-Naml, where the distinctness was enriched by a multitude of clarification and explanation meaning styles. The beauty of rhetoric with its two sections was various, as the semantic and word enhancers, the meanings were stated in their natural disposition, affecting the beauty of words and consolidating the meaning from a rhetoric angle.

The present study uncovered the rhetoric aspects that affect the meaning of verses as well as the main context of the soura, rendering the distinctness of the Quran to abound with rhetoric secrets and enhancing the beauty of words and meanings, and to be completely inimitable.

